إدارة الامبراطورية البيزنطية

للامبراطور قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس

عرض وتحليل وتعليق

دكتور محمود سعيد عمران

مدرس تاريخ العصور الوسطى

بجامعتي الاسكندرية وبيروت العربية

١٩٨٠

دار النهضة العربية

للطباعة والنشر

بيروت ص. ب ٧٤٩

اهداءات ٢٠٠١

ا.د. اسمت محمود غنيم
أستاذ التاريخ بآداب الإسكندرية

إدارة الامبراطورية البيزنطية

للإمبراطور قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس

عرض وتحليل وتعليق

دكتور محمود سعيد عمران

مدرس تاريخ العصور الوسطى

بجامعتي الاسكندرية وبيروت العربية

١٩٨٠

دار النهضة العربية

للطباعة والنشر

بيروت ص.ب ٧٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم

اهـداء

إلى زوجتي

رمزاً للوفاء لاوفى الاوفياء

الأستاذة الدكتورة
إسمت غنيم

مقدمة

كتاب إدارة الإمبراطورية من المصادر البيزنطية المتميزه عن غيرها من المصادر التقليدية المعاصرة له ، فهو ليس بكتاب أرخ بالسنوات أو الأحداث ، أو كتاب رحالة سجل فيه مشاهداته ، وإنما هو كتاب حوى كل هذا وأكثر . والكتاب أعده الامبراطور قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس ٩١٤ – ٩١٩ م ، ٩٤٥ – ٩٥٩ م ، ليضع فيه كل خبراته ونصائحه وتصوراته للحكم ويقدمه لإبنه رومانوس ليكون دليلا ومرشداً له في شئون الحكم والإدارة .

والكتاب عريض في مساحته عميق في أحداثه ، عاد ببعض الأحداث إلى خمسة قرون خلت من عصر المؤلف متجولا في أقاليم تمتد من بغداد عبر الجزيرة العربية ومصر إلى إسبانيا وصقليه ، ومن غرب أوروبا إلى شرقها مركز على إيطاليا وساحل دالماشيا فالعناصر التي تقطن غربي وشمالي الامبراطورية منتهياً في أرمينيا ، هذا إلى بعض المعلومات التي تتعلق بالبحرية البيزنطية وجانب من شئون الحكم والادارة . فالعمق الزمني كبير ومسرح الأحداث أكبر ، وفي كل هـذه القـرون والمساحات يعرج المؤلف على الأحداث التي يراها مناسبة شارحاً بعض الأقاليم الجغرافية مازجاً هذا وذاك ببعض الشئون الإدارية ، مسجلا خبراته وتصوراته ليقدمهـا لابنه في كتاب محدود .

وإذا كان هدف المؤلف هو وضع خبراته وخبرات الآخرين في شئون الحكم والسياسة أمام ابنه لتكون هادياً له ، فإن هدف الباحث

هو وضع المادة التي تركها المؤلف أمام الباحثين وعرضها بطريقة مقبولة ومعقولة لا تعقيد فيها ولا غموض .

وخطة الباحث في دراسة هذا الكتاب تقع في ثلاثة فصول ، الفصل الأول منها هو عرض موجز لأحداث عصر المؤلف ليتعرف القارئ من خلالها على أوضاع الامبراطورية البيزنطية وعلاقاتها بجيرانها حتى يسهل فهم المصدر والظروف والدوافع التي وضع فيها ومن أجلها .

والفصل الثاني يتضمن دراسة تحليلية للكتاب نفسه ومعالجة علمية توضح للقارىء النقاط الخفية التي حواها المصدر .

أما الفصل الثالث ، فهو عرض لمادة الكتاب ، والعرض هــو ترجمة للنص المنشور باللغة الانجليزية . ولما كان النص جافاً ومضطرباً ولا يفهم في مواضع كثيرة ، أصبح البحث يتطلب تبسيط هذه المادة . ومن هنا رأى الباحث أن يوضح بعض النقاط الغامضة ويعلق على النص عندما يجب التعليق .

وقد زود الباحث الكتاب ببعض الخرائط التي تعين القارىء على تتبع الأقاليم والبلدان المتعلقة بعالم الامبراطورية البيزنطية ، هذا بالاضافة إلى قوائم بحكام الدول التي تعرض لها الكتاب .

وأخيراً لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من قدم لي العون حتى خرج الكتاب بهذه الصور التي أتمنى أن تكون ذات فائدة لكل باحث في مجال التاريخ الوسيط .

والله ولي التوفيق

بيروت في ٣٠ جمادى الآخره ١٤٠٠ هـ

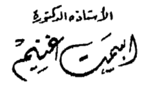
١٨ أبزيل (نيسان) ١٩٨٠ م

محمود سعيد عمران

الفصل الأول

موجز أحوال الإمبراطورية في عصر قسطنطين السابع

مشكلة وراثة العرش – إغتصاب رومانوس ليكابينوس العرش– عودة قسطنطين إلى عرشه – الإصلاحات الداخلية – العلاقات الخارجية : مع البلغار ، مع القوى الاسلامية ، مع روسيا .



حكم الأمبراطور ليو السادس Leo VI الملقب بالحكيم الإمبراطورية البيزنطية مـــا يزيد عن ربع قرن من الزمان ٨٨٦ — ٩١٢ م ، وانشغل لفترة طويلة من عهده تكاد تصل إلى حوالي عشريـــن عاماً بأن يكون له وريث ذكر يخلفه على عرش الأمبراطورية .

وقد تزوج ليو للمرة الأولى في عام ٨٨٥ م من إحدى قريباته وهي ثيوفانو Theophano وأنجب طفلة هي يودكيا Eudocia ولكنها ماتت في عام ٨٩٢ م ، ولحقت الأم بالابنة بعد خمس سنوات ، فقد توفيت ثيوفانو [١] في العاشر من نوفمبر عام ٨٩٧ م بعد زواج غير موفق .

وكان ليو قد أقام علاقة غير شرعية مع سيدة تدعى زوي Zoe ابنة الوزير ستليانوس زوتزس Stylianus Zautzes ، وعندمـــا أراد ليو أن يتزوجها زواجاً شرعياً في عام ٨٩٨ م إعترض بطريـــق القسطنطينية أنطوني كولياس Antony Kauleas (٨٩٣ — ٩٠١ م) على هذا الزواج [٢] ، ولكن كاهن البلاط رضخ للأمر وأقر زواج ليو ، وما لبثت زوي ستليانوس أن توفيت هي الأخرى في عـــام

(١) Theophanes Continuatus, Chronographia, pp. 364 - 5 .

(٢) George Monachus, Vitae Imperatorum Recentiorum, pp. 852-3.

٨٩٩ م [١] ، تاركة طفلة تدعى أنا Anna ، كانت قد أنجبتها قبل زواجها الشرعي [٢] .

وشرع ليو في الزواج للمرة الثالثة ، وكانت زوجته هذه المرة هي يودكيا بايينا Eudocia Baiana ، وهي فتاة من إقليم فريجيا Phrygia . ورغم أن الزواج الثالث كان خرقاً لنظم الكنيسة والدولة [٣] ، وهي النظم التي أقرها ليو بنفسه ، إلا أنه أتم هذا الزواج بغية أن يكون له وريثاً ، ولكنه لم يوفق هذه المرة أيضاً ، فقد ماتت يودكيا عقيب أول ولادة لها ومات معها طفلها بازيل Basil في الثاني عشر من أبريل عام ٩٠١ م [٤]

وإذا كان ليو قد أقدم على الزواج بثالثة متحدياً قوانين الكنيسة والدولة ، فإنه تردد في الزواج برابعة حتى لا يزداد سخط رجال الدين عليه ، فأقام مع محظية هي زوي كاربونسينا Carbonsina أي زوي ذات العيون السوداء ، فأنجبت له في عام ٩٠٥ م ولداً هو قسطنطين السابع الملقب بورفيروجنيتوس Constantine V11 Porphyrogenitus ، أي المولود في الغرفة الأرجوانية . وهنا كان لزاماً على ليو أن يتزوجها زواجاً رسمياً ليصبح إبنه وريثاً للعرش . واعترض البطريق نيقولا مستيقوس Nicholas Mysticus (٩٠١ – ٩٠٧ ، ٩١٢ – ٩٢٥ م) على هذا الزواج ، وتأزم الأمر بين الكنيسة والقصر . وانتهت هذه الأزمة إلى حل وسط يقضي بأن يقوم البطريق

(١) Ostrogorsky, History of Byzantine State, p. 230 .
(٢) Runciman, The Emperor Romanus Lecapenus, p. 41 .
(٣) George Monachus, op - cit., p. 858 .
(٤) Constantine Porphyrogenitus, De Ceremoniis, p. 443 .

بتعميد الطفل وأن يطرد ليو زوي من القصر [1] .

وافق ليو على هذا الحل وتم تعميد قسطنطين في السادس من يناير عام ٩٠٦ م في كنيسة آيا صوفيا St. Sophia في احتفال مهيب رغم معارضة بعض الشخصيات ، وخرجت زوي من القصر . ولكن ليو ما لبث أن أعاد زوي بعد ثلاثة أيام وتزوجها على يد الأسقف توماس Thomas ، ثم توّجها ليو بنفسه إمبراطورة، وترتب على ذلك صراع عنيف بين ليو والكنيسة ، انتهى لصالح ليو بعدما عزل نيقولا مستيقوس [2] .

وكلل ليو انتصاراته بتتويج ابنه قسطنطين إمبراطوراً في التاسع من يونيه عام ٩١١ م ، وبذلك أصبح للدولة ثلاثة أباطرة هم ليو السادس وأخوه الكسندر Alexander (٩١٢ – ٩١٣م) وقسطنطين السابع . وفي العام الثاني مات ليو فتسلم الكسندر مقاليد الوصاية على قسطنطين الذي كان يبلغ من العمر سبع سنوات [3] .

وما أن تسلم العم مقاليد السلطة حتى أحـاط نفسه بحاشية هيأت له طرد الأمبراطورة زوي من القصر وعـزل البطريـق يوثيميوس Euthymius (٩٠٧ – ٩١٢م) ، وإعادة نيقولا مستيقوس إلى كرسي البطريقية [4] ، وترتب على الحادثة الأخيرة إدخال الكنيسة في صراع

---

(١) Nicholas I Patriarch of Constantinople, Letters, Letter no. 32
وانظر ايضا :
Hussey, J., Church and Learning in The Byzantine Empire, p. 136 .

(٢) Theophanes Continuatus, op - cit., p. 398 .

(٣) George Monachus, op - cit., p. 874

(٤) Theophanes Continuatus, op - cit., p. 398

دام لبعض الوقت . كما أن الكسندر الذي ترك العنان لأهوائه ومجونه رفض دفع الجزية للبلغار طبقاً للمعاهدة التي أبرمها ليو السادس مع سيمون البلغاري Symeon (٨٩٣ – ٩٢٧م) وكان لكل هذه الحوادث أسوأ الأثر على أحوال الإمبراطورية في الفترة اللاحقة . [١] .

ولم يعمر الكسندر طويلاً فقد مات بعد عام واحد في السادس من يونيه عام ٩١٣ م ، بعد أن عين مجلس وصاية على الإمبراطور القاصر قسطنطين السابع برئاسة البطريق نيقولا مستيقوس [٢] . واستمر البطريق في منصبه هذا حتى فبراير عام ٩١٣ م ، نشب خلالها صراع شديد بين البطريق والإمبراطورة زوي . واستغل هذا الصراع كل طامع في العرش ، فقد حاول قسطنطين دوكاس Constantine Ducas في عام ٩١٣ م ولكنه فشل ، كما حاول ليو فوقاس Leo Phocas في أواخر فترة الوصاية ٩١٨ – ٩١٩ م ولكنه فشل هو الآخر [٣] . وكانت المحاولة الثالثة بقيادة قائد البحرية رومانوس ليكابينوس [٤] Romanus Lecapenus (٩١٩ – ٩٤٤ م) الذي احتل القصر الإمبراطوري في مارس ٩١٩م ، وسيطر على الموقف [٥] .

---

(١) انظر ما يلي ص ٢٠ .

(٢) Theophanes Continuatus, op - cit., p. 380 .

(٣) Runciman, The Emperor Romanus Lecapenus, pp. 56-60.

(٤) ترجع تسميته باسم ليكابينوس الى مسقط رأسه مدينة لاكاب Lakape او لوكابين Laqabin الواقعة بين ملطية وسميساط وكان والده يدعى تيوفلاكت اباستاكتوس Theophylact Abastactus انظر : C.M.H., IV, Part I. p. 137 no. 1 .

(٥) انظر الموضوع رقم ١٣ .

ويعرف عن رومانوس بأنه كان رجل دولة وسياسياً من الطراز الأول ، ولهذا تميز عهده بالاعتدال . كما أنه كان نشيطاً صبوراً يعمل على تنفيذ خططه بحرص ولا يحيد عن تحقيق أهدافه . وفوق هذا كله فقد كان رومانوس يمتلك صفات الحاكم الناجح وهي القدرة على على اختيار أعوانه ومساعديه بحكمة وتروي . وقد اكتشف في يوحنا كوركواس John Curcuas ، وهو أحد أبناء وطنه قائداً ممتازاً ، كما وجد في ثيوفانيس Theophanes وزيراً لا نظير له [1] .

وعرف رومانوس قدر نفسه فهو مغتصب للعرش ، والامبراطور الشرعي لا زال موجوداً في القصر ، وإنه إبن فلاح ومن عامة الشعب ، وأنه غير مقبول لدى الطبقة الارستقراطية ذات التأثير القوي داخل الامبراطورية ، وقد يعرضه كل هذا لمشاكل لا طائل له بها . وكان عليه أن يتصرف تصرفاً مقبولاً ومعقولاً لكي يضمن بقاءه على العرش ويقطع خط الرجعة على كل طامع في عرش الامبراطورية .

ولكي يدعم رومانوس مركزه داخل القصر بادر بتزويج الامبراطور قسطنطين السابع في مايو ٩١٩م من ابنته هلينا Helena وأصبح أب الامبراطور Basileopator ، وفي الرابع والعشرين من سبتمبر عام ٩٢٠م رفعه الامبراطور قسطنطين إلى مرتبة قيصر Caesar ، وفي السابع عشر من ديسمبر من العام نفسه أصبح الامبراطور الشريك Co - Emperor ، ثم تزوج من الامبراطورة زوى بعد وفاة زوجته تيودورا Theodora عام ٩٢٢م)[2] . وعلى هذه الصورة أصبح رومانوس جزء من اسم الأسرة الحاكمة . ولقصور الإمبراطور الشرعي قسطنطين أصبح

---

(١) Ostrogorsky, op - cit., p. 240 .

(٢) Theophanes Continuatus, op - cit., p. 402; Nicholas I Patriarch of Constantinople, op - cit., Letter no. 156 .

وقد اشار قسطنطين السابع الى رومانوس بعبارة « زوج أمنا » . انظر الموضوع رقم ٤٥ .

رومانوس على رأس الإمبراطورية .

ومما قوى من مركز رومانوس أن المجمع الديني الذي عقد في يوليو عام ٩٢٠م بحضور مندوبين عن بابا روما يوحنا العاشر John X (٩١٤ — ٩٢٨ م) لمناقشة موضوع زوجات ليو السادس الأربع كطلب البطريق نيقولا مستيقوس [١] ، أن هذا المجمع أعلن عدم شرعية الزواج الرابع ، ولعل البطريق ارتاح كثيراً لهذا القرار الذي رد إليه اعتباره ، ولكن رومانوس كان أكثر ارتياحاً لهذا القرار الذي يحط من هيبة الأسرة المقدونية ومن شرعية الإمبراطور قسطنطين إلى حد ما . وظهر رومانوس من خلال هذا المجلس بأنه الرجل الذي أعاد للكنيسة قوتها بعد حوالى خمس عشرة سنة من المناقشات [٢] .

ولعل هذا كله دفع الكنيسة إلى الاعتراف برومانوس إمبراطوراً شرعياً ، فعاد الوئام بين الكنيسة والإمبراطورية ، وأعاد إلى الأذهان الصورة المثالية التي يجب أن تسير عليها الإمبراطورية [٣] ، وما دام الإمبراطور يساعد البطريق في رد اعتباره واستعادة حقوقه فعلى البطريق من جانبه أن يقف بدوره إلى جانب الإمبراطور في صراعه ضد أعدائه في الداخل والخارج . ومن الواضح أن تقوية مركز رومانوس يعود بالضرر على الإمبراطور الشرعي الذي توارى في الظل وأصبح إمبراطوراً ثانياً بعد رومانوس .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بالنسبة لقسطنطين السابع فقد أصبح ترتيبه الثالث في الأباطرة المشتركين في الحكم عندما توج رومانوس ابنه كريستوفر Christopher من زوجته الأولى تيودورا [٤] ، امبراطورياً مشاركاً ؛ وذلك

---

(١) Nicholas I, op - cit., Letter no 77 .

(٢) Nicholas I, op - cit. Letter no. 53 .

(٣) Nicholas I, op - cit. Letter no. 75 .

(٤) Theophanes Continuatus, op - cit, p. 398 .

في العشرين من مايو عام ٩٢١م . وليس ذلك فحسب ، فقد تباعد ترتيب قسطنطين تدريجياً عندما توج رومانوس ولديه من زوجته الأولى أيضاً ، ستيفن Stephen وقسطنطين في الخامس والعشرين من عام ٩٢٤م[١]. أما الشقيق الرابع ثيوفلاكت Theophlact فقد انخرط في السلك الكنسي منذ طفولته وتولى عرش البطريقية (٩٣٣–٩٥٦م) رغم حداثة سنه إذ كان يبلغ من العمر ستة عشر عاماً ، وتم تعيينه في الثاني من فبراير عام ٩٣٣م ، بحضور مندوبين عن البابا يوحنا الحادي عشر (٩٣١ – ٩٣٦م)[٢]. وكان قصد رومانوس من وراء ذلك يتلخص في هدفين : الأول ، هو إضفاء الشرعية على إبنه ، والثاني أن تكون البطريقية أداة طيعة في يده . فقد كان البطريق الابن ينفذ رغبات والده الامبراطور دون مناقشة . وهكذا سيطر رومانوس على الإمبراطورة زوى باعتباره زوجها ، وعلى الامبراطور قسطنطين السابع باعتباره حماه ، وعلى البطريق باعتباره والده .

ظل رومانوس يحكم الامبراطورية حتى السادس عشر من ديسمبر عام ٩٤٤ م ، وكانت نهايته غريبة مؤلمة ، فلقد تمتع رومانوس بمركز قوي داخل الامبراطورية ، ولكنه كان ضحية أولاده ، فقد مات كريستوفر في عام ٩٣١م[٣] . وعندما شعر ستيفن وقسطنطين أن السن قد تقدمت بوالديهما قلقا على مستقبلهما وأدركا أن بوفاته يؤول العرش إلى قسطنطين السابع ، فقبض ستيفن وقسطنطين ولدا رومانوس على أبيهما ونفياه إلى جزيرة بروت prote [٤] ، وظل هناك حتى مات كراهب في

---

(١) Theophanes Continuatus, op - cit., p. 409 .

(٢) Theophanes Continuatus, op - cit., p. 422 .

راجع ايضا Hussey, op - cit., pp. 139 - 140 .

(٣) Theophanes Continuatus, op - cit., p. 420 .

(٤) تقع في شمال بحر مرمره .

الخامس عشر من يونيه عام ٩٤٨م[1] ، كأحد الأباطرة العظام في التاريخ البيزنطي .

والحقيقة أن ولدي رومانوس لم يحسنا التقدير، فقد انتهز قسطنطين السابع، وهو الإمبراطور الشرعي الذي أغتصب حقه لفترة طويلة، انتهز الفرصة ووجد العون من البيزنطيين الذين وقفوا بجانبه واعترفوا بحقه الشرعي في وراثة العرش ، في الوقت الذي لم يقف أحد بجوار ولدي رومانوس بعد موقفهما من أبيهما . وفي السابع والعشرين من يناير عام ٩٤٥م تم إعتقال ستيفن وقسطنطين بأمر الامبراطور قسطنطين السابع ، وأرسلا إلى المنفى حيث ماتا هناك[2] ، وتسلم قسطنطين عرش الإمبراطورية ليحكم منفرداً حتى مماته عام ٩٥٩م .

وإذا كان الإمبراطور رومانوس قد خطط على مستوى القصر والكنيسة ليكون أسرة حاكمة ، فإنه قد خطط أيضاً على المستوى الاجتماعي لدعم نفوذه ونفوذ أولاده من بعده ، وبدأ يعمل على حماية الإمبراطورية من خلال القوانين التي سنها لحماية صغار ملاك الأراضي الزراعية وضرب الارستقراطية الزراعية التي تشكل قوة بالغة الخطورة على مركزه وعلى مركز أولاده من بعده ، ومن جانب آخر فقد كان رومانوس ابن فلاح بسيط ، ولعل ما تعرضت له أسرته وأمثالها من جور الإقطاعيين الزراعيين هو الذي جعله يقاوم نفوذ هذه الطبقة ، ويعمل على إضعافها . هذا بالإضافة إلى أن الإمبراطورية كانت تواجه في هذه المرحلة مشكلة بالغة الخطورة إمتد أثرها إلى مركز الإمبراطور فيما بعد، وهي مشكلة شراء الأغنياء لأراضي الفقراء الذين ينزلون إلى مرتبة الأتباع للارستقراطية الإقطاعية . ولم يقتصر

---

(١) Theophanes Continuatus, op - cit., p. 439 - 41 .

(٢) Runciman, The Emperor Romanus Lecapenus pp. 237 - 7 .

أثر هذه المشكلة على زيادة نفوذ الاقطاعيين فحسب بل إلى موارد الدولة وقوتها العسكرية [1] ، لأن الدولة كانت تعتمد اقتصادياً وعسكرياً على الملاك الصغار وعلى الأراضي التي تمنح للجنود ، فالملاك الصغار يؤدون الضريبة للدولة ، كما تمنح الأراضي للجنود في مقابل الخدمة العسكرية ، ومعنى ذلك أن امتصاص الأغنياء للملكيات الصغيرة يؤدي بالتالي إلى ضعف الدولة اقتصادياً وعسكرياً وسيطرة الأرستقراطية الزراعية [2] .

والتفت رومانوس إلى هذا الخطر الذي يهدد مركزه ومركز أولاده من بعده ، وكانت خطوته في هذا السبيل إصداره لمجموعة قوانين جديدة Novelae في عام ٩٢٢م ، ونصت هذه المجموعة على إعادة حق الجيران في التملك بالشفعة ، وهي قوانين كان ليو السادس قد أرسى قواعدها . وحول موضوع انتقال أراضي صغار الملاك سواء بالبيع أو الإيجار فإن القانون الجديد جعلها خمس طبقات يكون لها الحق بالترتيب في التملك أو الإيجار ليصعب انتقالها إلى أيدي كبار الملاك . فالطبقة الأولى هي الأقارب الذين يمتلكون أراض مجاورة للأرض المراد بيعها أو تأجيرها ، والثانية هي الملاك المجاورون من غير الأقارب ، والثالثة هي أصحاب الأراضي التي تتداخل مع الأراضي المراد بيعها أو إيجارها . أما الرابعة فهي ملاك الأراضي الذين يدفعون ضرائب مماثلة . أما الخامسة والأخيرة فهي طبقة الملاك الآخرين من أصحاب الأراضي المجاورة . واشترط القانون عدم انتقال الأرض بالبيع أو الإيجار إلا بعد عرضها على الطبقات الخمس أولاً حسب ترتيبها [3] .

---

(١) Toynbee, A., Constantine Porphyrogenitus and His world, pp. 147 - 8 .

(٢) Runciman, The Emperor Romanus Lecapenus pp. 224 - 6 .

(٣) Ostrogorsky, op. cit., p. 243 .

والواضح أن الغرض من هذا القانون هو حماية صغار الملاك ومنع استمرار ذوبان الملكيات الصغيرة ، لذلك كان الخارج على هذا القانون يرغم على إعادة الأراضي غير التابعة للجند إلى أصحابها دون تعويض ، فضلاً عن تقديم غرامة مالية إلى خزانة الدولة . أما الملكيات التابعة للجند فكان على من اشتراها إعادتها إلى صاحبها دون تعويض ولا يدفع غرامة مالية[1] .

ورغم وجاهة هذا القانون من الناحية النظرية ، إلا أنه لم ينفذ كما ينبغي لعدة عوامل ، منها أن شتاء عام ٩٢٧ - ٩٢٨م كان قاسي البرودة وطويلاً على غير العادة ، وتسبب ذلك في انتشار المجاعة والوباء لقلة المحصول[2] ، وترتب على ذلك أن قدم الفلاحون الجائعون أراضيهم بثمن بخس لكبار الملاك[3] ، يضاف إلى ذلك أن الطبقات الخمس التي أصبح لها الحق في الشراء قبل طبقة الاقطاعيين ، كانت طبقات فقيرة وليس بوسعها الإيجار أو الشراء . ومعنى ذلك أن القانون كان تجميداً للبيع أو الإيجار ولكنه اهتز أمام أول أزمة اقتصادية حلت بالبلاد .

ويبدو أن كل هذه الأسباب لم تكن خافية على الامبراطور رومانوس ، لذلك اكتفى بتوجيه اللوم إلى الأغنياء لأنانيتهم وإن كان في اللوم قسوة ومرارة ، وأصدر متجددات أخرى في عام ٩٣٤م ، أي بعد المجاعة بست سنوات وزوال أثرها . وأعلن في المتجددات الأخيرة عدم شرعية كل ما أخذه الأغنياء من صغار الملاك ، وخفف من صرامة قانون عام ٩٢٢م وأمر برد جميع الأراضي التي دفع في شرائها مبلغاً يقل عن نصف ثمنها الحقيقي إلى أصحابها دون تعويض ، أما إذا كان ما دفع للأرض ثمناً

---

(١) Ostrogorsky, op. cit., p. 243 .

(٢) Theophanes Continuatus, op. cit., p. 417 .

(٣) Runciman, The Emperor Romanus Lecapenus, p. 227 .

عادلاً ، فتعاد الأرض إلى صاحبها الذي عليه رد ما دفع فيها خلال ثلاث سنوات . وورد في المتجددات عدم جواز امتلاك الأغنياء لأراضي صغار الفلاحين مستقبلاً وإلا ألزموا بإعادتها مع دفع غرامة لخزانة الدولة[1] .

ورغم هذا كله فإن الفلاحين الصغار لم يتجاوبوا مع حكومة الامبراطورية لوقوعهم تحت وطأة الضرائب الباهظة ، واختاروا التبعية لكبار الملاك بمحض إرادتهم ليهربوا من تعسف جامعي الضرائب ويكونوا في أمن وحماية الملاك الكبار . وقد سبب ذلك إزعاجاً شديداً للامبراطور رومانوس وعمل بكل قوة على تنفيذ القانون[2] ، حتى لا تتأثر إيرادات الدولة التي كانت في أشد الحاجة إليها لمواجهة الأخطار الخارجية التي أحاطت بالجبهات الغربية والشرقية والشمالية .

وإن كانت هذه هي السياسة التي سار عليها الامبراطور رومانوس ، فإن الامبراطور قسطنطين السابع عندما سيطر على مقاليد السلطة وعاد إليه حقه الشرعي عام ٩٤٥م ، سار على نفس سياسة رومانوس ، وأصدر في عام ٩٤٧م قانوناً يقضي بعودة الأراضي التي انتقلت إلى كبار الملاك منذ توليته دون تعويض . ويبدو أن الأمر لم ينفذ كما ينبغي لذلك أصدر سلسلة من القوانين تلا بعضها البعض ، وكلها تعمل على الحد من نفوذ كبار الملاك والاحتفاظ بالملكيات الصغيرة لأصحابها سواء من الفلاحين أم الجند ، حتى لا تتأثر خزانة الدولة وتتمكن من تعبئة الجند لمواجهة مشاكلها الخارجية[3] .

---

(١) Ostrogorsky, op. cit., pp. 248 - 9 .

(٢) Runciman, The Emperor Romanus Lecapenus, p. 227 .

(٣) Ostrogorsky, op. cit., pp. 243 - 4 .

وأخطر المشاكل الخارجية التي واجهت بيزنطة في هذه المرحلة كانت على الجبهة الغربية حيث البلغار . والصراع بين بيزنطة والبلغار صراع قديم تجسد في معركة بلجاروفيجون[1] Bulgorophygon عام ٨٩٧ في عهد ليو السادس ، وانتهى مؤقتاً بشروط تقضي بأن تدفع بيزنطة جزية سنوية للبلغار ، وتجدد الصراع مرة أخرى عام ٩٠٤م وخمد بعقد صلح بين الطرفين ، شرط دفع الجزية[2] ، وعاد مرة أخرى إلى الظهور عندما توفي ليو السادس عام ٩١٢م وتولى أمر الدولة الكسندر . وفي عهد الأخير وصلت سفارة بلغارية إلى القسطنطينية لتهنئة الامبراطور وتطلب تجديد المعاهدة ، ولكن الكسندر لم يحسن استقبال السفارة البلغارية ورفض بعناد أن تدفع الامبراطورية أية مبالغ للبلغار [3]. وكان ذلك سبباً في تجدد الصراع بين بيزنطة والبلغار .

وفي الرابع من يونيه عام ٩١٣م مات الكسندر تاركاً وراءه المشكلة البلغارية وخطورتها ليواجهها إمبراطور قاصر هو قسطنطين السابع ومجلس وصايته ، وهي مشكلة عجزت الأسرة المقدونية عن حلها حتى ذاك العهد . وتقدم سيمون بقواته في أغسطس من نفس العام تجاه العاصمة البيزنطية التي لم يكن في وسعها التصدي للقوات البلغارية إلا بمناعة أسوارها ، ولعب نيقولا مستيكوس دوراً بارزاً لإبعاد الخطر البلغاري ولكن دون جدوى [4]. ولم يتخل سيمون عن استعمال القوة إلا لحصانة المدينة ، وقبل الدخول في المفاوضات التي انتهت بما يشبه الغزو المقنع للامبراطورية

---

(١) Theophanes Continuatus, op. cit., p. 360 .
راجع ايضا الموضوع رقم ٤٠ .

(٢) Runciman, A History of the First Bulgarian. Empire, p. 152 .

(٣) Theophanes Continuatus, op. cit., p. 380 .

(٤) Nicholas I, op. cit., Letters no. 5, 6. 8.

بأسرها لأن من شروطها قيام بيزنطة بدفع متأخرات الجزية ، وهذا أمر سهل ، ولكن الأشد منه هو الوعد بأن يصبح الامبراطور الجديد القاصر قسطنطين السابع زوجاً لإحدى بنات سيمون[١] ، ومن هنا نجد أن سيمون قد خطط لأن يكون له موطىء قدم داخل القصر الامبراطوري من خلال هذا الزواج أملاً في أن يصبح هو نفسه الامبراطور البيزنطي .

وما كاد سيمون يصل لبلاده حتى انقلبت الأوضاع داخل بيزنطة فبددت أحلامه ، ذلك أن الامبراطورة زوى عادت إلى القصر وتولت السلطة وأعلنت رفض زواج ابنها القاصر من فتاة بربرية أي بلغارية ، فعاد سيمون مرة أخرى واستولى على أدرنه Adrianople في سبتمبر عام ٩١٤م . ولكن القوات البيزنطية استعادتها مرة أخرى[٢] ، ولم يصعد سيمون الحرب في هذه المرحلة أملاً في تفاهم مع بيزنطة من خلال البطريق نيقولا .

لم تحقق الوسائل السلمية آمال سيمون في احتواء عرش بيزنطة وما أن هل عام ٩١٦م ، حتى وصلت القوات البلغارية إلى كورنثه Corinth ، ولجأت زوى إلى محالفة البجناكية ولكن الحظ حالف سيمون وخرج من هذه المعركة منتصراً . وحاولت الامبراطورة إنقاذ الموقف فعينت ليو فوقاس قائداً للقوات ، وكان اللقاء عند مدينة أنخيالوس[٣] Anchialus في العشرين من أغسطس عام ٩١٧م ، وفاجأ سيمون القوات البيزنطية ودارت معركة مروعة هزمت فيها القوات البيزنطية هزيمة ساحقة ، ولم ينج من المذبحة سوى ليو فوقاس وعدد قليل من رجاله[٤] .

---

(١) Theophanes Continuatus, op. cit., p. 385.

(٢) Theophanes Continuatus, op. cit., p. 384 .

وانظر ايضا : Nicolas I, op. cit., Letter no. 5.

(٣) انظر ما يلي الموضوع رقم ٣٢ .

(٤) Runceinan, A History of the First Bulgarian Empire, p. 161 .

أحست الامبراطورة زوى بعجز القوات البيزنطية عن لقاء سيمون وقواته ، فلجأت إلى تحريض الصرب على البلغار ، ووصلت سفارة بيزنطية إلى بلاط بطرس Peter (٨٩٣ – ٩١٧م) بعد معركة أنخيالوس ، ونجحت السفارة في إقناع الصرب بخطورة البلغار عليهم . وعلم سيمون بأنباء هذه السفارة ونواياها ، فبدأ بالضربة الأولى ، ونجح بالحرب والحيلة في أسر بطرس ثم نصب على عرش الصرب ابن عمه بولس Paul (٩١٧ – ٩٢٠م) الذي كان ضيفاً على بلاط بلغاريا لوقت طويل[١] .

والواقع أن انشغال البلغار بالحرب مع الصرب قد أعطى الفرصة للقوات البيزنطية لإعادة تنظيم صفوفها ، ووضعت زوى ليو فوقاس على رأس القوات مرة أخرى ، ولكن هذه القوات هزمت أيضاً في معركة كاتاسيرتاى الأولى Catasyrtae في أواخر عام ٩١٨م[٢] ولم يبق أمام سيمون سوى مهاجمة العاصمة البيزنطية ، ولكنه لم ينجح في اقتحامها لمناعتها . وأصرت زوى المحتمية في عاصمتها على رفض طلبات سيمون الخاصة بزواج ابنها قسطنطين السابع من ابنة سيمون ، وانتهى الأمر بعودة سيمون إلى عاصمته برسلاف Preslv[٣] .

وخابت آمال سيمون عندما قفز على عرش الامبراطورية بعد قليل – في مارس ٩١٩م – رومانوس ليكابينوس وزوج ابنته هيلينا للامبراطور الشرعي قسطنطين السابع في أبريل من نفس العام . وأحس سيمون في خضم هذه الأحداث التي تتلاحق بأن أمله قد ضاع ، وأن ما خطط له

---

(١) انظر الموضوع رقم ٣٢ .

(٢) Theophanes Continuatus, op. cit., p. 390

(٣) Nicholas I, op. cit., Letter no. 9 .

في سنوات وحشد من أجله آلاف القوات قد ضاع في بضعة أشهر [1].

غزا سيمون تراقيه Thrace في صيف عام ٩١٩م ، ولكنه اضطر للعودة إلى بلاده ليواجه المتاعب التي أثارها الصرب ضد البلغار بتحريض من بيزنطة[٢] ، وعاود الغزو مرة أخرى في عام ٩٢١ م ولكن البلغار هزموا هذه المرة في معركة كاتاسيرتاي الثانية ، وإن كانت الخسائر التي لحقت بالقوات البلغارية لم تكن كبيرة[٣] . وأعاد سيمون تنظيم قواته وحاول اقتحام القسطنطينية في عام ٩٢٢م ، ودارت بين القوات البيزنطية والقوات البلغارية معارك لم تكن حاسمة لأي من الطرفين . وتجددت الحرب مرة أخرى في العام التالي ٩٢٣م وحاصر سيمون أدرنه واستولى عليها ، وكان بوسعه التقدم إلى العاصمة البيزنطية . ولكن المتاعب التي جاءت من قبل الصرب ، بتحريض البيزنطيين الذين لم يكن بوسعهم تعبئة كل قواتهم لمواجهة سيمون لانشغالهم بالحرب على الجبهة الشرقية ، قد حالت دون ذلك[٤] .

وانتصر سيمون على الصرب كعادته ، وتحول مرة أخرى إلى البيزنطيين ولم تفلح محاولات البطريق نيقولا مستيكوس والبابا في روما في إيقاف زحف سيمون[٥] ، وهاجم البلغار القسطنطينية في سبتمبر عام ٩٢٤م ، ولكن مناعة أسوار المدينة حالت بينه وبينها هذه المرة أيضاً ، فالعاصمة مفتوحة من ناحية البحر وليس لدى البلغار أسطول لإحكام الحصار . ولجأ

---

(١) Nicholas I, op. cit., Letter no. 19 .

(٢) انظر ما يلي الموضوع رقم ٣٢ .

(٣) Theophanes Continuatus, op. cit., p. 400 .

(٤) Runciman, A History of the First Bulgarian Empire, pp. 166 - 7.

(٥) Nicholas I, op. cit., Letter no. 28 .

سيمون إلى التحالف مع الفاطميين في شمال إفريقيا، ولكن الأسطول البيزنطي أفسد هذه الخطة وأسرت قوة بحرية بيزنطية السفن الفاطمية عند الساحل الجنوبي لإيطاليا ورضيت الدولة الفاطمية بالمال عوضاً عن الحرب[1]. كما سعت بيزنطة إلى الخلافة العباسية في بغداد لعقد صلح على الجبهة الشرقية[2]، حتى يمكن نقل القوات البيزنطية إلى الجانب الغربي.

أيقن سيمون بعد كل هذه الأحداث أن لا بديل له سوى الصلح فقد انتصر في مواقع متعددة تمتد من ديراكيوم Dyrrachium إلى أسوار القسطنطينية وسيطر على هذه الأقاليم وما حولها والعاصمة صامدة لمناعة أسوارها، في الوقت الذي لا يملك فيه البلغار أسطولاً لاستكمال الحصار. ومن هنا وجد سيمون أن الصلح أصبح هو السياسة العملية في ذاك الوقت على الأقل.

كانت مصلحة بيزنطة تدفعها للصلح بعدما قاست الكثير من الحروب البلغارية[3]، فأعدت الترتيبات لمقابلة سيمون ورومانوس وتم الاتفاق على انسحاب سيمون من الأراضي البيزنطية مقابل ما تقدمه بيزنطة من أموال وهدايا سنوية. وعاد سيمون إلى وطنه ولكنه لم ينفذ الاتفاق فقد ظل محتفظاً ببعض الأراضي، كما لقب نفسه بامبراطور الرومان والبلغار، واحتج رومانوس ولكن سيمون عزز مركزه عندما أيده البابا في لقبه وأرسل مندوبين من قبله لتهنئة سيمون، كما رفع سيمون رئيس أساقفته

(١) Cedrenus, Georgius, Historiarum - Compendium, p. 536.

(٢) ورد في احداث عام ٣١٢ هـ ٩٢٤ م • وفيها ورد رسول ملك الروم بهدايا كثيرة ••• فطلبا من المقتدر الهدنة وتقرير الفداء • انظر ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ١٥٧ •

(٣) Nicholas I, op. cit., Letter no. 22, 31.

إلى مرتبة البطريق . ولم تتحرك القسطنطينية إزاء هذا الإجراء ، فقد مات البطريق نيقولا مستيكوس في عام ٩٢٥م[1] وأطمع هذا سيمون في مهاجمة القسطنطينية مرة أخرى واستعد في عام ٩٢٧م لهذا العمل ولكن موته في العام نفسه حال دون ذلك ، في الوقت الذي كانت فيه بيزنطة تترقب نتائج الحرب بين الصرب والبلغار وهي الحرب التي أثارتها لمصلحتها[2] .

خلف الأب سيمون الابن بطرس ٩٢٧ - ٩٦٩م ليحكم دولة بلغارية واسعة تمتد من أدنى الدانوب شمالاً إلى سالونيك Thessalonica جنوباً، ومن مدينة فارنا Varna على البحر الأسود شرقاً وإلى الحدود الصربية غرباً . واختلف الأمر في حياة الابن المولع بالترف عن حياة الأب ، ولا عجب أن تبدل الحال ، فقد عقد بطرس صلحاً مع بيزنطة حصل بموجبه على لقب قيصر وليس امبراطوراً ، واعترف رومانوس بالبطريقة التي أقامها البلغار في برسلاف العاصمة[3] . وتوج هذا الصلح بأن تزوج بطرس من ماريا ليكابينا Maria Lecapena ابنه كريستوفر الابن الأكبر للامبراطور رومانوس[4] . واستمر هذا الصلح بقية عهد رومانوس وطوال عهد قسطنطين السابع ، كما استمر بعد ذلك لبعض الوقت . إلا أن الحرب تجددت مرة أخرى في عهد نقفور فوقاس Nicephorus Phocas (٩٦٣ - ٩٦٩م) .

وإذا كان ما سبق موجز لأحداث العلاقات البيزنطية البلغارية في عصر رومانوس وقسطنطين السابع ، فإن أهم أحداث الصراع البيزنطي العربي

---

(١) George Monachus, op. cit., p. 902 .

(٢) انظر ما يلي الموضوع رقم ٣٢ .

(٣) Runciman, A History of the First Bulgarian Empire, pp. 178 - 9.

(٤) انظر ما يلي الموضوع رقم ١٣ .

في هذه المرحلة بدأ بنصر بحري أنزلته البحرية البيزنطية بالأسطول العربي في عام ٩٢٤م / ٣١٢هـ ، وعلى رأسه ليو الطرابلسي Leo of Tripolis في ميناء ليمنوس Lemnos [(١)] .

وبعد زوال الخطر البلغاري بدأت الاعتداءات البيزنطية على الشرق في عام ٩٢٨م / ٣١٦هـ بقيادة حنا كراكوس وأخيه ثيوفيلوس Theophilus وكان مسرح الأحداث بلاد الجزيرة وأرمينيا ، وتمكن البيزنطيون من الاستيلاء على أرزن الروم وأخرجوا العرب من أرمينيا نهائياً . وأول نجاح أحرزته القوات البيزنطية هو استيلاء حنا كراكوس على مدينة ملطية عام ٩٣١م/ ٣١٩هـ وهي المدينة الهامة التي كانت دائماً هدفاً لمحاولات الامبراطورية للسيطرة عليها ، ولكن العرب تمكنوا من استعادتها مرة أخرى ، ثم ما لبثت أن استسلمت المدينة مرة أخرى للقائد البيزنطي في التاسع عشر من مايو ٩٣٤م/ ٣٢٣هـ [(٢)] . ولعل نجاح بيزنطة في هذه المرحلة يرجع إلى سوء أحوال الدولة العباسية في بغداد حيث كانت تعاني الضعف والانحلال .

لم يكن ذلك نهاية الصراع العربي في هذه المرحلة ، فقد التقت بيزنطة بخصم عنيد يتمثل في شخص أمير الموصل وهو سيف الدين الحمداني لأن ضعف الخلافة في بغداد نقل عبء الجهاد إلى سيف الدولة . ولجأت بيزنطية إلى ضرب

---

(١) Theophanes Continutus, op. cit., p. 405; Nicholas I, op. cit., Letter no. 23 .

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ج ٨ ص ٢٣٤ ــ ٢٣٥ ،
Theophanes Continuatus, op. cit., p. 415 .

سيف الدولة بإقامة علاقات الصداقة مع الخليفة العباسي في بغداد[1] ، ولم يتأثر سيف الدولة بهذه العلاقات وتصدى للدولة البيزنطية ونجح في إلحاق الهزائم بالقوات البيزنطية عام ٩٣٨ م / ٣٢٧هـ التي كانت تحت قيادة حنا كراكوس أمام حصن زياد ، وتقدم سيف الدولة إلى أرمينيا وأجبر كثيراً من الأمراء الأرمن على الاعتراف بسيادته[2] .

وعلى أثر خضوع الأرمن لسيف الدولة أنفذت الامبراطورية البيزنطية في عام ٩٣٩ م / ٣٢٨هـ حملة عسكرية لتأديب الأمراء الأرمن بعدما امتنعوا عن الهجوم على الأراضي العربية[3] ، وكان على سيف الدولة أن يهب لمساعدتهم بعد ما أرسلوا إليه يسألونه النجدة ، وتوغل سيف الدولة داخل الأراضي البيزنطية في عام ٩٤٠م/ ٣٢٩هـ وأخذ يدمر ويخرب ، ثم دخل ثيم خالديا Chaldian ، واستولى على عدد من الحصون والمدن فيها ، ثم تقدم إلى مدينة كولوني Colonea وحاصرها[4] ، وعلى أثر هذه الانتصارات أصبح سيف الدولة زعيم الجهاد الأكبر في الأقطار الاسلامية ضد البيزنطيين .

وكان على بيزنطة أن تعمل على وقف هذا الخطر الجديد المتمثل في سيف الدولة ، ففي نهاية عام ٩٤٠ م تقدمت القوات البيزنطية حتى

---

(١) تم في عام ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ ــ ٩٣٨ م فداء ستة آلاف وثلاثمائة من أسرى المسلمين • انظر ابن الاثير ٨ ص ٣٥٢ ، وارسلت بيزنطة في طلب الهدنة • راجع كتاب ملك الروم الى الخليفة الراضي • أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٢٦٢ ــ ٢٦٣ •

(٢) انظر ما يلي الموضوع رقم ٤٥ ، راجع ايضا :
Runciman, The Emperor Romanus Lecapenus, p. 143.

(٣) راجع ما يلي الموضوع رقم ٤٥ •

(٤) Runciman, op. cit., p. 144 .

كفر تونه[1] ، ولكن المعارك توقفت من كلا الطرفين لانشغال سيف الدولة ببعض المشاكل الداخلية ، وانشغال بيزنطة بالخطر الروسي على شمال الامبراطورية[2] .

وبعد هزيمة الروس أصبح بوسع القوات البيزنطية أن تعاود نشاطها ضد العرب ، ففي عام ٩٤٣م/ ٣٣٢هـ كانت الجولة في أراضي الجزيرة ، وانقض حنا كراكوس فجأة على ميافارقين واستولى عليها ، كما استولى على آمد ودارا ونصيبين . وتشجعت الامبراطورية البيزنطية بهذا النصر ، فحاصر كراكوس مدينة الرها حصاراً شديداً لم تتحمله المدينة فاستسلمت في عام ٩٤٤م/ ٣٣٣هـ ، ودخلها كركواس واستولى على الآثار الدينية المسيحية الموجودة بالمدينة ومنها منديل السيد المسيح ، وأرسلت هذه الآثار إلى القسطنطينية واحتفل بها في حفل ديني كبير[3] . ومع انشغال سيف الدولة بالصراع على مدينة حلب ، اندفع البيزنطيون إلى منطقة مرعش ومنطقة بغراس وتقدموا حتى أبواب انطاكية . ولكن القوات البيزنطية اضطرت إلى التراجع بعدما ردعليهم سيف الدولة بالإغارة على عرابسوس[4] .

وهدأ الحال نسبياً مدة أربع سنوات، لم يتخللها سوى فداء الأسرى عند نهر اللامس عام ٩٤٦م/ ٣٣٥هـ ، ولكن الحرب تجددت في عام ٩٤٨م عندما توجهت القوات البيزنطية من ملطية وسميساط إلى أرض الجزيرة ، ولكن سيف الدولة تصدى لهم[5] .

---

(١) ابو المحاسن : المصدر السابق جـ ٣ ص ٢٧٠ .

(٢) Runciman, The Emperor Romanus Lecapenus, p. 144 .

(٣) ابن الاثير المصدر السابق ج ٨ ص ٤٠٥ ، انظر ايضا Theophanes Continuatus, op. cit., p. 432 .

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ ص ١١٣ .

(٥) ابو المحاسن : المصدر السابق ج ٣ ص ٢٩٥ .

وواصلت الامبراطورية البيزنطية سياستها الهجومية التي تميزت بها في هذه المرحلة ، ففي عام ٩٤٩م/ ٣٤٨هـ حشدت الامبراطورية البيزنطية قواتها تحت قيادة ليو فوقاس الذي تمكن من الاستيلاء على مدينة الحدث عنوة ودك حصونها ، كما نجح البيزنطيون في العام نفسه من السيطرة على مدينة مرعش[١] . وشجعت الانتصارات البرية الامبراطورية البيزنطية على نقل ميدان المعركة إلى كريت ، ففي العام نفسه انقض الأسطول البيزنطي على الجزيرة ولكن المحاولة باءت بالفشل[٢] .

وأدى الإخفاق البحري إلى معاودة الهجوم على الأراضي العربية . ففي عام ٩٥٠م/ ٣٣٩هـ ، انقض ليو فوقاس على شمال الشام وحاصر بوقه في سهل العمق ، واحتكم الطرفان إلى الصلح ، وكاد الاتفاق يتم ، ولكن مروان القرمطي — وهو أحد رجال سيف الدولة — قتل أحد رجال الوفد البيزنطي ، فتوقفت المفاوضات وطالب الامبراطور قسطنطين السابع بتسليم القاتل . وعلى الرغم من اعتذار سيف الدولة وقبوله دفع التعويض إلا أن الامبراطور أصر على طلبه فانقطعت المفاوضات[٣] ، واحتكم الطرفان للسيف مرة أخرى في العام نفسه .

استعد سيف الدولة استعداداً ضخماً وتوغل بجيشه شمالاً حتى نهر الهاليس يسبي ويحرق حتى بداية فصل الشتاء ، واكتفى بما أحدثه من خراب فاستعد للعودة ، ولكن القوات البيزنطية بقيادة ليو فوقاس فاجأته عند عودته في منطقة خرشنة Charsian ونجح سيف الدولة في السيطرة

---

(١) ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ١٢٠ .
انظر ايضا : Cedrenus, op. cit., p. 336 .
(٢) Constantine Porphyrogenitus, De Ceremoniis, pp. 664 - 6 .
(٣) ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ١٤٧ .

على الموقف في أول الأمر ، إلا أن القوات البيزنطية تمكنت من إعادة تنظيم نفسها مرة أخرى ، وكمنت للقوات الحمدانية في درب الجوازات بين البستين والحدث واشتد الخناق على الحمدانيين ولم ينجح سيف الدولة إلا بصعوبة ، وعرفت هذه الغزوة باسم غزوة المصيبة[1] ، ولعل هذه التسمية راجعة إلى نتائجها .

لم تفت هذه الهزائم في عضد سيف الدولة فاستعد للحرب في العام التالي ٩٥١م / ٣٤٠ هـ ، واتجه إلى قبادوقيا ولكنه عاد مهزوماً[2] ثم استمرت الحرب بين الطرفين بعد ذلك لمدة سبع سنوات في قيلقية والجزيرة ، ولم يكن هناك نصر حاسم لأي من الطرفين[3] . ومع عام ٩٥٨ م / ٣٤٧هـ بدأت ملامح الضعف في الدولة الحمدانية وكان لذلك أثره على موازين القوى في المنطقة .

بعد هذا العرض الموجز للصراع البيزنطي العربي في عصر رومانوس وقسطنطين يمكن القول بأن الانتصارات التي حققتها الامبراطورية البيزنطية في الشرق في هذه الفترة زادت من رقعة الامبراطورية ومن هيبتها ومهدت الطريق لفتوحات أكبر في عهد خلفائهما .

وإن كان ما يميز هذه الفترة أن السيف كان هو الحكم بين عرب المشرق والامبراطورية البيزنطية ، فإن الأمر قد اختلف مع الخلافة الأموية في الأندلس ، فقد استقبل الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر ٣٠٠ — ٣٥٠هـ / ٩١٢ — ٩٦١م ، سفارة بيزنطية في قرطبة عام ٣٣٦هـ / ٩٤٧ م للعمل على « موادعته » على حد قول المقرى[4] ، لأن الامبراطور قسطنطين

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ج ٨ ص ٤٨٥ — ٤٨٦ ، ابن العديم : المصدر السابق جـ ١ ص ١٢١ .

(٢) Ostrogorsky, op. cit., p. 250 .

(٣) ابن العديم : المصدر السابق ج ١ ص ١٢٣ — ١٢٤ .

(٤) المقري : نفح الطيب : ج ١ ص ٢٦٤ وما بعدها .

السابع كان يخشى نوايا الفاطميين الذين سبق لهم التحالف مع البلغار ضد رومانوس الأول .

واستكمالاً للعلاقات البيزنطية مع العرب ، يبقى عرب صقلية والمدن الإيطالية التي تسيطر عليها جيوش عربية ، ورغم أن العمليات العسكرية لم تتوقف في هذه الفترة ، إلا أن هذه العمليات لم تكن ذات أهمية كبرى ، ولم تؤد إلى نتائج حاسمة ، ولم يترتب عليها تغيير في الحدود البيزنطية بشكل ملموس .

واشتمل أيضاً عصر رومانوس وقسطنطين السابع على صراع بين الامبراطورية والروس . والواقع أن عهد الروس ببيزنطة ليس ببعيد عن هذه الفترة ، فأول غارة قام بها الروس على الامبراطورية كانت على القسطنطينية في عام ٨٦٠م خلال عهد الامبراطور ميخائيل الثالث Michael III ٨٤٢ – ٨٦٧م . والواقع أن الهجوم الروسي لم يستهدف الغزو بل كان من أجل السلب والنهب ، لذلك عادت القوات الروسية بعد أن حققت أهدافها[1] .

وتجدد الصراع مرة أخرى في عهد ليو السادس ، واقتحم الروس بقيادة أميرهم أولج Oleg المياه البيزنطية ووصلوا حتى أسوار العاصمة في عام ٩٠٧م . ونجح الروس في إنزال بعض الخسائر ببعض المواقع البيزنطية[2] . واضطر ليو إلى التفاوض ، وانتهى الأمر بعقد اتفاق بين

---

(١) عن هجوم الروس وانسحابهم راجع :
Photius, The Homilies, pp. 82 F., 95 F.

(٢) Jenkins, R., The Supposed Russian Attack on Constantinople in 907, pp. 403 - 6 .

الطرفين . وتجدد هذا الاتفاق مرة أخرى عام ٩١١ م ، ونصت بنوده على منح تسهيلات وامتيازات تجارية في الأراضي البيزنطية(١) . واستمر السلام بين الطرفين حوالى ثلاثين عاماً ، انتعشت خلالها التجارة بين الطرفين ، واستمر البيزنطيون في سياستهم التي ترمي إلى كسب الروس إلى جانبهم عن طريق الهدايا .

وفي عام ٩٤١م تعكر صفو السلام بين الطرفين ، فقد قام الأمير الروسي إيجور Igor بحملة فجائية على العاصمة البيزنطية ، ودخلت السفن الروسية مضيق البسفور ورست القوات الروسية على الشاطئ الآسيوي للبسفور في إقليم بثينا Bithynia ونهبوا وسلبوا . وفي ذلك الوقت كانت القوات البيزنطية تحارب في الشرق عند مدينة ملطية ، فاستدارت القوات وعلى رأسها حنا كركواس وتوجهت إلى ميدان القتال وهزمت الروس شر هزيمة في إقليم بثينا . وحاولت القوات الروسية الفرار عن طريق البحر ، ولكن ثيوفانيس Theophanes قاد حملة بحرية عليهم – وهم يعدون العدة للانسحاب – مستخدماً النـــار الاغريقية ونجح في تدمير سفنهم التي قدموا عليها(٢) .

وعاود الروس الإغارة على الأراضي البيزنطية في خريف عام ٩٤٤م ، واستعدوا استعداداً ضخماً هذه المرة وتحالفوا مع البجناكية لضرب الامبراطورية ، وحددوا ميدان المعركة في هذه المرحلة لكي يكون على نهر الدانوب بدلاً من الشاطىء الآسيوي ، ليكونوا على مقربة من البجناكية المتحالفين

---

(١) Ostrogorsky, op., cit., p. 229 .

(٢) Theophanes Continuatus, op - cit., pp. 423 F.

انظر ايضا :

Runciman, The Emperor Romanus Lecapenus, pp. 111 - 2 .

معهم[1] ، والواضح أن الامبراطورية لم تكن على استعداد لملاقاة الروس والبجناكية لانشغالها بحروبها في الشرق خلال هذا العام، وما تلى ذلك من الصراع على العرش بين ولدي رومانوس وقسطنطين السابع ؛ لذلك وجدت الدولة أن من الحكمة أن تريح نفسها من هذا الصراع في الوقت الذي تعلم فيه أن الأموال والهدايا لها مفعول أقوى من مفعول السيوف مع مثل هذه الأقوام ، لذلك انتهى الأمر بالصلح في نفس العام ، وكلل هذا الصلح بمعاهدة تجارية تتلاقى في خطوطها الرئيسية مع صلح عام ٩١١م . ولكنها كانت لصالح الامبراطورية البيزنطية أكثر منها لصالح روسيا[2] .

ساد السلام بين بيزنطية والروس ، وتوطدت أركان الصداقة بينهما عندما زارت الامبراطورة أولجا Olga — أرملة إيجور والوصية على العرش الروسي -- القسطنطينية حيث تم استقبالها استقبالاً حاراً وعمّدها بوليكتوس ployeuctus بطريق الامبراطورية ٩٥٦ — ٩٧٠م ، وسميت باسم هيلينا — وهو اسم زوجة الامبراطور قسطنطين السابع — وإن كان البعض يرى أنها اعتنقت المسيحية قبل ذلك بعدة سنوات[3] . والمهم أن هذا الحدث فتح عصراً جديداً في العلاقات البيزنطية الروسية ، وفتحت الكنيسة البيزنطية الأرثوذكسية أرضاً صالحة للقيام بعملها التبشيري في روسيا .

مما تقدم يتضح لنا الملامح الرئيسية للعلاقات البيزنطية مع البلغار وعرب المشرق والمغرب والروس . وكانت هناك علاقات مع العناصر الأخرى

---

(١) Ostrogorsky, op - cit., p. 245 .

(٢) Vasiliev, History of Byzantine Empire, I, p. 322 .

(٣) Ostrogorsky, op. cit., p. 251 and n. 2 .

راجع ايضا : Toynbee, op. cit., p. 499

مثل البجناكية والصرب والماجيار والكرجيين والأبازجيانيين وأمراء الأرمن والخزر والالآن ومع الامبراطورية الرومانية وبعض المقاطعات الأوروبية الأخرى[1] . ولكن مثل هذه العلاقات سواء أكانت عسكرية أم سلمية لم يكن لها ذالك الأثر الذي تركته العلاقات مع العرب أو البلغار أو الروس .

---

(١) تتبع جانب من هذه العلاقات في موضوعات ادارة الامبراطورية ٠

الفصل الثاني

تحليل كتاب إدارة الامبراطورية

قسطنطين السابع : شخصيته وثقافته ومؤلفاته ـ تاريخ وضع الكتاب ـ مصادر الكتاب ـ موضوعات الكتاب ـ وحدة الموضوع ـ التسلسل التاريخي ـ كتابة اسماء الشخصيات ـ تأريخ الاحداث ـ الاساطير ـ بعض الاخطاء ٠

كان الامبراطور قسطنطين السابع الابن الثاني والوحيد الذي ظل على قيد الحياة من أبناء الامبراطور ليو السادس. وكانت الفترة الأولى من حياة قسطنطين مليئة بالكوارث التي لم يكن له يد فيها، كما كان ضعيفاً معتل الصحة، وكان يشكو طيلة حياته من سوء صحته[1]. كما أن مولد أبيه موضع شك[2]، وقسطنطين نفسه مولود غير شرعي، ولو أنه اعترف به فيما بعد مولوداً شرعياً. ومن هنا نجده يركز بصفة دائمة على أنه ووالده ليو وليدا الغرفة الأرجوانية[3]، حتى أنه لقب قسطنطين بورفيروجنيتوس.

كان قسطنطين عريض المنكبين، معتدل القامة، مستطيل الوجه، معكوف الأنف، ذا عينين زرقاوتين وبشرة شقراء. كما أنه كان تقي الخلق متديناً صادقاً في أداء الواجب. وقد صورته الأحاديث المتواترة عنه بأنه كان شخصية ضعيفة متواكلة، ولكنه كان فناناً مجتهداً مثابراً، وكان يشرب الخمر لعلاج خجله ويقسو في بعض الوقت مقابل ما يشعر به من عدم ثقة في نفسه[4].

ولعل كل هذا مرده إلى أن قسطنطين وُضع منذ بلوغه السابعة من عمره تحت وصاية عمه الكسندر، فأمه زوى، فالبطريق نيقولا مستيكوس

---

(١) Bury, History of Eastern Roman Empire, p. 169

(٢) Theophanes Continuatus, op. cit., pp. 464 - 5 .

(٣) انظر ما يلي الموضوع رقم ٤٥ .

(٤) Constantin Porphyrogenitus, De Adminstrando Imperio, p. 9 .

ثم رومانوس ليكابينوس . وبعد أن استولى الأخير على السلطة عام ٩٢٠م ، ظل قسطنطين تحت وصاية مهنية طوال ربع قرن تقريباً . ورغم أنه كان متزوجاً من هيلينا إبنة رومانوس إلا أنه هبط إلى المرتبة الثانية أو الثالثة وربما الخامسة في سلم الأباطرة المشتركين في الحكم[١] .

وعندما استولى قسطنطين على السلطة في عام ٩٤٥م استقل بعرشه الذي كان حقاً بلا منازع . وفي الأربعة عشر عاماً اللاحقة حكم أو يبدو أنه حكم لأن السلطة الفعلية كانت على ما يبدو في أيدي زوجته هيلينا ، وبازيل بتينوس Basil Peteinos رئيس جماعات الجند ، وثيوفيلوس Theophilus رئيس حكومة العاصمة ، وجوزيف برنجاس Joseph Bringas وزير المالية ، والخص بازيل رئيس كتائب الرفقاء[٢] ، فقد كان هؤلاء يمثلون الإدارة الداخلية للامبراطورية . ورغم هذا كله فقد كان قسطنطين محبوباً من شعبه ، وقد عبر الشعب عن هذا الحب الغميق بالحزن الذي صاحب تشييع جنازته[٣] .

لقد ورث قسطنطين عن أبيه حب المعرفة وزاد هذا الحب بالعزلة التي فرضت عليه، فقد كرس جهده بحماس لا يعرف الكلل لدقائق الاقسام الإدارية والمراسيم الامبراطورية . ومن خلال هذه المعرفة أسهم في رخاء الامبراطورية داخلياً بتشجيع التعليم ، وخارجياً عن طريق العلاقات الدبلوماسية[٤] . ولم يقتصر الأمر على هذه المعارف بل عمل على تنميتها

---

(١) كانت الكتب ترسل من القسطنطينية الى الخليفة الراضي باسم رومانوس وولديه قسطنطين وستيفن،كما كانت الكتب ترسل الى القسطنطينية بهذه الكيفية . انظر : ابو المحاسن : المصدر السابق جـ ٣ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ .

(٢) Cedrenus, op. cit., p. 326 .

(٣) Constantine Porphyrogenitus, De Administrando Imperio, p. 9.

(٤) Toynbee, op. cit., p. 5.

دون انقطاع ، لذلك نجده وقد اهتم بالفنون والآداب والتأريخ والآثار القديمة .

ومن هنا نجد أن إنجازاته في الميدان الثقافي عظيمة . ولا شك أنه أحس بقيمة هذه المعارف وأراد أن يلقنها لابنه رومانوس الثاني Romanus II ٩٥٩ ــ ٩٦٣م ، ليؤهله لمسئولياته كإمبراطور يرث العرش من بعده . فقد كان قسطنطين يؤمن بضرورة المعرفة لأنها تعين الفرد العادي على الوصول إلى القرار السليم والحكيم في أعماله ، وإذا كانت هذه نظرته للفرد العادي فما بالك بالشخص المسئول عن ولاية أو دولة بأكملها[1] .

هذا الإيمان بالقيمة العملية للتعليم قد أوضحه قسطنطين نفسه في كتاباته وركز عليه أكثر من مرة ، ومن هذا المنطلق يجتهد قسطنطين في جمع المواد التعليمية . وكان له في ذلك طرق متعددة منها ؛ البحث الدؤوب عن الكتب وجمعها ، ولم يكن ذلك بالأمر السهل لندرة هذه الكتب ، ومنها أيضاً جمع النصوص من الكتب المتوفرة ، وهذا أيضاً أمر صعب لا يقدر عليه إلا شخص واع . يضاف إلى ذلك كتابة تاريخ الأحداث القريبة من عهده . ولا شك أن كل هذا يحتاج إلى جهد جماعي ، لذلك نجد مجموعة من الكتاب تقوم بهذا العمل ، ولعل ذلك كان تحت بصر قسطنطين وأحياناً بإملائه . وكانت هذه المجموعة تراجع وتفحص وتلخص الوثائق من ملفات دور المحفوظات ، وكذلك تقارير حكام الأقاليم ومبعوثي الامبراطور وما حوته هذه التقارير من معلومات تاريخية وطبوغرافية عن مناطقهم ، ومن المعلومات التي يقدمها السفراء عن بلادهم ، وهكذا نجد أن قسطنطين

---

(١) انظر ما يلي الموضوع رقم ١ وخاتمة الموضوع رقم ١٣ .

عمل على جمع المعلومات بطرق مختلفة ثم عهد بها إلى من صنفوهــا ورتبوها[1] .

والواقع أن الامبراطور قسطنطين يصعب مقارنته بأباطرة عصره من حيث عمق الثقافة واهتمامه بجمع المعلومات . فقد ألف عدة كتب وأنشأ مكتبات اكتسب منها خلفاؤه معارفهم ، وفضلاً عن ذلك فقد بلغت بيزنطة في عهده مجداً عسكرياً إلى جانب المجد الثقافي .

ومؤلفات الامبراطور قسطنطين متعددة وفي موضوعات مختلفة : منها كتاب عن مراسم البلاط البيزنطي De Cerimoniis Aulae Byzantinae ، وكتاب آخر أعده ليكون تاريخاً لجده الامبراطور بازيل الأول Vita Basili ٨٦٧ — ٨٨٦م ، وكتاب عن الثيمات De Thematibus ، وكتاب عن الآثار الدينية لمدينة الرها Narratio de Imagine Edessenah ، والكتاب المعروف باسم إدارة الامبراطورية De Administrando Imperio وهو الكتاب موضوع الدراسة .

والواقع أن قسطنطين لم يضع هذا الاسم لمؤلفه وإنما وضعه جون موريس John Meurrius ، الذي نشر هذا الكتاب لأول مرة عام ١٦١١م ، والتزم بهذه التسمية كل من تناول هذا الكتاب بعد ذلك في عام ١٦١٧م ، ١٧١١م ، ١٧٢٩م ، ١٨٦٤م ، وفي عام ١٨٩٢م قام ر . فارى R. Vari وهو باحث هنغاري بضبط النص اليوناني للكتاب ، ثم سلم النص بدوره إلى المؤرخ بيورى ، وقدقام الأخير بتسليمه إلى جنكينز Jenkins [2] ، الذي نشر النص اليوناني مع ترجمة باللغــة الانجليزية ، وهي النسخة التي رجعنا إليها .

---

(١) يتضح ذلك من طريقة عرض موضوعات كتاب ادارة الامبراطورية الذي بين ايدينا ، تابع تعليق الباحث على الكتاب في الصفحات التالية .

(٢) Constantine Porphyrogenitus, De Admistrando Imperio, pp. 23-5.

وكتاب إدارة الامبراطورية هو كتيب إمبراطوري يقدمه قسطنطين إلى ابنه رومانوس. وتناول الكتاب موضوعات مختلفة، اشتملت على معلومات تاريخية وجغرافية واجتماعية ودينية ودبلوماسية ونظام الحكم والإدارة، بهدف تعليم ولي عهده شئون الحكم وإلمامه بخبايا وشئون الامبراطورية السابقة والمعاصرة له، وتزويده بخبرات الآخرين للتصرف على ضوئها في الظروف المماثلة.

والكتاب وإن كان يحتوي على نصائح وخبرات الامبراطور قسطنطين فإنه يقدمه لابنه كوثيقة سرية، ونقول أنه وثيقة سرية لأنه يتضمن الكثير من المبادئ السياسية في معاملة الشعوب وخاصة العناصر التي تقطن شرق وشمال وغرب الامبراطورية، ويتضح ذلك من الموضوعات الأولى في الكتاب، وأن الإفصاح عنها يجعلها عديمة الفائدة. كما أن الصفات التي وردت في وصف هذه الشعوب أمر مثير لها، وفضلاً عن ذلك فإن ما قدمه قسطنطين من نقد واضح وصريح للامبراطور رومانوس ينبغي ألا يطلع عليه الغير[1].

وتاريخ وضع الكتاب أو الانتهاء منه لم يقدمه لنا المؤلف. والمشكلة هنا أن ما ورد في الكتاب ليس سرداً لأحداث تاريخية مترابطة يمكن تحديد بدايتها أو نهايتها، وإنما هي موضوعات متشعبة لا تكوّن وحدة واحدة. وكان علينا أن نتلمس تاريخ كتابة الكتاب في مواضع متفرقة، ومن بين السطور التي وردت بالنص. ويلاحظ أن المؤلف لم يؤرخ الأحداث بالتاريخ الميلادي وإنما أشار في بعض مواضع متناثرة — وهي

(١) انظر ما يلي الموضوع رقم ١٣ .

نادرة — إلى سني بعض الأحداث بتاريخ بداية العالم[1] ، أو بالسنة الضريبية[2] ، أو بسني حكم الامبراطور في الأحداث السابقة لعصره .

وما يهمنا في هذا الأمر وهو الوصول إلى تاريخ وضع الكتاب؛ أن المؤلف سجل في ثنايا الكتاب السنة التي كان يسجل فيها بعض الأحداث ، فقد أورد في الموضوع (٢٦) بعض المعلومات وذكر أن هذه الأحداث تقع في عام ٦٤٥٧ منذ بداية العالم . ولما كان عام ١م يعادل ٥٥٠٨ منذ بداية العالم فإن تاريخ تسجيل هذه الأحداث يعادل عام ٩٤٩م

وأورد المؤلف مرة أخرى بعض الأحداث في الموضوع (٤٥) وذكر أنها تقع في عام ٦٤٦٠ من تاريخ خلق العالم وبذلك يكون التاريخ الميلادي لهذه الأحداث هو عام ٩٥٢م .

وسجل قسطنطين بعض الأحداث المتعلقة بمعركة بلجاروفيجون في الموضوع (٤٠) ، ثم ذكر أن الأتراك والمقصود بهم الماجيار نزحوا إلى إقليم مورافيا بعد هذه الأحداث . ولما كانت معركة بلجار وفيجون وقعت في عام ٨٩٧م فيكون نزوح الماجيار عقيب هذا التاريخ لأنه تحدث عن النزوح بعد إقرار السلام بين بيزنطة والبلغار ، ويرى البعض أن عام

---

(١) انظر الموضوع رقم ١٦ وحواشيه

(٢) تحتسب السنة الضريبية بداية من عام ٣١٢ م والسنة الواحدة تعادل خمسة عشر سنة وواضعها هو الامبراطور قسطنطين الاول. ثم تعدلت هذه البداية واصبحت البداية هي السنة الاولى من دورة كل مرسوم لربط الضرائب

انظر : Runciman, Byzantine Civilisation, pp. 96 - 7

راجع ايضا : Ency. Brit. Art. Indiction .

٩٠٠م هو العام الذي نزح فيه الماجيار إلى مورافيا[١] . فإذا ما أضيفت هذه المعلومة إلى ما سجله المؤلف في الموضوع (٣٧)، من أنه قد مضى خمسون عاماً على نزوح الماجيار. ثم عاد وذكر في الموضوع نفسه أنه قد مر خمسة وخمسون عاماً على هذه الأحداث فيكون تسجيل الأحداث تم عام ٩٥٠م إذا ما أضيف خمسون عاماً ، أو عام ٩٥٥م إذا ما أضيف خمسة وخمسون عاماً .

وعلى ذلك يمكن القول أن الكتاب وضع بين عامي ٩٤٩ــ ٩٥٢م على ضوء ما سجله المؤلف ، أو بين عامي ٥٤٩ ــ ٩٥٥م على ضوء ما استنتجناه .

أما الحوليات التي استقى منها المؤلف بعض مادته التاريخية ، فقد سجل المؤلف أنه نقل عن حوليه المؤرخ البيزنطي ثيوفانيس[٢] Theophanes ويتضح ذلك في الموضوعات السابقة لعصره وهي الأحداث التي تتعلق بصدر الإسلام وعصر الدولة الأموية . ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في الموضوع رقم (١٧) ورقم (٢٢) ورقم (٢٥) .

كما أخذ المؤلف عن بعض المصادر اليونانية القديمة وخاصة فيما يتعلق بالموضوع (٢٣) وهو يتحدث عن أصل لفظه إيبريا Iberia

---

(١) Macartney, The Magyar in the ninth Century, p. 187,
Runciman, The Emperor Romanus Lecapenus, p. 104 .

(٢) له حولية تعرف باسمه وسجل فيها الاحداث من عام ٢٤٨ ــ ٨١٣م ومات في ١٢ مارس عام ٨١٨ م • ويعتبر مصدره المصدر الوحيد عن احداث الاثني عشر عاما الاولى من القرن التاسع الميلادي • انظر :

Ostrogorsky, op. cit., p. 79; Bury, History of The Eastern Roman Empire, p. 74 .

والايبريين مستشهداً ببعض النصوص التي وردت في كتب القدماء.

ويمكن القول أيضاً أن المادة التاريخية المتعلقة بالموضوع رقم (٧) ورقم (٨) قد أخذت من التقارير الشفوية التي قدمها مبعوثو الامبراطور الذين زاروا الشعوب الواردة بها لتقديم الأموال والهدايا االامبراطورية إليهم.

والمادة المقدمة في الموضوع (٩) يرجح أنها أخذت من بعض الروس الذين قاموا بهذه الرحلة لأن ما قدم من معلومات لا بد وأن يكون راويها شاهد عيان.

ولعل المعلومات الواردة في الموصوع (٢٦) قد قدمت من أحد رجال بلاط هيو أف آرل Hugh of Arles ملك إيطاليا ٩٢٥ ــ ٩٤٧م، الذين وفدوا إلى القسطنطينية بغرض مصاهرة الامبراطور قسطنطين.

وأما ما ورد في الموضوع (٢٩)، (٣٠) من معلومات تتعلق بالفرنجة، فلعل الامبراطور قد حصل عليها من مبعوث الملك أوتو الأول[١] Otto I وهو ليودبراند أف كرمونا Liudprand of Cermona الذي وفد على القسطنطينية عام ٩٤٩ م[٢].

وفيما يتعلق بالموضوع رقم (٢٨) فلعل مادته التاريخية مقدمة من أحد التجار البنادقة الذين ارتحلوا إلى العاصمة البيزنطية. أمـا

---

(١) حكم كملك على المانيا من ٩٣٦ ــ ٩٦٢ م ثم امبراطور حتى عام ٩٧٣ م.

(٢) Ostrogorsky, op. cit., p. 258.

الموضوع رقم (٤٠) فالأرجح أن مادته التاريخية مقدمة إلى الأمبراطور قسطنطين من أحد أحفاء أرباد Arpad زعيم الماجيار [1] وهو ترماتزوس Termatzous الذي أشار المؤلف إلى زيارته للقسطنطينية في عصره في الموضوع نفسه .

ومن أحد التقارير التي أشار إليها المؤلف في الموضوع رقم (٥٠) ، وهي التقارير التي كانت ترسل إلى الأمبراطور رومانوس أخذ المؤلف بعض مادته التاريخية وغيرها خاصة ما يتعلق بالضرائب . والمادة المسجلة في الموضوع (٥٠) ، (٥١) (٥٢) لعلها أخذت من المحفوظات الخاصة بالبحرية الإمبراطورية والمحفوظات الخاصة بالضرائب ، والشكاوى التي أرسلها الأهالي بغرض رفع الزيادة التي أضيفت إلى الجزية كما هو واضح من الموضوع رقم (٥٠) .

وبعد الحديث عن المصادر التي إستقى منها المؤلف مادته التاريخية ، نلقي الضوء على كتاب إدارة الإمبراطورية من حيث الموضوعات التي وردت به . والكتاب يمكن تقسيمه بصفة عامة إلى مجموعات تكاد تكون متجانسة إلى حد ما . والمجموعة الأولى تتناول من الموضوع الأول حتى الثاني عشر ، وهي تحتوي في مجموعها على مقدمة للسياسة الخارجية للامبراطورية في المناطق الشمالية ، والقاسم المشترك الأعظم فيها عناصر الجناكية التي تعتبر محور التعامل مع العناصر الشمالية وهي الروس والماجيار والبلغار.

---

(١) عاش من ٨٤٠ ــ ٩٠٧ تقريبا انظر Macartney, op. cit, p. 100 .

وصلب الحديث في هذه المجموعة ينصب على كيفية معاملة هؤلاء الأقوام بالاعتماد على الهدايا والطرق السلمية ، واتباع سياسة فرق تسد، وفيها بعض العادات الاجتماعية وإغارة بعضهم على البعض الآخر، وتحركاتهم ، هذا فضلاً عن بعض الأنظمة الإقتصادية .

والمجموعة الثانية تنفرد بالموضوع الثالث عشر ، وهو درس في الدبلوماسية التي يرى الإمبراطور قسطنطين إتباعها في التعامـــل مع شعوب المنطقة ، وقد وردت هذه الموضوعات رغم أن العنوان الرئيسي للموضوع هو الأمم المجاورة للأتراك . وهذا الموضوع يتناول الحديث عن أسرار صنع النار الإغريقية وأفكار الإمبراطـــور قسطنطين حول الزواج بأجنبيات ، فضلاً عن أطماع هذه الشعوب في ثراء الإمبراطورية .

والمجموعة الثالثة وتتضمن الموضوعات التي تبدأ بالرابع عشر حتى السادس والأربعين . وهذه المجموعة تشتمل على عرض تاريخي مطول لمعظم الشعوب التي تحيط بالإمبراطورية بادئاً بالمسلمين في الجنوب الشرقي وحول البحر الأبيض والأسود منتهياً بالـــولايات الأرمينية في الحدود الشرقية ، فتحدث عن المسلمين في الموضوعات ١٤ ــ ٢٢ ، وعن أسبانيا في الموضوعات ٢٣ ــ ٢٤ ، وعن إيطاليا وألمانيا في الموضوعات ٢٥ ــ ٢٨ ، وعن دالماشيا في الموضوعات ٢٩ ــ ٣٦ ، وعن البجناكيه والأتراك ٣٧ ــ ٤١ ثم تناول وصفاً جغرافياً شاملاً في الموضوع ٤٢ ، أما الأرمن فخص لهم الموضوعات ٤٣ ــ ٤٦ .

والمجموعة الرابعة وتشمل الموضوعات من (٤٧)حتى (٥٣) وهو نهاية الكتاب . واحتوت هذه المجموعة على خلاصة لبعض أحداث

التاريخ السياسي للأمبراطورية والتنظيم الإداري والضرائب فضلاً عن معلومات تتعلق بالبحرية البيزنطية وبعض حقول النفط في إقليم خرسون وإن كان هذا هو السمه العامه للكتاب.فإن هناك بعض الإستثناءات داخل هذا التقسيم .

وإذا تناولنا كل موضوع على حدة ؛ فإننا نجد أن بعضها عرض بطريقة مناسبة وبعضها مطول جداً كما هو الحال في الموضوع (٥٣)، والآخر قصير جداً يكاد يكون جملة واحدة مثل الموضوع (١٠) وفي بعضها أيضاً إسهاب لا داعي له مثل ما ورد في الموضوعين(٢٣)، (٢٤) . كما أن بعض الأحداث تكررت في أكثر من موضوع واحد، ذلك عندما تحدث عن تحطيم معاوية بن أبي سفيان لتمثال رودس في الموضوع (٢٠) ثم كرره في الموضوع (٢١) ، وعن البندقية في الموضوع ٢٧ ثم في الموضوع (٢٨) ، وعن مدينة سبلاتــو Spalato في الموضوع (٢٩) في أكثر من موضع ، وفي الموضوع (٣٠) . وكرر أحداث حملة المسلمين على القسطنطينية في الموضوع (٢٠) ، (٢١) ، وذكرت كراوتيا في الموضوع (٣٠) في أكثر من موضع ثم في الموضوع (٣١) ، كما أن استقلال الأندلس عن الدولة العباسية ورد في الموضوع (٢١) ، (٢٢) .

وفضلاً عن ذلك فإن المؤرخ لا يلتزم بوحدة الموضوع ، ففي الموضوع (٢٥) بدأ بالحديث عن بعض الأحداث المتعلقة بالعناصر الجرمانية ثم انتقل إلى الحديث عن الخلفاء المسلمين دون تمهيــد وليس هناك ما يربط بين هذه الأحداث . وأحياناً نجد المؤرخ وقد دس عبارة لاداعي لها على الإطلاق مثلما ورد في الموضوع (٩) والموضوع (٢٧) .

ونلاحظ عدم التزام المؤلف بالتسلسل التاريخي للأحـــداث في الموضوع الواحد ، فقد تحدث في الموضوع (٢١) عن ثورة عبدالله بن الزبير ثم عاد وتكلم عن أحداث التحكيم بين عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان . وقد يكون عذره أنه نقل هذا الجزء عن المؤرخ تيوفانيس ، ولكن هذا يعني من جانب آخر أنه ينقل دون تمحيص ، وترد الأحداث على علاتها .

كما أن المؤلف كثيراً ما أورد أسماء الشخصيات ناقصة فيقـــول ميخائيل أو ليو أو قسطنطين أو لويس أو هيو أو أوتو . وهذه الأسماء كثيراً ما تطالعنا في التاريخ الوسيط ، ويتطلب الأمر جهداً كبيراً من القارىء التعرف على هذه الشخصيات . وأورد المؤرخ بعض الأسماء محرفة ويصعب تحقيقها وخاصة فيما يتعلق بما ورد في الموضوعات (٤٣) ، (٤٤) عندما تكلم عن أمراء الأرمن حتى أن القارىء يحس أن المؤرخ غير مستوعب لما يكتب . ومن الأسماء المحرفـــة أيضاً ما ورد في الموضوع (٢٨) عندما تكلم عن بعض القادة المسلمين في الغارات البحرية على جنوب إيطاليا .

والكتاب مملوء بالأحداث التاريخية التي ترجع بعضها إلى بدايـــة العصور الوسطى والبعض الآخر إلى عصر المؤلف ، وقد وردت هذه الأحداث دون ذكر تاريخها إلا فيما ندر ، واجتهد الباحث كلما أمكن في وضع تاريخها ويتضح ذلك على مدار الكتاب .

واشتمل الكتاب على بعض الأساطير ، وكان المؤرخ يسوقهـــا كأمثلة لإقناع إبنه رومانوس ببعض المفاهيم ، ومنها عندما تحدث عـــن العباءات الإمبراطورية والتيجان وكذلك عن النـــار الإغريقيـــة في الموضوع (١٣) وإن كان المؤلف قد عاد ونقد نفسه عند الحديث

مرة أخرى عن النار الإغريقية مرة أخرى في الموضوع (٤٨) ، وهذا يعني أن الأمبراطور لم يراجع الكتاب بنفسه بعد اكتماله ، وأن طول الوقت الذي استغرقه في كتابة هذا الكتاب قد أنسته ما سبق أن سجله . كما تتضح الأسطورة أيضاً عند الحديث بالزواج بأجنبيات وعن الأضرار التي حلت بالأباطرة الذين تزوجوا بأجنبيات كما هو واضح في الموضوع (١٣) ، ولم يخل الكتاب من القصص الشعبية ويتضح ذلك في الموضوع رقم (٤١) والموضوع المطول رقم (٥٣) .

وفي نهاية هذا التحليل نتحدث عن الأخطاء التي وقع فيها المؤرخ . وهناك نوعان من الخطأ ، الأول منها ما هو متعمد ، فقد ذكر في الموضوع (٢٢) أن المؤرخ ثيوفانيس خال المؤلف ، وقد استبعدنا ذلك وأوضحناه في حاشية الموضوع .

أما النوع الآخر وهو غير المتعمد ، ومنه على سبيل المثال ما ذكره المؤلف في الموضوع (١٣) عن أحد الأباطرة البيزنطيين ويدعى ليو أن زوجته كانت خزرية ، والثابت أن ليو هذا كانت والدته هي الخزرية الأصل وليست زوجته وتبين ذلك من الأحداث التي رواها عنه المؤلف . ومن هذا النوع أيضاً عند ذكر أن أتيلا Attila كان ملكاً على السلاف والحقيقة أنه ملكاً أو زعيماً على الهون .

الفصل الثالث

عرض كتاب إدارة الامبراطورية
والتعليق عليه

١

١ ـ الفوائد التي تعود على الامبراطورية من المحافظة على العلاقات السلمية مع البجناكية (١)

تفهم يا بني هذه الأمور التي أعتقد أنك لست بجاهل بها ، وكن حكيماً فقد تتولى زمام الحكم يوماً ما . وسوف أراعي فيما أقدمه من موضوعات أن تكون مفيدة للجميع بقدر الإمكان . وما يخصك منها واضح وفيه الأمن للجميع ، ومن خلاله تستطيع أن تدير وتوجه أمور الحكم في هذا العالم . وسيكون حديثي سهلاً وبأسلوب مبسط ، ولا غرابة في ذلك فإنني لست أديباً لأقدم لك حديثاً رائعاً من طراز العصر اليوناني بأسلوب سام أو رفيع ، ولكنه سيكون واضحاً يصلح لكل العصور . ومما أقدمه وأناقشه ، سوف تتعلم الكثير من الأمور التي تنير لك الطريق . وأعتقد أن ما أقدمه — وهو خلاصة خبرتي الطويلة — يُسهل عليك فهم الأمور وتدبر العواقب .

إنها لفائدة عظيمة لامبراطور الرومان (٢) أن يحافظ على العلاقات

---

(١) ترد في الكتب الاجنبية Patzinacia بحناكية او Pechenegs بشناق وقد استخدم المؤلف كليهما . وترد في بعض المصادر العربية باسم البجناكية او بجناك . انظر ، ابن حوقل : صورة الارض ص ٢٤ ، القزويني: اثار البلاد واخبار العباد ص ٥٨٠ ، الاصطخري : المسالك والممالك ص ١٨ . وتوضح لنا الصفحات التالية المزيد عن البجناكية وعلى الاخص رقم (٣٨) .

(٢) كان الاباطرة البيزنطيون يعتبرون انفسهم اباطرة الرومان ، وقد ذكرتهم المصادر البيزنطية بهذه الصفة ، وسار المؤلف على هذا النهج في

السلمية مع عناصر البجناكية ، وأن يعقد معهم معاهدات واتفاقيات الصداقة . وعليه أن يرسل إليهم أيضاً كل عام مبعوثاً دبلوماسياً محملاً بالهدايا المناسبة لهم . وعلى البجناكية من جانبهم أن يقدموا نظير ذلك الرهائن ومبعوثاً دبلوماسياً أيضاً . وسوف يتمتع هذا المبعوث عندنا بكل امتيازات الإمبراطورية التي يتمتع بها الوزير في القسطنطينية ، وستغدق عليه الهدايا المناسبة التي يمنحها الإمبراطور. وتقطن عناصر البجناكية بجوار إقليم خرسون Cherson ، وإذا لم يكونوا في وفاق مع الإمبراطورية ، فقد يقومون بغارات السلب والنهب ضد هذا الإقليم .

٢ ـ البجناكية والروس(١)

والبجناكية جيران للروس أيضاً . وعندما لا يكونا الإثنان على وفاق ، فإن البجناكية يغيرون على روسيا ، وفي هذه الحالة غالباً ما يلحقون بها الخراب والدمار . والروس مهتمون أيضاً بالمحافظة على العلاقات السلمية مع البجناكية ، لأن الروس يشترون منهم الماشية والخيول والأغنام . وبالإضافة إلى ذلك فلا يمكن للروس الدخول في حرب فيما وراء حدودهم إلا إذا كانوا في سلام مع البجناكية . ذلك أن الروس عندما يخرجون من أراضيهم فإن البجناكية يأتون لتخريب وتدمير ممتلكاتهم . وبسبب قوة عناصر البجناكية ، ولكي

كتابه الذي بين ايدينا . وقد استخدم المؤلف كلمة بيزنطيوم مرة واحدة بدلا من كلمة القسطنطينية العاصمة . انظر رقم (٢٥) كما استخدم مدينة بيزنطة مرة واحدة اخرى انظر رقم (٥٣) .

(١) كان الروس في هذه المرحلة ينزلون باعالي نهر الدنيبر وعاصمتهم نوفجورد Novgord راجع رقم (٩) ، وحاشية رقم ١ في الموضوع (١٣) .

٢ ـ ٣

يتجنب الروس أذاهم ، فهم يهتمون بأن يكونوا حلفاء لهم ، وأن يتخذوا منهم أعواناً حتى يتخلصوا من عدائهم ويستفيدوا من مساعدتهم لهم .

ولا يستطيع الروس القدوم إلى عاصمة الإمبراطورية لشن الحرب أو للتجارة ، إلا إذا كانوا في سلام مع البجناكية ، لأن الروس عندما يصلون إلى العوائق التي تعترض مجرى النهر [١] ، لا يستطيعون المرور عبرها إلا إذا حملوا سفنهم [٢] على أكتافهم وعبروا بها . وهنا يحمل عليهم رجال البجناكية . ولما كان الروس لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم وهم يحملون السفن ، ففي هذه الحالة يكون من السهل إبادتهم وتشتيتهم .

٣ ـ البجناكية والاتراك

كما ترتجف قبيلة الأتراك [٣] خوفاً عند ذكر البجناكية لأنهم ألحقوا بهم هزائم كثيرة حتى أوشكوا أن يبيدوهم . ولهذا السبب يخافهم الأتراك [٤] :

---

(١) هو نهر الدنيبر • وعن العوائق الموجودة به وكيف يجتازها الروس انظر رقم (٩) •

(٢) نوع صغير من السفن يسمى مونوكسيلا Monoxyla • عن اوصافها وكيفية صنعها انظر رقم ٩ • راجع ايضا سعاد ماهر : البحرية في مصر الاسلامية ص ٣٧١ •

(٣) كانت قبيلة الاتراك هذه تقطن اقليم مورافيا Moravia • في عصر المؤلف • عن ذلك وعن اصلهم وتحركاتهم وطرد البجناكية لهم انظر رقم (٣٨) • ويلاحظ ان العناصر التركية التي ذكرها المؤلف هي عناصر الماجيار •

(٤) عن مدى الرعب الذي يشعر به الاتراك من البجناكية راجع رقم(٨)•

٤ ـ البجناكية والروس والاتراك

وطالما كان إمبراطور الرومان في سلام مع البجناكية إلا يستطيع الروس أو الأتراك أن يغيروا على الأراضي التابعة للرومان وأن يستولوا عليها بقوة السلاح ، ولا يستطيعون أيضاً أن يرغموا الرومان على دفع مبالغ كبيرة من الأموال أو مواد عينية كثمن للسلام معهما ، ذلك لأنهما يخافان من قوة البجناكية .

وإذا كان الإمبراطور مرتبطاً بروابط الصداقة مع البجناكية وضمهم إلى جانبه بالهدايا [1] والمراسلات ، فبوسعهم الهجوم على الأراضي الروسية والتركية ويسبون نساءهم وأطفالهم وينهبون بلادهم .

٥ ـ البجناك والبلغار (٢)

وبوسع الإمبراطور أيضاً أن يخيف البلغار ويجعلهم يهابونه ، كما يستطيع أيضاً أن يجعلهم يجنحون إلى الهدوء والسلام ، ذلك إذا كان الأمبراطور في سلام مع البجناكية ، لأنهم مجاورون أيضاً للبلغار . وإذا رغبت البجناكية في شن الحرب على بلغاريا سواء أكانت هذه الحرب لصالحهم أو لصالح الإمبراطور ، فإنهم بقوتهم وكثرة عددهم يتفوقون عليهم ويهزمونهم . ولهذا يناضل البلغار ويجاهدون باستمرار للمحافظة على السلام والوفاق مع البجناكية ، لأنهم هزموهم شر

---

(١) لمعرفة انواع هذه الهدايا ، انظر رقم (٧) .

(٢) المقصود بالبلغار هؤلاء الذين كانوا ينزلون جنوب نهر الدانوب . وقد اشار المؤلف الى بلغاريا السوداء ، وهم غير هؤلاء . انظر الموضوع رقم (١٢) والحاشية .

هزيمة ونهبوهم أكثر من مرة [١] ، وأدركوا بالتجربة فوائد وقيمة العيش مع البجناكية في سلام .

٦ ـ البجناكية واقليم خرسون

ومن هؤلاء البجناكية عشائر [٢] يقطنون بجوار إقليم خرسون ويتبادلون التجارة معه ، ويؤدون خدمات لأهل الإقليم ، والإمبراطور في المناطق الروسية والخزرية وكل المناطق المجاورة . وهذا يعني أنهم يأخذون من الخرسون مكافأة مقابل ما يقومون به من أعمال . وهذه المكافأة تكون في شكل أقمشة أرجوانية وأوشحة وحراير موشاة بالذهب وتوابل وجلود وأشياء أخرى حسب احتياجاتهم ومطالبهم وفقاً للاتفاق الذي يبرمه كل فرد من إقليم الخرسون مع كل فرد من البجناكية ، ذلك لأنهم رجال أحرار لا سيادة لأحد عليهم [٣] ، ولا يؤدون أية خدمة لأي فرد دون مقابل .

٧ ـ رحيل المندوب الامبراطوري من خرسون الى البجناكية

عندما يذهب المندوب الإمبراطوري في مهمة رسمية إلى البجناكية فيجب عليه عندما يصل إلى خرسون أن يرسل في الحال إلى البجناكية

---

(١) عن تهديد وغزوات البجناكية للبلغار انظر على سبيل المثال :
Runciman, A History of The First Bulgarian Empire, pp. 178, 185-6.

(٢) عن العشائر الاربعة التي تجاور اقليم خرسون انظر رقم (٣٧) .

(٣) يذكر القزويني ان البجناكية لا يؤدون الخراج لأحد . انظر المصدر السابق ص ٥٨٠ .

ويطلب منهم الرهائن ومرافق لحمايته . وعندما تصل الرهائن يتركون في خرسون تحت الحراسة ، ويذهب المندوب الإمبراطوري مع المبعوث الذي أرسلوه لمرافقته وحمايته إلى البجناكية ، وعليه اتباع إرشاداته . وهؤلاء البجناكية طماعون وجشعون ولا يخجلون من كثرة طلبهم للهدايا والأشياء التي يندر وجودها عندهم . ويطلب الرهائن أيضاً الهدايا لأنفسهم ولزوجاتهم ، كما يطلبها المرافق للمندوب مقابل جهده واستخدام دوابه . وعندما يصل المندوب إلى بلادهم يسألونه أولا عن هدايا الإمبراطور لأنفسهم ، ثم يعودون ويسألونه عن هدايا زوجاتهم ووالديهم . والذين يرافقون مندوب الأمبراطور في عودته إلى خرسون يطلبون منه أن يكافئهم مقابل جهدهم واستخدام دوابهم .

٨ ـ رحيل مندوبي الامبراطورية على سفن حربية من القسطنطينية عبر الدانوب والدنيبر والدنيستر

وفي أرض بلغاريا [١] ينزل البجناكية ، وهم يقيمون على شواطيء الدنيبر Dnieper والدنيستر Dniester والأنهار الأخرى في هذه الأقاليم . وعندما يتجه المندوب الإمبراطوري من القسطنطينية على سفن حربية ـ دون أن يتجه إلى خرسون ـ يجد البجناكية أمام عينه مباشرة ، وعندما يجدهم يبعث إليهم برسالة مع تابعه ، في

(١) كان البجناكية منتشرين شمال البحر الاسود . وتحدهم شرقا مدينة ساركل Sarkel على نهر الدن ، ومدينة ديسترا Distra على الدانوب غربا . انظر رقم (٤٢) . والبلغار ينزلون جنوب هذا النهر . ويتصل البحر الاسود بهذه الانهار وغيرها ، ومن البحر الاسود يدخل المندوب الامبراطوري بسفنه الى ارض البجناكية .

٨

الوقت الذي يظل هو فيه على ظهر سفنه لحراستها . وعندما يأتي البجناكية إليه يقدم لهم رهائن من رجاله ويأخذ بدوره رهائن منهم يحتفظ بهم في السفن الحربية ، ثم يعقد معهم اتفاقاً . وعندما يتعهدون له ويقسمون على طريقة الزاكانا [1] Zakana ، يقدم لهم الهدايا الإمبراطورية ويختار من بينهم عدداً كبيراً يراهم مناسبين كأصدقاء ويعود بهم . ويجب عقد الإتفاقات معهم على الشروط الآتية : إذا دعاهم الأمبراطور عليهم بالإسراع لخدمته ، سواء كان ذلك ضد الروس أو ضد البلغار أو ضد الأتراك . لأن البجناكية قادرون على شن الحرب ضد هؤلاء جميعاً ، ولأنهم حاربوهم وهاجموهم مراراً وتكراراً فهم جميعاً ينظرون إليهم نظرة ملؤها الرعب والخوف . وما يلي يوضح ذلك : عندما ذهب رسول إلى الأتراك حسب أوامر الإمبراطور قال لهم إن الإمبراطور يأمركم بأن تطردوا البجناكية من أراضيهم وتستقروا مكانهم حتى تكونوا على مقربة منه وتأتون بسرعة إذا أرسل في طلبكم [2] . وعند ذلك قال زعماء الأتراك في صوت واحد نحن لا نستطيع أن نقف أمام البجناكية أو نعترض طريقهم لأنه ليس بوسعنا محاربتهم ولا قبل لنا بهم ، لأن بلادهم واسعة وأعدادهم غفيرة وهم سلالة الشيطان، ولا تكرر ذلك على أسماعنا مرة أخرى لأننا لا نحب ذلك . وعندما ينقضي فصل الربيع فإن البجناكية يعبرون إلى أقاصي نهر الدنيبر ، وهناك يقضون فصل الصيف .

(١) لمعرفة الطريقة انظر رقم (٣٨) ·

(٢) يلاحظ هنا ان الامبراطورية البيزنطية كانت تعمل على استخدام الاتراك ضد البجناكية وبالعكس ·

٩ ـ قدوم الروس في سفن المونوكسيلا الى القسطنطينية

وسفن المونوكسيلا القادمة من روسيا إلى القسطنطينية ، قادمة من نوفجورد مقر عرش الأمير الروسي سفياتوسلاف [١] Sviatoslav ابن ايجور Igor [٢] . وبعض هذه السفن تأتي من مدينة سمولنسك Smolensk ومن مدينة تليوتزا Teliutza ومن مدينـــة خرنيجوف Chernigov ومن مدينة فيشجارد Vyshegard . وكل هذه السفن تسير في نهر الدنيبر حيث تتجمع في مدينة كييف Kiev التي تسمى أيضـــاً سامباتاس Sambatas ، ويقوم بتصنيع سفن المونوكسيـــلا الكريفشيان Krivichians والليزاني Lenzanenes وهـــي من العناصر السلافية التابعة للروس . كما يقوم بالتصنيع عناصر سلافيـــة أخرى تابعة للروس أيضاً ، ويتم هذا التصنيع في الجبال خلال فصل الشتاء . وعند قدوم الربيع وذوبان الجليد وبعد إعداد السفن ، فإنهم يضعونها في البحيرات المجاورة . ولما كانت هذه البحيرات تصب في نهر الدنيبر فإنها تنجرف مع النهر وتصل إلى مدينة كييف حيـــث يتم الانتهاء من تصنيعها ثم يبيعونها للروس . وهم يشترون جسم السفينة فقط ثم يزودونها بالمجاديف التي يأخذونها من سفن المونوكسيلا القديمة بعد أن يجردوها من تجهيزاتها . وفي شهر يونيه يبحر الروس في نهر الدنيبر حتى يصلوا إلى مدينة فيتيشيف Vitichev التابعةلهم، حيث يتجمعون خـــلال يومين أو ثلاثة . وبعد تجمعهم مع سفنهـــم يواصلون رحلتهم مرة أخرى في نهر الدنيبر حتى يصلوا إلى الجندل الأول المسمى إيزوبي Essoupi ومعناها باللغة السلافية والروسيـــة « لا تنم » . وهذه المنطقة ضيقة وفي وسطها توجد صخور عاليـــة .

---

(١) حكم من ٩٤٥ ـ ٩٧٢ م .

(٢) حكم حتى ٩٤٥ م .

بارزة كأنها جزر ، كمـــا أن للأمواج صوتاً مخيفاً وهي ترتطم بالصخور ، لذلك لا يخاطر الروس بالإبحار وسط هــذه الصخور . وينزل الرجال من سفنهم ويتركون بضائعهم بداخلها ثم يقومـــون بسحبها وهم يخوضون الماء ويتحسسون قاع النهر حتى يتجنبـــوا اصطدام قاع السفن بالصخور . وتتم هذه العملية بتواجد بعض الرجال عند مقدمة السفينة والبعض في وسطها والباقي عند المؤخرة . وبكل هذا الحرص والحذر ينجحون في عبور الجندل الأول ثم يصعدون إلى سفنهم ويواصلوا الإبحار بها حتى يواجههم العائق الصخري الثاني ويسمـــى بالروسيـــة أولفـــورس Oulvors وبالسلافيـــة أستروفـــونيبراخ Ostrovouniprach ، وهذا يعني جزيرة الجنادل . وهذا العائق يشبه الأول ولا يمكن الملاحة خلاله . ومرة أخرى ينزل الرجال مـــن السفن كما فعلوا في المرة الأولى ، وبنفس الطريقة يمرون من الحاجز الثالث ويدعى جيلاندري Gelandri ومعناها بالسلافية ضجيج الجنادل وكذلك يمرون بالعائق الرابع وهو أكبر العوائق جميعهـــا ويسمـــى بالروسية إيفور Aeifor ونيسيت Neasit بالسلافية ، لأن طيور البجع تقيم أعشاشها في صخوره . وهنا ينزل الجميع من سفنهم ؛ بعضهم يراقبون البجناكية بحذر شديد ، والبعض الآخر ينزلون ما بداخـــل السفن من أمتعة ليحملها العبيد وهم مقيدون بالسلاسل لمسافة ستة أميال حتى يجتازوا هذه الصخور . وعلى طول هذه المسافة يقوم الروس بسحب سفنهم أحياناً أو يحملونها على أكتافهم حيناً آخر بعيداً عن الجنادل ، ثم ينزلونها في النهر مرة أخرى بعد اجتياز العوائق ، ويضعون فيهـــا أمتعتهم ويركبونها ويعاودون الملاحة مرة خرى .

وعندما يصل الروس إلى العائق الخامس الذي يسمى بالروسية فاروفوروس Varouforos وبالسلافية فولنبراخ Vooulniprach

٩

لأنه يكون بحيرة كبيرة ، عندما يصلون فإنهم يواكبون حافة النهــر كما فعلوا في المرة الأولى والثانية . وبوصولهم إلى المانع السادس المسمى بالروسية لينتي Leanti وبالسلافية فيروتزي Veroutzi ، ومعناها غليان الماء ، فإنهم يمرون بنفس الطريقة السابقة ويستمرون في الإبحار إلى الحاجز السابع الذي يسمى بالروسية ستروكون Stroukoun وبالسلافية نابرزي Naprezi ومعناها السدالصغير ، وهنا يجتــازون مخاضة فرار Vrar حيث يمر أهل خرسون القادمون من روسيا ، ويمر البجناكية إلى خرسون . وهذه المخاضة واسعة مثــل الهبــدروم [١] Hippodrome وتصل في طولها إلى ما يعادل مرمى القوس ، وبهــا كثير من الصخور . وفي هذه المنطقة يأتي البجناكية ويهاجمون الروس مستغلين اتساع مجرى النهر .

وعندما يصل الروس إلى هذا المكان ينزلون في جزيرةالقديــس جرجوري St - Gregory حيث توجد شجرة بلوط ضخمة يتعبدون إليها ، ويقدمون لها القرابين ويضحون بالديوك والسهام والخبز واللحم أو أي شيء يملكه الفرد منهم كما هي عاداتهم[٢] . كما يلقــون أيضاً بعدد كبير من الديوك إما لذبحها وأكلها أو لتركها حية . ومــن هذه الجزيرة لا يخشى الروس البجناكية حتى نهر سليناس Selinas .

---

(١) هو الملعب الامبراطوري وكان يتم فيه تتويج الامبراطور قبل القرن السابع الميلادي ، اما بعد ذلك فكان يتم في كنيسة اياصوفيا انظر :

Runciman, Byzantine Civilisation, p. 66 .

وعن اوصاف هذا الملعب راجع :

Robert of Clari, the Conquest of Constantinople, p. 84 .

(٢) يرى المؤرخون ان المسيحية دخلت روسيا في عام ٩٥٤ او ٩٥٥ او ٩٥٧ . انظر :

Ostrogosky, op. cit., p. 251 and n. 2 .

٩

وتستمر الرحلة حتى يصلوا بعد أربعة أيام إلى جزيرة القديس ايثريوس Aitherios ثم يستريحون لمدة يومين أو ثلاثة أيام ، يزودون خلالها السفن بما تحتاجه من الحبال والقلوع والصواري والأسكنة[1] التي أحضروها معهم . وحيث أن النهر في هذا الموقع يصب في البحر فإنهم يتحولون إلى نهر الدنيستر وينزلون للراحة ، أما إذا كانت الأحوال الجوية معتدلة فإنهم يسيرون في البحر حتى نهر أسبروس Asptos . وبعد أن يأخذوا قسطاً من الراحة بنفس الطريقة السابقة يستأنفون الملاحة حتى نهر سليناس وهو فرع لنهر الدانوب ، ويحافظ البجناكية على العلاقات السلمية معهم أثناء اجتيازهم النهر . وإذا حدث وانحرفت أحد سفن المونوكسيلا إلى الشاطيء فإن جميع السفن تلحق بها حتى يظهر الروس أمام البجناكية وهم متحدون ويواجهونهم مجتمعين. ولا يخشى الروس أحداً بعد مرورهم من نهر سليناس ، وبدخولهم الأراضي البلغارية يصحبون عند مصب نهر الدانوب . ومن الدانوب يتقدمون حتى مدينة كونوباس Konopas ومنها إلى قنسطانتيا Constantia ثم إلى نهر فارنا Varna ، فنهر دتزينا Ditzina ، وكلها أراض بلغارية . ومن دتزينا يصلون إلى مسمبريا Mesembria[2]. وهناك تكون رحلتهم مليئة بالرعب والصعوبات والأخطار وطرق المعيشة القاسية التي يحياها الروس في الشتاء ، وهي أنه عندما يبدأ شهر نوفمبر يترك رؤساء الروس مدينة كييف ومعهم جميع الروس ويرحلون إلى بليوديا Poliudia ومعناها المستديرات وهي مناطق سلافية يعيش فيها الفرفيان Vervians والدروجوفشيان Drugovichians والكريفشيان والسفريان Severians وبقية السلاف التابعين لروسيا ، وهناك

(١) ومفردها سكان وهو دفة السفينة .

(٢) تقع هذه الاماكن على الشاطىء الشمالي الغربي للبحر الاسود .

يمضون فصل الشتاء . ومرة أخرى تبدأ رحلة العودة في شهر أبريل عندما تذوب الثلوج في نهر الدنيبر ويعودون إلى كييف . وهناك يأخذون سفنهم كما فعلوا من قبل، ويعدونها للملاحة، ويبحرون إلى أرض الرومان والعز Uzes يستطيعون مهاجمة البجناكية [١] .

١٠ ـ محاربة الخزر وكيفية شن الحرب عليهم

يستطيع الغز مهاجمة الخزر Chazars لأنهم مجاورون لهم وتجاور تسعة أقاليم خزرية الانيا Alania . ويستطيع الالآن إذا رغبوا نهب هذه المناطق ويلحقون بالخزر الخراب والدمار ، لأن هذه المناطق التسع تعتبر مصدر أرزاق الخزر وفيها رخاؤهم [٢] .

١١ ـ مدينة خرسون ومدينة بسبور (٣)

إذا كان حاكم الالآن في حالة حرب مع الخزر ، ورأى أن من الأفضل له أن يحافظ على العلاقات الودية مع إمبراطور الرومان ، فإن حاكم الالآن يستطيع أن يلحق بالخزر أضراراً بالغة ، بأن ينصب في طريقهم الكمائن ويهجم عليهم عندما يتركون نقاط الحراسة ، وهم في طريقهم إلى مدينة ساركل [٤] Sarkel وخرسون . وإذا استطاع حاكم الالآن هزيمة الخزر فإن إقليم خرسون وكل الأقطار المجاورة سوف تتمتع بسلام لا يعكر صفوه شيء ، لأن الخزر إذا

(١) وردت هذه الجملة في النص ولا مبرر لها في هذا الموضع ٠

(٢) لعل ذلك اشارة الى نوع من الحرب الاقتصادية ٠

(٣) تقع مدينة بسبور Posporus على المدخل الغربي لبحيرة مايوتيك Maeotic بحر ازوف حاليا ٠ انظر رقم (٤٢) ٠

(٤) تقع هذه المدينة على نهر الدن ٠ ولمزيد من التفاصيل عنا انظر رقم (٤٢) ٠

عاشوا في خوف دائم من هجمات الالآن فهم بالتالي لا يستطيعون إعداد جيش لمهاجمة خرسون والأقطار المجاورة ، لأنهم ليسوا من القوة بحيث يحاربون في جبهتين، وبهذه الطريقة يمكن إرغامهم على احترام السلام .

١٢ ـ بلغاريا السوداء والخزر

ويمكن أيضاً لبلغاريا السوداء [١] مهاجمة الخزر .

١٣ ـ الامم المجاورة للاتراك

إن الأمم المجاورة للأتراك هي الفرنجة في الغرب ، والبجناكية في الشمال ، وفي الجنوب مورافيا العظيمة بلد سفندوبلكس Sphendoploks [٢] التي خربها الأتراك وسيطروا عليها في أيامنا هذه ، ومن جهة الجبال يجاورهم الكرواتيون . ويستطيع البجناكية مهاجمة الأتراك أيضاً وإلحاق الأضرار الفادحة بهم وتخريب بلادهم ونهبها، كما ذكرت من قبل عند الحديث عن البجناكية [٣] .

وانتبه يا بني لهذه الكلمات وتعلم ما أريد أن أعلمه لك ، وبذلك تجتمع لديك كنوز الحكمة وتتمتع بالذكاء والفطنة . واعلم أن كل القبائل

---

(١) والروس قوم همج سكان بناحية بلغار فيما بينهم وبين الصقالية على نهر اتيل Atil (الفولجا) . ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٢٤ . وبلغاريا السوداء ـ وهي غير بلغاريا التي تقع في اوربا ـ واقعة الى الشمال من مملكة الخزر على نهر الفولجا وعاصمتهم بلجار . انظر : Runciman, The Emperor Romanus Lecapenus, p. 116 .

(٢) عاش حتى عام ٨٩٩ م انظر أيضا الموضوع (٤١) .

(٣) راجع الموضوع رقم (٨) .

الشمالية تتصف بالجشع وحب المال ، وهم لا يشبعون أبداً ، ولهذا فهم دائماً يطلبون المزيد ، ويطلبون الكثير مقابل خدمات صغيرة . وعلى هذا فإن هذه الطلبات والأطماع التي لا حدود لها يجب وقفها والرد عليها بكلمات بليغة وأعذار مقبولة . وقد أثبتت التجربة أنها ساعدتنا في محاولة كسب ودهم وهي باختصار كما يلي :

مهما طلبوا منك، وأياً كان هؤلاء سواء الخزر أو الأتراك أو الروس أو أي شعب آخر من الشماليين والسكيثيين [١] Scythians ، كما يحدث دائماً ، أن ترسل اليهم الملابس الإمبراطورية أو التيجان أو العباءات الرسمية مقابل الخدمات التي يؤدونها ، فبوسعك أن تعتذر بأن هذه الملابس والتيجان التي يسمونها كاميلوكيا Kamelaukia لم تصنعها يد إنسان . ولقد قرأنا في القصص السرية في التاريخ القديم ، أنه عندما أراد الله أن ينصب قسطنطين العظيم [٢] Constantine The Great إمبراطوراً ، أرسل إليه هذه الأردية بواسطة الملاك [٣] . كما أرسل إليه التيجان وعهد إليه أن يضعها في الكنيسة المقدسة المسماة كنيسة سانت صوفيا ، ولا يجب عليه ارتداؤها في أي يوم بل يرتديها فقط في الاحتفالات الدينية . ولهذا أودعها الإمبراطور بالكنيسة طاعة لأوامر الله وأصبحت تزين الكنيسة. والأردية والعباءات الإمبراطورية الأخرى توجد في الكنيسة فوق المائدة المقدسة .

---

(١) اوردها المؤلف ثلاث مرات ، الاولى في هذا الموضوع ، والثانية وهو يتحدث عن اقليم تارون Taron • انظر الموضوع رقم (٤٣) ، والثالثة عندما ذكرها في الموضوع رقم (٥٣) وهو يتحدث عن العناصر التي ثارت ضده شمالي نهر الدانوب • ومن ذلك يتضح ان المؤلف يقصد بها العناصر التي تقطن شمال وشمال شرقي وشمال غربي الامبراطورية •

(٢) ٣٠٦ ـ ٣٣٧م •

(٣) تداخلت الاسطورة في هذا الموضوع،وستتداخل مرة اخرى فيثنايا الكتاب •

وعند حلول أحد أعياد السيد المسيح يأخذ البطريق من هذه الأردية والملابس ما يتلاءم مع المناسبة ويرسلها للإمبراطور ليرتديها في الموكب بصفته خادم الرب ، ثم يعيدها الإمبراطور للكنيسة حيث يتم حفظها . وليس ذلك فحسب بل إن لعنة الأمبراطور قسطنطين الكبير تحل بأي إمبراطور يأخذ هذه الأردية لنفسه أو يسيء استعمالها أو يهبها للآخرين وسوف يصبح ملعوناً وعدواً للرب وعاصياً لأوامره ويحرم من الكنيسة . وبالإضافة إلى ذلك ، إذا حاول الأمبراطور أن يصنع ما يشبه هـــذه الملابس فإنها تؤول إلى الكنيسة أيضاً .

وليس للإمبراطور أو البطريقأو أي شخص آخرمسئولأنيأخذ هذه الأردية من كنيسة الرب ، بل يتم ذلك بموافقة الأساقفة ومجلــس الشيوخ Senate ، وإن الفزع سيلاحق كل من تسول له نفسه مخالفة هذه الشريعة المقدسة . ومن ذلك أن أحد الأباطرة ويدعى ليو [١] Leo الذي تزوج بامرأة من الخزر ، كان غبياً متهوراً فأخذ هذه التيجان في غير أوقات أعياد الرب ، ووضعها على رأسه بدون موافقة البطريق ، وعلى الفور ظهرت في جبهته بثور أخذت تكبر وتتقيح ، ومن شدة العذاب انتهت حياته الشريرة على هذه الصورة قبل الأوان [٢] .

وهكذا كان انتقام الرب سريعاً ومباشراً . ولهذا وضعت قاعدة ، وهي أنه عند تتويج إمبراطور يجب عليه أولاً أن يقسم بأن يحترم الوصايا

---

(١) هو ليو الرابع ٧٧٥ ـ ٧٨٠ م المعروف باسم ليو الخزري والمعروف ان والدته ـ وليست زوجته ـ هي الخزرية الاصل وتدعى ايرين Irene ، وكانت الزوجة الاولى للامبراطورية قسطنطين الخامس ٧٤١ ـ ٧٧٥ م ٠ انظر C-M. H. IV, Part I, PP. 64, 487.

(٢) كان ليو مريضا بداء السل ومات في الثلاثين من عمره ٠ أسد رستم : الروم وصلاتهم بالعرب ج ١ ص ٢٩١ ، C. M. H. IV, Part I, p. 82

المقدسة التي ظلت محترمة منذ العهود القديمة ، ثم يتم تتويجه بمعرفة البطريق وتتم بعد ذلك الطقوس المتبعة في هذه المناسبة .

ويجب عليك أيضاً يا بني أن توجه اهتمامك وتفكيرك إلى موضوع النار السائلة (١) التي توضع داخل القوارير . وإذا ما طلبها أحد كما تطلب منا الآن مراراً وتكرارا فما عليك إلا الرفض والرد عليه ببعض العبارات منها : أن النار السائلة تعلمها واكتشفها قسطنطين الكبير من الرب عن طريق الملاك (٢) ، وقد أخذ الله منه العهد عن طريق هذا الملاك ، كما أكد لنا آباؤنا وأجدادنا الذين نثق بهم . وأن هذه النار لا تصنع إلا بمعرفة المسيحيين وفي المدينة التي يحكمونها ، ويجب ألا ترسل أو تعرف طريقها إلى أي بلد آخر أياً كان .

ولكي يتأكد الإمبراطور أن خلفاءه سيحترمون هذا العهد ، فقد أعلن بأن اللعنات ستحل بمن يتجرأ ويعطي هذه النار إلى دولة أخرى ، ويطرد من الكنيسة ولا يسمى مسيحياً ، ولا يقبل في أي وظيفة أو عمل ، وإذا كان يشغل بالفعل وظيفة ما يجب طرده منها ، ويوصم باللعنة ، ويكون أمثولة دائماً وإلى الأبد لمن تسول له نفسه أن يفعل ذلك سواء أكان ذلك الشخص إمبراطوراً أو بطريقاً أو أي فرد كائناً من كان حاكماً أو محكوماً ، ويعمل على مخالفة هذه الوصية العظيمة ، وبذلك يجب نبذه حتى الموت .

(١) تعرف باسم النار الاغريقية ، لمزيد من التفاصيل عنها وعن صانعها راجع رقم ٤٨ .

(٢) عاد المؤلف وذكر ان الذي صنع النار الاغريقية هو كالينيكوس Callinicus وان ذلك تم في عهد قسطنطين بوجوناتوس Pogonatus (الرابع) ٦٦٨ ـ ٦٨٥ م . أنظر رقم ٤٨ ، وتداخلت الاسطورة في هذا الموضوع ايضا .

١٣

وقد حدث ذات مرة - حيث يجد الشر دائماً وأبداً مكاناً بيننا - أن أحد قادتنا العسكريين قبل رشوة كبيرة من بعض الأجانب، وسلم إليهم بعضاً من هذه النار. ولما كان الرب لا يترك من يخالف أوامره دون عقاب، فإن هذا القائد سقطت عليه نار من السماء وأهلكته حتى تلاشى تماماً عندما كان على وشك دخول الكنيسة [1]. ومن ذلك الحين دب الذعر في قلوب الرجال، ولم يحاول أحد بعد ذلك سواء أكان إمبراطوراً أم نبيلاً أم مواطناً عادياً أن يفكر في مثل هذا الأمر.

وتقابلنا نوع آخر من الطلبات وهو مطلب جد عظيم وغير لائق. فإذا حدث وطلبت إحدى القبائل الشمالية الوثنية الوضيعة أن تعقد تحالفاً مع الإمبراطور الروماني عن طريق الزواج، إما بأخذ إبنته زوجة لأحدهم، أو إعطائه واحدة من بناته لتكون زوجة للإمبراطور أو لابنه. فيكون هذا طلباً غريباً، ويمكن الاعتراض عليه والرد بأن هذا الموضوع أيضاً له عهد ووصية موثوق بها للأمبراطور قسطنطين العظيم. وهذا العهد محفور على المائدة المقدسة في كنيسة سانت صوفيا. وقد جاء في هذه الوصية أنه يحرّم على أي إمبراطور روماني أن يتحالف مع أي دولة تختلف تقاليدها عن تقاليد الرومان وتتعارض معها إذا كان هذا التحالف عن طريق الزواج. وخاصة إذا كانت امرأة وثنية لم تعمد إلا إذا كانت من الفرنجة [2]. ويرجع ذلك إلى أن قسطنطين يوافق على الزواج منهم، لأنه هو نفسه ينتمي أصلا إلى الفرنجة وتوجد روابط كثيرة بين الفرنجة والرومان.

---

(١) تداخلت الاسطورة في هذا الموضع من النصائح التي يقدمها الامبراطور لابنه .

(٢) اورد المؤلف هذه الجملة وايدها بحجج غير تاريخية ليبرر زواج ابنه رومانوس الثاني من ابنة هيو اف ارل الموضوع رقم ٢٦ .

وقد أمر قسطنطين بالزواج من الفرنجة فقط دون غيرهم بسبب عراقتهم ونبلهم وذيوع صيت بلادهم وكرم عنصرهم. وليس بوسع الإمبراطور أن يفعل ذلك مع أي شعب آخر مهما كان . ومن يتجرأ على مخالفة ذلك يعتبر خارجاً على المسيحية وتحل به اللعنة لأنه خالف قوانين الأجداد وتشريعات الإمبراطورية .

والأمبراطور ليو سالف الذكر باندفاعه الذي وصفته أخذ بطريقة غير شرعية وبدون موافقة البطريق ، أخذ التاج من الكنيسة ووضعه على رأسه وعوقب بسبب تصرفاته الشريرة ، كما أنه لم يأبه أيضاً بوصية الأمبراطور المقدسة والمحفورة على المائدة المقدسة . وكما خالف الرب حين أخذ التاج من الكنيسة ، خالف تعاليمه ووصاياها أيضاً حين عقد تحالفاً بالزواج مع خان الخزر وتزوج ابنته [١] وبذلك ألحق العار بالإمبراطورية وبنفسه، لأنه لم يكترث بوصية الأجداد ونقضها ولم يصبح مسيحياً أرثوذكسياً بل أصبح ضالاً موصوماً بالهرطقة ومحطماً للصور المقدسة [٢] . ولهذا السبب حرم من رحمة الكنيسة وجرى ذكره في ترانيم الكنيسة كخارج ومخالف لأوامر الله ووصاياه، ولأوامر الأمبراطور المقدس قسطنطين الكبير ، فكيف يسمح للمسيحيين بعقد روابط الزواج والتصاهر مع الوثنيين في الوقت الذي يعد ذلك خروجاً على تعاليم الكنيسة ؟ .

---

(١) عاد المؤلف وكرر هذه الاحداث في نفس الموضوع .

(٢) اشتد ليو الرابع في معاملة الايقونيين في عام ٧٨٠ م وأمر بجلد وحبس طائفة من كبار الموظفين اصروا على عبادة الصور وتمجيدها ، رغم أنه بدا عهده بسياسة معتدلة مع الايقونيين . انظر : السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية ص ٢٢١ .

ومَنْ مِنْ الأباطرة النبلاء أو الحكماء قد سمح بذلك ؟ ولكن إذا اعترض البعض على تحالف الإمبراطور رومانوس [١] مع البلغار عن طريق الزواج وزواج حفيدته إلى بطرس البلغاري ، فيكون دفاعك أن الإمبراطور رومانوس كان شخصاً عادياً من عامة الشعب ، وكان جاهلاً غير متعلم ، ولم يكن من بين الذين نشأوا في القصر وتعلموا احترام العادات الرومانية والتقاليد القوميةمنذنعومة أظافرهم وليس من أصل نبيل ولا ينتمي للأسرة الإمبراطورية الحاكمة . ولهذا السبب كان متعجرفاً ظالماً في معظم تصرفاته ، ولم يكترث بنواهي الكنيسة أو يحترم وصايا قسطنطين العظيم . وبسبب عجرفته وعدم نشأته على حب الفضيلة وجهله رفض أن يسير في الطريق الصحيح ، ولم يحافظ على الوصايا التي تركها لنا أجدادنا ، ولهذا تجرأ وفعل ذلك ، وحجته أن هذه التحالف أدى إلى فداء عدد كبير من الأسرى المسيحيين وإطلاق سراحهم [٢] ، كما أن البلغار مسيحيون أيضاً ويؤمنون بنفس العقيدة التي نؤمن بها . وعلى أية حال فإن تلك الحفيدة التي تزوجت بطرس البلغاري لم تكن ابنة الإمبراطور الشرعي ، ولكنها حفيدة لإمبراطور إسمي ومغتصب بل كان ثانوياً لا يشترك في تصريف شئون الحكم في الأمبراطورية [٣]. ولكن ذلك لا يقر زواجهم من أية سيدة من الأسرة

---

(١) يقصد المؤلف رومانوس ليكابينوس الذي تزوجت حفيدته ماريا من الامير بطرس البلغاري . راجع ما سبق ص ٢٥ .

(٢) عن الظروف التي أدت الى الصلح بين الامبراطورية والبلغار وزواج بطرس من ماريا عام ٩٢٧ م . انظر
Runciman, The Emperor Romanus Lecapenus, pp. 96 - 7 .

(٣) واقع الامر غير ذلك ، فرغم انه كان مغتصباً فقد اعترفت به الكنيسة امبراطورا وحكم الامبراطورية وصرف شئونها من ٩٢٠ ــ ٩٤٥ م. وأن المؤلف وهو قسطنطين السابع هو الذي كان امبراطورا ثانويا . راجع ما سبق ص ١٤ .

۱۳

الامبراطورية سواء كانت صلة قرابتها من الدرجة الأولى أو تنتمي للأسرة الحاكمة بصلة القرابة البعيدة ، ومهما أدى هـذا الزواج مـن خدمات للحكومة ، أو كانت الزوجة ابنة لامبراطور ثانوي لا يملك أي نوع من السلطة أو النفوذ . ولما كان رومانوس قد خالف التقاليد الدينية وخالف وصية الإمبراطور المقدس قسطنطين العظيم ، لـذلك أصبح رومانوس مذموماً في حياته ومكروهاً من مجلس الشيوخ ومن عامة الشعب ومن الكنيسة نفسها . وظهر هذا الكره واضحاً في النهاية التي انتهت به حياته . كما أنه ظل مُكروهاً بعد وفاته منبوذاً موصوماً بالعار وأدين بابتداعه بدعة غير مقبولة وغير لائقة في نظام حكومـة الإمبراطورية السامي .

ولكل دولة عادات وتقاليد مختلفة تتميز بها عن غيرها ولها نظام خاص بها ، وعلى الدولة اتباع الأعراف السائدة فيها واحترامهـا والمحافظة عليها . وكما أن كل حيوان يتزاوج من جنسه ، فيجب على كل أمة ألا تبيح الزواج بأفراد من جنس آخر له تقاليـده ولغته المختلفة ، بل يجب أن يكون الزواج من نفس القبيلة ، ومن أناس يتحدثون نفس اللغة . ومن هنا تنشأ الوحدة والإنسجام الطبيعي بين الأفكار والطباع ، ويعيشون في وئام . أما العادات الأجنبية والقوانين الغريبة تؤدي إلى الشقاق والمشاجرات والكراهية ولا ينتج عنها صداقة أو روابط قومية بل تكون الفرقة والحقد هي النتيجة الحتمية لمثل هذه الزيجات [1] . ويجب أن تفهم يا بني أن الذي يريد أن يحكم حكماً شرعياً صحيحاً ، يجب عليه ألا يسير على نهج هؤلاء الذين كانـوا

(١) لعل فكرة رفض المؤلف الزواج باجنبيات ترجع الى ان سيمون البلغاري كان يأمل في زواج المؤلف من ابنته ٠ انظر ما سبق ص ٢١ ٠

مثلاً سيئاً بسبب الجهل والعجرفة ، بل يجب عليه أن يضع نصب عينيه الأعمال العظيمة لهؤلاء الذين حكموا حكماً شرعياً سليماً ويسير على دربهم ويتخذهم مثالاً له في شئون الحكم والسياسة .

والآن يجب أن تكون يا بني على معرفة تامة بما سأقصه عليك ولتعلم يا ولدي الحبيب أن معرفته ستعود عليك بفوائد جمة وستجعلك محبوباً ، وما أوردته يتعلق بالأمم المختلفة وأصلها وعاداتها وطرق معيشتها وموقع ومناخ وجغرافية ومساحة الأرض التي تعيش عليها كما سأوضحها لك .

١٤ ـ نسب محمد

ينتسب محمد ... [١] إلى نسل إسماعيل ، الذائع الصيت ، ابن إبراهيم لأن نزار حفيد إسماعيل هو والدهم جميعاً . وقد أنجب نزار ولدين هما مضر وربيعة ، وأنجب مضر قيس وأسد وتميم وغيرهم كثيرون لا نعرف أسماءهم [٢] . ونزلوا جميعاً في صحراء المدينة حيث أقاموا الخيام ،وهناك آخرون عاشوا في داخل الصحراء ليسوا من نفس القبيلة . والقصة التي نشرها المسلمون أن محمداً كان يتيماً فقيراً ... وعمل لدى إحدى السيدات الموسرات هي خديجة ... تاجر باسمها في مصر وفلسطين ... وكانت خديجة أرملة فتزوجها . وخلال زياراته لفلسطين وأثناء مناقشته مع اليهود والمسيحيين آمن ببعض معتقداتهم وتفسيراتهم للكتب المقدسة ... وقد قال لزوجته لقد رأيت

(١) الكلمات المحذوفة في هذا الموضع وغيره ، هي صفات غير لائقة بالنبي والمسلمين لذلك آثر الباحث حذفها وينسحب ذلك على بقية الكتاب فيما يتعلق ببقية الاديان .

(٢) عن نسب الرسول انظر : البلاذري : أنساب الاشراف ج ١ ص ٧٩

١٤ ــ ١٥
حلماً مخيفاً لملاك يسمى جبريل لم أستطع أن أتحمل النظر إليه ، ولهذا سقطت مغشياً عليّ . وقد صدقوه لأن أحد الأريوسيين [١] الذي ادعى أنه راهب وشهد زوراً بصحة هذه الرؤيا وأيدها ... وأعلنت خديجة ... إلى النساء الأخريات في قبيلتها أن زوجها نبي . وقد وصلت هذه ... إلى أسماع أحد السادة وهو أبو بكر ثم ماتت المرأة وتركت زوجها ... وذاع صيته وسيطر ... على أهل يثرب وأخذ هذا ... يعلم الذين يؤمنون به أن الذي يقتل عدواً أو يقتله عدو يدخل الجنة وغير ذلك . . . .

. . . .

. . . .

. . . .

١٥ ــ قبيلة الفاطميين

كانت فاطمة إحدى بنات محمد ، ومن نسلها جاء الفاطميون ولكن هذه القبيلة ليست من نسل فاطمة ، ولكنهم من ليبيا [٢] ويقيمون في شمال مكة ، بعيداً عن قبر محمد . وهم قبيلة عربية مدربة بعناية على أمور الحرب والقتال ، وبمساعدة هذه القبيلة دخل

---

(١) لعل المقصود به بحيري أو بحيرا الراهب الذي التقى بالرسول في مدينة بصرى بالشام عندما اصطحبه عمه ابو طالب للتجارة ، وكان الرسول في سن الثانية عشر من عمره . عن ذلك ولمزيد من التفاصيل انظر ابن سعد : الطباقت الكبرى ج ١ ص ١٥٣ ــ ١٥٥ . وابن هشام : السيرة النبوية ج ١ ص ١٨٠ ــ ١٨١ .

(٢) المقصود بذلك الدولة الفاطمية في المغرب لان الدولة الفاطمية في مصر قامت في عام ٩٦٩ م أي بعد وفاة المؤلف . وعن العلاقات البيزنطية والفاطمية والاموية في عصر المؤلف انظر : احمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ص ٢٤٢ . وربما يقصد المؤلف البربر الذين سكنوا شمال افريقيا .

محمد [١] الحرب وخاض المعارك وفتح مدناً وأخضع بلاداً كثيرة . وهم رجال شجعان ومحاربون أشداء حتى أنه لو تجمع منهم جيش قوامه ألف رجل فإن هذا الجيش لا يهزم ولا يقهر . وهم لا يركبون الخيل [٢] بل يستخدمون الجمال . وفي وقت الحرب لا يلبسون دروعاً بل يرتدون عباءات ذات لون قرنفلي ويستخدمون تروساً وحراباً طويلة يبلغ طولها طول قامة الرجل، وأقواساً كبيرة من الخشب لا يستطيع استعمالها إلا القليل من الناس وبصعوبة كبيرة .

١٦ ـ ظهور المسلمين،وفي اي سنة من بدء خلق العالم حدث ذلك ، ومن الذي كان على عـرش امبراطورية الرومان في ذلك الوقت ، طبقا لقانون ستيفن الفلكي الذي استخلصه مـن النجوم

ظهر المسلمون في اليوم الثالث من شهر سبتمبر من السنة الضريبية العاشرة ، وفي السنة الثانية عشرة [٣] لحكم هرقل Heraclius وسنة ٦١٣٠ [٤] من خلق العالم . وطبقاً لمنازل البروج كان ظهورهم

---

(١) لعل المقصود هنا دخول المسلمين الحرب ٠

(٢) استخدم العرب والبربر الخيل في القتال ٠ انظر ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ ٠

(٣) حكم هرقل ٦١٠ ـ ٦٤١ م وتعادل السنة الثانية عشر ٦٢٢ م ٠

(٤) عام ١ م يعادل ٥٥٠٨ من سنة خلق العالم فيكون عام ٦١٣٠ يعادل عام ٦٢٢ م ٠ وهي معادلة سليمة وتتفق مع ما اورده المؤلف عند ذكر بعض سنوات الخلق في ثنايا الكتاب ٠ انظر على سبيل المثال الموضوع رقم (١٧)، (٢١) ورقم (٢٢) وان كان البعض يرى غير ذلك انظر
Ostrogorsky, op. cit., p. 80 .

١٦ ــ ١٧

في شهر سبتمبر وفي اليوم الثالث من هذا الشهر . وخامس أيام الأسبوع وفي هذا الوقت بالذات أصبح محمد أول زعيم للعرب . وكان نبيهم أيضاً وحكم العرب تسعة أعوام .

١٧ ــ من حولية تيوفانيس (١) طيب الله ثراه

في عام تسعة وثلاثين ومائة وستة الاف[٢] مات محمد النبي والزعيم للمسلمين وعين صهره أبا بكر مكانه . وظن اليهود ... أنه المسيح [٣] الذي يتوقعون ظهوره . حتى أن بعض اليهود أتوا إليه ودخلـوا في دينه وتركوا دين موسى ... ولكنهم شاهدوه يأكل لحم الجمل [٤] فتأكدوا أنه ليس بالشخص الذي ينتظرونـه . ومع ذلك علموه ... وظلوا بصحبته وعلموه أن يتقبل بعض ما عندهم من العادات مثـل الختان وغير ذلك ... جاء بعده أبو بكر الذي صدق نبوته وآمن به ولهذا السبب أصبح خليفته . وانتشرت ... في يثرب وكانت سرا في العشر سنوات الأولى أو بالتحديد تسع سنوات . وعلم أتباعه أن من يقتل عدواً أو يقتله عدو يخلد في الجنة . . . .

. . . .

. . . .

. . . .

---

(١) هذه اشارة واضحة عن بعض المصادر البيزنطية التي ينقل عنها المؤلـف .

(٢) تعادل عام ٦٣١ م .

(٣) حول هذا الموضوع راجع القلقشندي : صبح الاعشى ج ١٣ ص١٦٢

(٤) لا ياكل اليهود لحم الجمال . راجع القلقشندي : المصدر السابق ج ١٣ ص ٢٥٢ ــ ٢٦١ .

والمسلمون متعاونون يساعد المسلم المسلم منهم الآخر ويعفو عنه إذا ما أخطأ في حقه .

١٨ ـ أبو بكر ، الزعيم الثاني للعرب
(ثلاث سنوات)

وأبو بكر هذا فتح مدينة غزة [١] وكل المناطق التي حولها وتوفي بعد أن حكم ثلاث سنوات [٢] ، وخلفه عمر وحكم العرب إثني عشر عاماً .

١٩ ـ عمر الزعيم الثالث للعرب

وعمر هذا هو الذي هاجم فلسطين وحاصرها ، وحاصر بيت المقدس لمدة عامين وفتحها بالمكر والحيلة ، ذلك أن صفرونيوس Sophronius أسقف المدينة الذي يتصف بالحماسة الدينية والذكاء والفطنة أخذ عهداً مؤكداً من عمر بألا تمس الكنائس بسوء فلا تخرب ولا تنهب . وعندما رآه صفرونيوس قال له ، الحقيقة إن هذا هو الخراب الفظيع الذي تحدث عنه النبي دانيال صاحب المكانة المقدسة . وطلب عمر أن يأخذ معبد اليهود الذي بناه سليمان ليجعله مكاناً تمارس فيه عبادة ... وقد ظل إلى يومنا هذا[٣] .

---

(١) عن فتح غزة في عهد أبي بكر انظر : البلاذري : فتوح البلدان ص ١٨٨ م .

(٢) حول مدد حكم الخلفاء والحكام بصفة عامة انظر الجداول الخاصة بهم . واذا قدم الباحث بعضا منها في الحواشي فيكون بهدف تفسير الاحداث او وضع الاحداث في حقبتها الزمنية أو لسبب آخر يتعلق بالنص .

(٣) عن فتح بيت المقدس وعهد الصلح . انظر ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٣ ص ٦٠٧ ـ ٦١٣ . راجع أيضا الازدي : تاريخ فتوح الشام ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

٢٠ ـ عثمان ، الزعيم الرابع للعـرب

فتح أفريقيا عن طريق الحرب وفرض الجزية على الأفريقيين ثم قفل راجعاً . وكان قائده معاوية هو الذي حطم تمثال رودس الهائل الحجم الذي كان قائماً في رودس [١] ، وفتح جزيرة قبرص واستولى على مدنها ، كما استولى على جزيرة أرواد Arados وأحرق مدينتهـا وتركها بلقعاً فظلت مهجورة إلى يومنا هذا . وعندما نزل معاوية في جزيرة رودس هدم التمثال بعد أن ظل قائماً في مكانه ثلاثمائة وستين عاماً ، واشتراه تاجر يهودي من الرها وحمل البرنز الذي كان قد صنع منه على تسعمائة جمل . وقد قاد معاوية هذا حملة للهجـوم عـلى القسطنطينية ونهب وضرب مدينة إفسوس Ephesus وهرقليه وأزمير وبقية مدن جزر بحر إيجه [٢] وبعد مقتل عثمان أصبح زعيماً للعرب لمدة أربعة وعشرين عاماً [٣] .

---

(١) هو احد عجائب الدنيا السبع وقد قام بصنعه خارس اف ليندس Chares of Lindus كالهة للشمس في اثني عشر عاما ، واتخذ مكانه على مدخل رودس في عام ٢٩٢ ق٠م٠ وكان ارتفاعه ١٠٥ قدم ٠ وقد حطم زلزال هذا التمثال في عام٢٦٦ ق٠م وشاهد آثاره في عام ٧٣م المؤرخ بليني٠ انظر : Pliny, Naturalis Historiae Vol. IX, pp. 157 - 9

(٢) عن غزوات المسلمين في جزر البحر المتوسط وخاصة في قبرص وارواد وجزر بحر ايجه ٠ انظر ابراهيم علي طرخان : المسلمون في اوربا ص ٧٩ ـ ٨٧ والحواشي ٠ عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ص ٨٤ ـ ٨٦ والحواشي ٠

(٣) تحدث المؤلف عن علي بن ابي طالب في نفس الموضوع ٠ تابع الصفحات التالية ٠

٢١

٢١ ـ من حولية تيوفانوس عام ٦١٧١ (١)
من بدء خلق العالم

بعد وفاة معاوية زعيم العرب ، دخل المرده [٢] Mardaites لبنان واحتلوها من الجبل الأسود إلى بيت المقدس ، وأصبحت لهم السيادة في جبل لبنان ، ولجأ إليهم العبيد والأهالي طلباً للحماية وكانوا يعدون بالالآف . وقد سبب هذا الخبر لمعاوية إزعاجاً شديداً ، كما أزعج مستشاريه . وأرسل معاوية رسلاً إلى الإمبراطور قسطنطين [٣] يطلب السلام . وعند ذلك أرسل الإمبراطور قسطنطين الأرثوذكسي ابن بوجوناتوس ، أرسل يوحنا بتزوكوديس John Pitzikaudis إلى سوريا ، وعند وصوله أكرم معاوية وفادته وقابله بحفاوة بالغة، واتفق الجانبان على ضرورة التوصل إلى معاهدة سلام مكتوبة يكون أساسها الاتفاق على دفع جزية سنوية يوافقان عليها ويدفع المسلمون Agarenes [٤] لامبراطور الرومان ثلاثة الاف قطعة من الذهب

---

(١) تعادل عام ٦٦٣م / ٤٣ ـ ٤٤ هـ

(٢) اختلفت الآراء حولهم ، والارجح أن المردة هم الجراجمة بالنسبة الى مدينتهم جرجومة في جبل اللكام وكانوا يمدون الروم من معاقلهم بالرجال والجند غير النظاميين فكانوا شوكة في جانب العرب عندما استولوا على انطاكية ٠ انظر فيليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة د٠كمال اليازجي ج ٢ ص ٥٢ ، وعن الآراء الاخرى انظر يوسف الدبس ، الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل ص ٢١ وما بعدها ٠ راجع البلاذري : فتوح البلدان ص ٢١٧ ـ ٢٢٨ ٠

(٣) قسطنطين الرابع بوجوناتوس حكم ٦٦٨ ـ ٦٨٥ م ٠

(٤) Agarenes ، وهي لفظة مشتقة من كلمة هاجر زوج ابراهيم عليه السلام واستخدمها المؤلف في عدة مواضع ، كما استخدم كلمة Saracens ايضا في مواضع اكثر ، وكلاهما يقصد بهما المسلمين ٠

وتسليم ثمانمائة أسير وخمسين حصاناً أصيلا [١] . وفي الوقت نفسه كانت الإمبراطورية العربية منقسمة إلى قسمين ، ففي يثرب استولى عليّ على الحكم بينما حكم معاوية مصر وفلسطين ودمشق .

وخرج سكان يثرب مع أبناء عليّ لمحاربة معاوية الذي تجهز لمحاربتهم حيث دارت معركة عند نهر الفرات انتهت بهزيمة حزب علي ، واستولى معاوية على يثرب وكل أراضي سوريا واستمرت أسرته في الحكم خمسة وثمانين عاماً . وجاء بعدهم أصحاب العباءات السود من فارس الذين يحكمون إلى يومنا هذا [٢] . وقد حاربوا أسرة معاوية وأهلكوها تماماً وقضوا عليها قضاء مبرماً وقتلوا مروان[٣] الذي كان على رأسها . وهرب جماعة صغيرة من أنصار معاوية ، هربو إلى أفريقيا مع أحد أحفاد معاوية وعبروا إلى أسبانيا [٤] في عهد جستنيان رينوتميتوس Justinian Rhinotmetus [٥] ، لا في عهد بوجوناتوس ، ولكن مؤرخينا لم يذكروا ذلك . فمنذ سقوط روما القديمة في أيدي القوط [٦] اقتطعت أجزاء من ممتلكات الرومان

---

(١) حول هذا الصلح وشروطه راجع اليعقوبي:تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ٢١٦ ـ ٢١٧ .

(٢) يقصد بذلك الخلفاء العباسيين ، فقد كان السواد شعارهم ولبس البياض معناه اعلان الثورة عليهم . انظر الطبري : المصدر السابق ج ٧ ص ٤١٧ ، ٤٤٣ ، ٤٤٦ .

(٣) مروان الثاني بن محمد .

(٤) هو عبد الرحمن الداخل ١٣٨ ـ ١٧٢ هـ / ٧٥٦ ـ ٧٨٨ م . ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ٢٦٢ ـ ٢٧٢ .

(٥) هو الامبراطور البيزنطي جستنيان الثاني ٦٨٥ ـ ٦٩٥ م ، ٧٠٥ ـ ٧١١ م .

(٦) كان سقوط روما على يد الاريك Alaric زعيم القوط في عام ٤١٠ م . انظر الموضوع رقم ٢٥ . راجع ايضا :
Augustine, City of God, p. 12 .

ولم يشر أحد من المؤرخين إلى أسبانيا أو إلى جماعة معاوية . ولكن ورد في تاريخ ثيوفانيس [١] طيب الله ثراه ، أن معاوية زعيم العرب مات بعد ما ظل قائداً عسكرياً لمدة ستة وعشرين عاماً ، وحكم كأمير أربعة وعشرين عاماً ثم حكم ابنه يزيد العرب ست سنوات ، وعند وفاته ثار عرب المدينة واختاروا عبدالله بن الزبير خليفة عليهم . وعندما علم العرب المقيمون في لبنان وفلسطين ودمشق بذلك أتوا إلى هشام أمير فلسطين واختاروا مروان [٢] ونصبوه زعيماً وحكم لمدة تسعة شهور ، وعند وفاته خلفه ابنه عبد الملك وحكم لمدة اثنين وعشرين عاماً وستة أشهر [٣] ، وهزم المتمردين وقتل عبدالله ابن الزبير . وفي ذلك الحين كان الإمبراطور قسطنطين بن بوجوناتوس قد مات بعد أن حكم الرومان سبعة عشر عاماً وخلفه ابنه جستنيان في الحكم .

ولم يكن الزعيم الخامس للعرب من آل بيت محمد ولكنه من عشيرة أخرى . وكان معاوية قد نُصب قائداً وأميراً للبحر وأرسل على رأس قوة كبيرة — قوامها ألف ومائتي سفينة لمحاربة الروم . وتقدم إلى جزيرة رودس حيث أعاد تنظيم قواته هناك ثم جاء إلى القسطنطينية وأقام فترة طويلة وخرب أنحاء بيزنطة ، ولكنه عاد دون أن يحقق هدف الحملة [٤] . وعندما عاد إلى رودس حطم التمثال

---

(١) اشارة الى نقل المؤلف من حولية ثيوفانيس ·

(٢) يقصد به مروان الاول ابن الحكم ·

(٣) انظر الجدول الخاص بعصر الامويين ·

(٤) عاد المؤرخ يتحدث مرة اخرى عن حملة معاوية على القسطنطينية · أنظر الموضوع رقم (٢٠) ·

الضخم ، وكان تمثالاً من البرنز لإله الشمس،وارتفاعه من القدم للرأس ثمانون ذراعاً ، وكان عريضاً كوصف أحد شهود العيـــان ، ومكتوب على قاعدته . تمثال روس الضخم ، ارتفاعه ثمانون ذراعاً صنعه لاخس أف ليندوس Laches of Lindos . وأخذ معاوية ما به من برنز وحمله إلى سوريا وعرضه للبيع فاشتراه يهودي مـــن الرها وحمله على تسعمائة وثمانين جملاً [1] .

وعند وفاة عثمان خلفه معاوية هذا في زعامة العرب ودخلت في حوزته المدينة المقدسة وفلسطين ودمشق وأنطاكية وكل مدن مصر . ولكن عليّ الذي كان أبناً لمحمد بالتبني ، وتزوج ابنته فاطمة حكم يثرب وكل الجزيرة العربية . ثم أعلن كل من عليّ ومعاويـــة الحرب وتنازعا على السلطة [2] . والتقيا عند نهرالفرات في معركة ضارية . وعندما حمي وطيس المعركة وسقط عدد كبير من كلا الجانبين قتلى ، صرخ الناس من كلا الجانبين ! لماذا يقتل بعضنـــا البعض ؟ ولماذا نترك قبائلنا تفقد رجالها ؟ ، لندع كل فريـــق يختار أكبرهم سناً ومن يختارا يحكما بيننا . ورضي كل من عليّ ومعاوية بذلك وأعطيا خاتميهما للحكمين وأقسما على قبول حكمهما، وأن من يتم اختياره يكون زعيماً لكل المسلمين ، ودخل الحكمان

(١) عاد المؤلف وتحدث عن تمثال رودس مرة أخرى والواضح انـــه اضاف في هذا الوضع · وما ذكره عن صانع التمثال يختلف عما ذكره المؤرخ بليني · والباحث يميل الى الاخذ برواية الاخير باعتباره معاصرا وشاهد عيان حول كل ما أورده عن التمثال وما فعل به الزلزال ·

(٢) حول الصراع بين علي ومعاوية أنظر : السيد عبد العزيز سالـــم : تاريخ الدولة العربية من عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الاموية ص ٥٧٢ وما بعدها · علي حسني الخربوطلي : الدولة العربية الاسلامية ص ١١٧ وما بعدها ·

ميدان المعركة وجلسا وجهاً لوجه في الوسط بين المتحاربين . وكان الشيخ الذي اختاره معاوية ورعاً في مظهره ولكنه كان مخادعاً ظالماً ماكراً . وقال الشيخ الذي اختاره معاوية للحكم للذي اختاره عليّ ، تكلم أنت أولاً فأنت أكثر تقوى وورعاً وأكبر مني سناً ، وقال حكم عليّ ، أنا أخلع علياً من الخلافة فقد أخذت منه خاتمه وأنـــا أخلعه من الخلافة كما أخلع هذا الخاتم من إصبعي . وقال حكـــم معاوية وأنا أثبت معاوية في الخلافة كما أثبت هذا الخاتم في إصبعي[١] .

وافترق الحكمان وأصبح معاوية يحكم كـــل سوريا حيث أن الأمراء أقسموا بأن يطيعوا ما يأمر به الشيخان ، وأخذ عليّ جيشه ورحل إلى يثرب ومعه كل أقاربه حيث مات [٢] . وبعد وفاتـــه نظر ابنه للتحكيم على أنه كان خدعة ، وثار ضد معاوية وخاض ضده معركة ضارية ولكنه هزم وفر أمام جيش معاوية الذي أرسل خلفه من قتله هو وأهل بيته جميعاً . وبهذا أصبحت السيادة لمعاوية على كل العرب.

ومعاوية هذا هو حفيد [٣] سفيان ، وحفيد معاوية هو مسلمة [٤] الذي قاد حملة على القسطنطينية ، وهو الذي أمر ببناء مسجد للمسلمين في المعسكر الإمبراطوري . ولم يكن مسلمة حاكماً للعرب ، وإنمـــا

---

(١) تعددت الروايات حول هذا الموضوع . وما ورد هنا قريب مـــن النص الذي أورده اليعقوبي : انظر المصدر السابق ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ .راجع رواية اخرى في الطبري : المصدر السابق ج ٥ ص ٧١ .

(٢) قتل علي في الكوفة ولم يمت في يثرب . انظر الطبري المصدر السابق ج ٥ ص ٤٤٢ .

(٣) الواقع ان معاوية بن ابي سفيان بن حرب بن امية .

(٤) هو مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية .

كان سليمان هو الحاكم وكان مسلمة قائده . وجاء سليمان بأسطوله إلى القسطنطينية [١] ، وأتى مسلمة بطريق البر حتى وصل إلى مدينة لامبساكوس Lampsacus ومنها عبر إلى إقليم تراقية [٢] ومعه ثمانون ألف مقاتل ، وبفضل عناية الله انسحب أسطول سليمان وجيش مسلمة مكللين بالعار بعد أن هزما هزيمة منكرة أمام أسطول الإمبراطور وجنوده . وتمتعت دولتنا بالسلام لسنوات طويلة ، لأن مدينتنا هذه ترعاها وتحميها سيدتنا العذراء مريم أم السيد المسيح . وحين رأى سليمان صورتها المقدسة انتابه الخوف والعار وسقط من فوق حصانه .

٢٢ ـ من حولية ثيوفانيس (٣) طيب الله ثراه عن نفس الاحداث وعن معاوية وجماعته وكيف عبروا الى اسبانيا ، امبراطور الرومان جستنيان رينوتميتوس

هذه هي بداية عهد جستنيان [٤] . وقد عزله ليونتيوس Leontius ثم عاد جستنيان مرة أخرى وعزل ليونتيوس وآبسماروس

---

(١) كان سليمان مقيما بالشام اثناء الحملة ، ويروى الطبري ... كان سليمان بن عبد الملك لما نزل دابق اعطى الله عهدا الا ينصرف حتى يدخل الجيش الذي وجهه الى الروم القسطنطينية . الطبري : المصدر السابق ج ٦ ص ٥٣١ .

(٢) تقع مدينة لامبساكوس في الطرف الشمالي الغربي لآسيا الصغرى فى مواجهة خليج الدردنيل ، ويقع اقليم تراقية في الجهة المواجهة في الجانب الاوربي .

(٣) اشارة الى مصدر ينقل منه المؤلف .

(٤) جستنيان الثاني ٨٦٥ ـ ٦٩٥ ، ليونتيوس ٦٨٥ ـ ٦٩٨ ، ابسماروس ٦٩٨ ـ ٧٠٥ ، جستنيان الثاني مرة اخرى ٧٠٥ ـ ٧١١ م . انظر الجدول الخاص بحكام الاباطرة البيزنطيين .

Apismarus وانتصر عليهما معاً في الهيدروم وقتلهما . وفي هذه السنة أرسل عبد الملك إلى جستنيان لإقرار السلام بينهما وتم الإتفاق على أن يقوم الإمبراطور بسحب المردة من لبنان ويوقف غاراتهم ؛ وأن يعطـي عبد الملك للرومـان كل يوم ألـف نوميسماتـا (١) Nomismata وحصاناً أصيلاً وعبداً حبشياً ، ويقسم بين الطرفين ضرائب قبرص وأرمينيا وأيبريا (٢) بالتساوي (٣) . وأرسل الإمبراطور إلى عبد الملك المندوب الإمبراطوري بولس Paul لإثبات بنـود المعاهدة التي أتفق عليها . وتم توقيع الاتفاقية وكتبت بنودهـا بشهادة الشهود . وعاد المبعوث الإمبراطوري محملاً بالهدايا . وسحب الإمبراطور جماعة المردة وكان عددهم إثني عشر ألفاً . وقد أدى ذلك إلى إضعاف قوة الرومان ، لأن كل مدن الثغور التي يسكنها العرب من بلاد الجزيرة إلى البلاد الأرمينيـة أصبحت لا تواجـه حاميات بيزنطية كما هجرها سكانها بسبب هجمات المردة . وبسحب المردة تمكن العرب من إلحاق الخراب والدمار بأرض الروم الـتي لا زالت تعاني من ذلك الخطر . وفي العام نفسه ذهب الإمبراطور إلى أرمينيا وسحب مردة لبنان وبذلك هدم السور النحاسي الذي كان يحمي الإمبراطورية ، كما نقض الإمبراطور اتفاقية السلام مع البلغـار

---

(١) عملة بيزنطية وهي تساوي $\frac{١}{٧٢}$ من الرطل ذهبا .

Runciman, Byzantine Civilisation, pp. 176 - 7 .

(٢) انظر رقم ٤٥ .

(٣) يروي البلاذري حول شروط الصلح ان عبد الملك صالحهم علـى الف دينار في كل جمعة ، وصالح طاغية الروم على مال يؤديه . البلاذري: فتوح البلدان ص ٢١٨ ، انظر ايضا الطبري : المصدر السابق ج ٦ ص١٥٠ .

وهي المعاهدة التي أبرمها والده من قبل [(١)] .

وفي عهد عبد الملك غزا العرب أفريقيا أيضاً وفتحوها وتركوا بها حامية من جنودهم . وفي ذلك الوقت عزل ليونتيوس الإمبراطور جستنيان من حكم الرومان ونفاه إلى خرسون ونصب نفسه إمبراطوراً ولكن جستنيان جلس على العرش مرة أخرى بعد أن نجح ابسماروس طيبريوس Tiberius في طرد ليونتيوس . وفي هذه الأثناء توفي رئيس العرب عبد الملك وخلفه ابنه الوليد وحكم تسع سنوات . وفي هذه السنة عاد جستنيان إلى عرشه مرة أخرى .

وبسبب تراخي الحكومة وإهمالها،سيطر المسلمون على إفريقيا وملكوها تماماً . ثم عبر حفيد معاوية [(٢)] مع عدد قليل من رجاله إلى أسبانيا ، وبعد ما انضمت إليه كل القبائل فتح إسبانيا وسيطر عليها إلى يومنا هذا ، وهذا هو السبب في تسمية المسلمين الذين يقيمون في أسبانيا بالمعاويين ، وأحفاد هؤلاء هم الذين يعيشون في جزيرة كريت [(٣)] .

---

(١) عقدت هذه المعاهدة عام ٦٨٠ م بين قسطنطين الرابع ٦٦٨ – ٦٨٥ م والد جستنيان الثاني مع خان البلغار اسبروخ Asperuch الذي حكم بلغاريا ٦٨١ – ٧٠١ م . ونقض جستنيان الثاني المعاهدة عام ٧٠٨م. عن ذلك ولمزيد من التفاصيل انظر :
Runciman, A History of The First Bulgarian Empire, pp. 27, 32 .

(٢) قاد الجيوش الاسلامية للفتح طارق بن زياد وموسى بن نصير . انظر ابن عبد الحكم : المصدر السابق ص ٢٠٤ وما بعدها .

(٣) ثار الربضيون بالاندلس وهاجروا الى الاسكندرية ومنها سهل لهم الخليفة المامون أمر غزو كريت عام ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م . انظر ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ١٠٦ وما بعدها ، المراكشي : المعجب في اخبار المغرب ص ٤٤ – ٤٥ .

وعندما تولى ميخائيـــل المتلعثم حكم الرومـــان وقامت ثـــورة توماس [١] التي استمرت ثلاث سنوات كان الإمبراطور خلالهـــا مشغولاً بالمشاكل التي نجمت عن الثورة ، فاستغل مسلمو أسبانيـــا هذه الفرصة المواتية وأعدوا أسطولاً ضخماً وأبحروا من صقليـــة وضربوا جزر الأرخبيل ووصلوا إلى جزيرة كريت ووجدوها تفيض ثراء وتكاد تكون خالية من وسائل الحماية والدفاع ؛ فاستولوا على الجزيرة دون مقاومة وامتلكوها إلى يومنا هذا . وخلف سليمان الوليد وحكم سليمان ثلاث سنوات . وفي عهده قاد مسلمة قائد سليمـــان حملة كبيرة براً بينما قاد عمر [٢] حملة أخرى بحراً ، ولكن عناية الله أرجعتهم يجرون أذيال الخيبة والعار ولم يحققوا هدفهم ، وخلف عمر سليمان لمدة عامين ، ثم خلف عمر يزيد وحكم أربع سنوات وبعده هشام وحكم تسعة عشر عاماً . وبعد وفاته حكم مروان ست سنوات . وبعد مروان تولى عبدالله [٣] وحكم العرب لمدة إحدى وعشرين سنة ، وبعد وفاته أصبح المهدي زعيماً للعرب وحكم تسع سنوات ، وجاء بعده هارون وحكم ثلاثاً وعشرين سنة .

وفي هذه السنة ، كما يقولون ، عندما كـــان يحكم الرومـــان إيرين وقسطنطين ، وهي سنة ستة الاف ومائتان وثمانية وثمانون من

(١) ميخائيل الثاني ٨٢٠ ـ ٨٢٩ م ، واستمرت الثورة من ٨٢٠ ـ ٨٢٣ . وعن الثورة واسبابها واحداثها ونتائجها انظر : فازيلييف : العرب والروم ص ٢٨ وما بعدها .

(٢) عندما تولى عمر بن عبد العزيز أمر المسلمين كان مسلمة بأرض الروم فأمره بالقفول منها بمن معه من المسلمين . الطبري : المصدر السابق ج ٦ ص ٥٥٣ .

(٣) عبد الله المعروف بالسفاح ٧٥٠ ـ ٧٥٤ م مؤسس الدولة العباسية . وانظر الجدول الخاص بالخلفاء العباسيين .

خلق العالم ، توفي هارون رئيس العرب داخـــل فارس المسمـــاة خراسان [١] ، وتولى الحكم من بعده ابنه محمد .

ولما كان محمد هذا غبياً وغير متزن في كل تصرفاته ، فقد ثار ضده أخوه عبدالله في خراسان وجمع حوله أنصار والده ودخلت البلاد في حرب أهلية[٢] ، وأصبح الذين يعيشون في سوريا ومصر وليبيا يخضعون لحكومات عديدة مختلفة ؛ وهكذا حطموا وحدة الأمة الإسلامية بالانغماس في الفتن والنهب ، وإثارة الفوضى والشغب بكل أنواعه ضد بعضهم البعض ، وضد رعاياهم المسيحيين . وحتى الكنائس نهبت وخربت ، كما خربوا ديري لوريا Lauria العظيمـــين ، وأديرة القديس خاريتو Charito ، والقديس كرياك Cyriac ، والقديس سابا Sabas، وأديرة الرهبان الآخرين وهي دير القديس بوثيميوس Euthymius والقديس ثيودوسيوس Theodosius . واستمرت هذه الفوضى خمس سنوات قتل خلالها الكثيرون من المسلمين والمسيحيين .

وحتى هذه المرحلة وضع تاريخ العرب — وفقاً لترتيب زمني دقيق — القديس ثيوفانيس الذي أنشأ دير مجاس أرجـــوس Magas

---

(١) توفي هارون الرشيد في مدينة طوس باقليم خراسان ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م ٠ البلاذري : فتوح البلدان ص ٤١٧ ٠ وسنة ٦٢٨٨ تعادل ٧٨٠ م ٠

(٢) عن الصراع بين الامين والمامون انظر : الطبري : المصدر السابق ج ٨ ص ٣٦٤ – ٣٧٣ ، ٣٧٤ – ٣٨٧ ٠

٢٢ ـ ٢٣
Agros ، وهو خال الإمبراطور الورع المتدين قسطنطين بن ليو[1] ، وهو أكبر الأباطرة حكمة وتمسكاً بالفضيلة وهو حفيد بازيل طيب الله ثراه صاحب الحق الشرعي في حكم الرومان .

٢٣ ـ ايبريـا واسبانيا

هناك منطقتان[2] يطلق عليهما إيبريا ، واحدة عند أعمدة هرقل[3] ، أخذت تسميتها من نهر إيبر Iber الذي ذكره أبولودورس Apollodorus في كتابه الثاني « عن الأرض » Concerning The Earth حيث قال «بين جبال البرانس يجري نهر عظيم ويصب في الداخل » ، وفي هذا القطر توجد أمم مختلفة ، كما ذكر هيرودورس Herodorus في الكتاب العاشر من كتابه تاريخ هرقل الأسطوري History Relating to Herakles ، والعنصر الإيبري الذي أتحدث عنه يعيش على شواطيء ضيقة كجنس واحد ويتميز بأسماء قبائله : أولاً ، الذين يسكنون في أقصى الأجزاء الغربية ويسمون كينتس Kynetes ، وبعدهم إذا كان المسافر متجهاً إلى الشمال يوجد جليتس Gletes ، ثم تارتسيان Tartessians ، ثم البوسينيان Elbusinians ، ثم ماستينوى

(١) توفي المؤرخ ثيوفانيس في ١٢ مارس عام ٨١٨ م · انظر :
Bury, History of the Eastren Roman Empire, p. 74 .
وكونه خال الامبراطور قسطنطين السابع المولود عام ٩٠٥ م أمر يستبعده الباحث ·

(٢) أحدهما اسبانيا والثانية في بلاد أرمينيا · راجع رقم ٤٥ ·

(٣) كانت تعرف بهذا الاسم ثم تحول الى مضيق جبل طارق بعد فتح العرب لاسبانيا انظر : ابن عبد الحكم : المصدر السابق ٢٠٥م ·

(٤) مصدر ينقل عنه المؤلف ويعود في هذا الموضوع بعض المصادر الاغريقية الاخرى ·

٢٣ ـ ٢٤

Mastienoi ، ثم كلكيانوي Kelkianoi وبعد ذلك نهر الرون .
ويقول أرتيميدورس Artemidorus في الكتاب الثاني من كتاب الجغرافيا « هذا البلد ينقسم كما يلي : المنطقة الداخلية التي تقع بين جبال البرانس وجادارا Gadara ، تسمى إيبريا أو أسبانيا ، وقد قسمها الرومان إلى قسمين : الأول ويمتد من جبال البرانس حتى قرطاجة الجديدة ومنابع نهر بيتس Baetis ، والثاني يشمل المساحة حتى جادارا ولوزيتانيا Lusitania ، وبذلك استخدمت كلمة إيبريا هنا أيضاً . ويقول بارثينوس Parthenius في كتابه عن ليوكادياى Leucadiae سوف ترسو على طول نهر ايبرو . وإيبريا الأخرى تقع بالقرب من بلاد الفرس ويسمى أهلها الإيبيريين Iberians مثل إشتقاق بيريانين Pierians من بيريا Pieria ، وبيزريانين Byzerians من بيزريا Byzeria ويقول ديونيسيوس Dianysius « بالقرب من الأعمدة يوجد الإيبيريون الطيبين » .

ويستمر المؤرخ في التحدث على لفظة ايبريا والكتب اليونانية التي أوردت هذه التسمية ومشتقاتها. ومن هذه الكتب كتاب أرسطوفانيس Aristophanes وأرتميدورس Artemidorus وغيرهم [١] .

٢٤ ـ اسبانيا

كلمة أسبانيا مشتقة من هيسبانوس Hispanus وهو مارد له هذا الاسم ، وكانت أسبانيا عبارة عن ولايتين تابعتين لإيطاليا ، واحدة كبيرة والأخرى صغيرة . وقد أشار إليهما خاراكس [٢]

(١) وهذه اشارة الى المصادر التي يستقي منها المؤلف مادته التاريخية
(٢) مصدر من المصادر التي يرجع اليها المؤلف ·

٢٤ ـ ٢٥

Charax في كتابه العاشر من تاريخه ، فقد ذكر أنه في آسبانيا الصغرى ثار اللويزيتانيان The Lusitanians مرة أخرى ، فأرسل الرومان إليهم قائدهم كوينتوس Quintus ، وعن الولايتين معاً كتب نفس المؤلف ، هزم فرياتوس Viriathus القائد الروماني كوينتوس في إقليمي أسبانيا ، وعقد الهدنة معه . ويقول أن الإقليم يسمى إيبيريا . ويقول في كتابه « التاريخ اليوناني » الكتاب الثالث : « وقديماً سمى اليونان أسبانيا باسم إيبريا ، وهم لم يعرفوا اسم المنطقة كلها ولكنهم يطلقون عليها جميعاً اسم الجزء المجاور لنهر إيبرو الذي اشتق اسمه من اسم النهر » . وبعد ذلك قيل أن الإسم تغير إلى أسبانيا .

٢٥ ـ من تاريخ المؤرخ المقدسي ثيوفانيس

في هذه السنة كان فالنتينان [١] Valentinian ضعيفاً ولم ينجح في استرداد بريطانيا وغاله وأسبانيا ، كما فقد كذلك ليبيا الغربية وهي المسماة أرض الإفريقيين . وقد حدث ذلك عندما ذهب القائدان إيتيوس Aetius وبونيفاس Boniface اللذين أرسلهما ثيوديوس [٢] Theodosius بناء على طلب فالنتيان ، وتولى القيادة في غرب ليبيا بونيفاس ، وبسبب الغيرة والحسد اتهمه إيتيوس ظلماً بأنه يدبر ثورة للاستقلال بليبيا ، وأخبر بلاسيديا Placidia والدة فالنتيان بذلك . وفي الوقت نفسه كتب إلى بونيفاس يقول : « إذا

(١) هوفالنتيان الثالث ، حكم الامبراطورية الرومانية الغربية ٤٢٥ ـ ٤٥٥ م .

(٢) هو ثيوديوس الثاني ، وحكم الامبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) ٤٠٨ ـ ٤٥٠ م .

ما أرسل في طلبك فلا تذهب لأنك اتهمت اتهاماً باطلاً ، والإمبراطور والإمبراطورة يدبران حيلة للإيقاع بك » . وبعدما تسلم بونيفاس هذه الرسالة ، أرسل في طلبه فلم يذهب لأنه يثق في إيتيوس باعتباره صديقاً مخلصاً .

وفي الوقت نفسه استقر القوط وشعوب أخرى بأعداد كبيرة في المناطق الشمالية حتى الدانوب جنوباً . ومن أشهر هؤلاء : القوط Goths ، والقوط الغربيون Visigoths ، والجبيدي Gepedes والوندال Vandales . وكلهم يختلفون عن بعضهم في الأسماء فقط ، وليس في أي شيء آخر ، وهم يتكلمون لغة واحدة ويدينون بالمذهب الذي نادى به آريوس Arius . وقد عبر هؤلاء الدانوب في عهد أركاديوس Arcadius وهونوريوس Honorius [1] ، واستقروا في الأراضي الرومانية . والجبيدي الذين انقسموا فيما بعد إلى اللومباريين والآفاريا ، عاشوا في الأراضي الواقعة بين سنجيدونوم Singidunum وسيرميوم Sirmium . وبعد أن استولى القوط الغربيون على روما تحت قيادة رئيسهم الاريك Alaric ، تقدموا إلى غاله وسيطروا على هذه الأراضي . واحتل القوط في بداية عهدهم بانونيا Pannonia ، وبعد ذلك سمح لهم ثيودسيوس الصغير في العام التاسع

---

(١) بعد وفاة تيوديوس الاول ٣٧٩ ــ ٣٩٥ قسمت الامبراطورية الرومانية بين ولديه فحكم اركاديوس الجزء الشرقي ومقره القسطنطينية ٣٩٥ ــ ٤٠٨ ، وحكم هونوريوس الجزء الغربي ومقره روما ٣٩٥ ــ ٤٢٣ م.
راجع :
Gregory of Tours, The History of Franks, p. 595 .

عشر من حكمه ، أن يستقـــروا في أراضي تراقيا [١] . وبعد أن استقروا بها ثمانية وخمسين عاماً حصلوا على إذن من زينـــو [٢] Zeno بالرحيل إلى الجانب الغربي من الإمبراطورية تحت قيادة القنصل النبيل ثيودوريك Theodoric [٣] . كما عبر الوندال نهر الراين بعد أن انضم إليهم الالآن Alans والجرمان ــ الذين يسمون الآن بالفرنجـــة . واستقر الونـــدال تحت زعامة جوجيديسكولس [٤] Gogidisclus في أسبانيا أول الأقطار من ناحية المحيط الغربي ، والآن ونظراً لتخوف بونيفاس من الإمبراطور والإمبراطورة ، عبر من ليبيا إلى أسبانيا واتجه إلى الوندال حيث وجد أن جوجيدسكولس قد مـــات وخلفه ولداه جوثار [٥] Gottharus وجيزريك [٦] Gezerichuo في الحكم . وقد خدعهم بونيفاس ووعدهم بتقسيم ليبيا الغربية إلى ثلاثة أقسام يحكم كل منهم قسماً منها ، بشرط أن يتعاونوا لمقاومة أي عدو مهما كان ، ووقعوا على هذه الشروط . وعبر الوندال المضيق إلى ليبيا واستقروا بها من المحيط حتى طرابلس كما تقدم القوط الغربيون من غاله واستولوا على أسبانيا أيضاً .

وأثناء ذلك جاء بعض أعضاء مجلس السناتو الروماني إلى الإمبراطورة بلاسيديا وأخبروها بأن التهمة الموجهة إلى بونيفاس باطلة ، وأطلعوها

(١) هو ثيوديوس الثاني ٤٠٨ ــ ٤٥٠ م ، وعلى ذلك يكون تحركم عام ٤٢٦ م .
(٢) حكم الامبراطورية ٤٧٤ ــ ٤٧٥ م .
(٣) ملك القوط الشرقيين ٤٨٠ ــ ٥٢٦ م ، وعلى ذلك يكون رحيلهم عام ٤٨٤ م .
(٤) يعرف باسم جودجيزل وحكم الوندال حتى عام ٤٠٦ م .
(٥) لعله جوندريك وحكم الوندال ٤٠٦ ــ ٤٢٨ م .
(٦) حكم من ٤٢٨ ــ ٤٧٧ م

على رسالة إيتيوس — إلى بونيفاس — التي أرسلها لهم بونيفاس ، فاندهشت بلاسيديا غاية الدهشة وأمسكت عن إيذاء إيتيوس ، وفي الوقت نفسه أرسلت رسالة إلى بونيفاس تطلب منه العودة لتولي مهام منصبه ، وأرفقت بالرسالة الوعود والقسم بعدم إيذائه . وبعد وفاة جوثار أصبح جيزريك الزعيم الأوحد للوندال . وعندما تلقى بونيفاس الرسالة خرج لمحاربة الوندال على رأس جيش كبير أتى إليه من روما وبيزنطيوم [١] بقيادة أسبار Aspar ، ودارت معركة مع جيزريك ولكن الهزيمة حلت بالرومان ، وعاد بونيفاس وبصحبته أسبار إلى روما وبدد بونيفاس الشكوك التي ثارت حوله بالكشف عن الحقيقة . والمهم أن أفريقيا سقطت في يد الوندال[٢] وأسر في هذا الوقت مارقيان Marcian الذي سيصبح إمبراطوراً فيما بعد [٣] .

وهناك ثلاثة أمراء للمؤمنين في سوريا كلها ، وأعني الإمبراطورية العربية [٤] وأول هؤلاء يجلس على عرشه في بغداد وهو من بيت محمد ، والثاني في أفريقيا وهو من نسل علي وفاطمة ابنة محمد ، ولهذا يسمون بالفاطميين ، والثالث في أسبانيا وهو من أسرة معاوية .

وفي البداية عندما أصبح للمسلمين السيادة على كل سوريا ، كان مقر أمير المؤمنين في بغداد ، وكان الحاكم المطلق على فارس وإفريقيا ومصر واليمن . وكانت الحكومة المركزية في بغداد ، بينما قسمت

(١) يقصد بها القسطنطينية : لان بيزنطيوم هي اسم القرية التي بنى عليها قسطنطين الاول عاصمته .
Ostrogvrsky, op. cit., p 41 .

(٢) عبر الوندال الى افريقيا عام ٤٢٩ م .
Thompson, op. cit., p. 95 .

(٣) ٤٥٠ ــ ٤٧٤ م .

(٤) المقصود هنا : الخلافة العباسية ، والخلافة الفاطمية ، والخلافة الاموية .

ممتلكات الدولة إلى إمارات قوية أو مقاطعات عسكرية ، الأولى إمارة فارس أو خراسان ، والثانية إمارة أفريقيا ، والثالثة إمارة مصر ،والرابعة إمارة فلسطين أو الرملة . والخامسة إمارة دمشق ، والسادسة إمارة حمص والسابعة إمارة حلب ، والثامنة إمارة أنطاكية ، والتاسعة إمارة حران ، والعاشرة إمارة حماه ، والحادية عشرة إمارة نصيبين ، والثانية عشرة إمارة الموصل ، والثالثة عشرة إمارة تكريت .

وعندما اقتطعت إفريقيا من ممتلكات أمير المؤمنين في بغداد واستقلت عن الدولة وأصبح لها أمير يحكمها غير تابع للخليفة ، أصبحت فارس الإمارة الأولى كما كانت من قبل ، وأصبحت مصر الثانية ، وتليها الإمارات الباقية على نفس الترتيب السابق . وفي هذا الوقت وبسبب عدم قدرة وضعف أمير المؤمنين في بغداد ، استقل أمير فارس أو خراسان وتشبّه بأمير المؤمنين ووضع القرآن في ألواح حول رقبته مثل العقد وقال أنه من نسل عليّ . وعلاوة على ذلك فإن أمير اليمن سعى باستمرار لتكون بلاده من الأراضي التابعة لأمير مصر ، ولكنه استقل هو الآخر وتشبه بأمير المؤمنين وقال: إنه من نسل علي [١]

٢٦ ــ اصل الملك الشهير هيو (٢)

كان لوثير [٣] Lothair الكبير ملك إيطاليا ــ جد الملك الشهير هيو Hugh ــ ينحدر من سلالة شارلمان [٤] Charles The Great ،

---

(١) تعددت مثل هذه الثورات في عصر الدولة العباسية . انظر على سبيل المثال : احمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والاندلسي ص١٠٣

(٢) يعرف باسم هيو اف ارل Arles أو أف بروفنس Provence وحكم ايطاليا من ٩٢٥ ــ ٩٤٧ م ، وتزوجت ابنته برتا من رومانوس الثاني ابن قسطنطين السابع .

(٣) هو لوثير الثاني وحكم ايطاليا ٨٥٥ ــ ٨٦٩ م .

(٤) حكم من ٦٧٨ ــ ٨١٤ م وتوج امبراطورا عام ٨٠٠ م .

الذي تغنت الأشعار والقصص بأعماله العسكرية البطولية . وشارلمان هــذا كان الحاكم المطلق لكل الممالك ، وحكم كإمبراطــور في فرانشيا العظيمة . وفي أيامه لم يجرؤ أي من الملوك الآخرين على تسمية نفسه ملكاً وكانوا جميعاً أتباعاً له . وأرسل شارلمان مالاً كثيراً وثروة وفيرة إلى فلسطين ، وبنى عدداً كبيراً من الأديرة . وعلى أية حال فإن لوثير هذا خرج على رأس قواته لمحاربة روما ، وقد هاجمهـــا واستولى عليها وتم تتويجه بمعرفة البابا آنذاك . وبينما كان عائداً إلى مقر حكمه في بابيا Paipa ، مات في مدينة بياكنزا Piacenza التي تبعد عن بابيا بثلاثين ميلاً . وكان له إبن يدعى أدلبرت Adalbert تزوج من سيدة تدعى برتا Bertha وأنجب منها الملك هيو السابــق الذكر . والمهم أنه بعد وفاة لوثير أتى لويس [1] Louis — أحــد أقاربه — من فرانشيا العظيمة واستولى على بابيا ولكنه لم يتوج وتقدم لويس إلى فيرونا Verona التي تبعد مائة وعشرين ميلاً عن بابيا ولكنه ما إن وصل إلى هناك حتى ثار أهل المدينة ضده وقبضوا عليه وسملوا عينيه ، فاستولى برنجار [2] Berengar على السلطة ، وهو جد برنجار الحالي [3] . وبعدما استولى برنجار على السلطة دخل روما وتوج ملكاً ، حدث أن أرسل عدد كبير من الأهالي إلى رودولف [4] Rodolf في برجانديا Burgundy إعلاناً جاء فيه « احضر إلينـــا وسوف نوليك ملكاً علينا ونقتل برنجار » . وعلى ذلك أتى رودولف

---

(١) هو لويس الثالث ملــك بروفنس ٨٨٧ م ثم ايطاليا فـــي ٩٠٠ وامبراطور على المانيا ٩٠١ — ٩٢٨ م ٠

(٢) برنجار الاول ملك ايطاليا ٨٨٨ م وتوج امبراطورا ٩١١ — ٩٢٤ م

(٣) برنجار الثاني ملك ايطاليا ٩٥٠ — ٩٦١ م ٠ وذكر المؤلف للملك برنجار الثاني يعني ان هذا الجزء من الكتاب سجل في عام ٩٥٠ م أو بعده

(٤) هو رودولف الثاني ٩١١ — ٩٣٧ م ٠

من برجانديا إلى بابيا ، ولكن نصف الشعب وقف بجانب برنجار وأيد الباقي رودولف . ودارت الحرب بين الإثنين وانتصر برنجار في أول الأمر. ثم اندلعت الحرب مرة أخرى وانتصر فيها رودولف ، وفـر أنصار برنجار وتركوه وحيداً في ميدان المعركة فتظاهر بأنه ميت وألقى بنفسه بين القتلى وغطى نفسه بترسه ، ولكنه ترك ساقه مكشوفة فجاء أحد جنود رودولف وطعنه فيها بحربته ، ولم يتحرك برنجار . ولهـذا تركه الجندي وهو يعتقد أنه جثة هامدة ، ولم يعرف رودولف أنـه برنجار . وبعد انتهاء المعركة تحامل برنجار على نفسه وذهب إلى قصره وحيداً واستعاد عرشه وحارب رودولف وانتصر عليه . وانتهى الأمر بأن توصلا إلى اتفاق يقضي بتقسيم المملكة إلى قسمين يحكم كل واحد منهما قسماً منه (١) ، ولكن رودولف كان خاضعاً لسلطة برنجار لا يفعل شيئاً إلا بمشورته . وأعقب ذلك قدوم ثلاث شخصيـات مـن برجانديا إلى بابيا بقصد طرد حاكميها والاستيلاء عليها ، والثلاثة هم الماركيز تاجليافيرو Tagliaferro ، والماركيز بوزو Boso ، وشقيقه الماركيز هيو ، والأخير هو أكثر الملوك نبلاً وشرفاً كما أشرت من قبل . وعندما سمع برنجار بذلك ، استعد وخرج لقتالهم ، وحاصر برنجار القادمين ومنع عنهم المؤن لتجويعهم حتى يضطروا للتسليم ، كما أعطى الأوامر لجيشه بعدم قتل أي فرد من معسكر هيو ، وإذا أسر أحدهم فعليهم بجدع أنفه وصلم أذنيه ثم يُخلوا سبيله. وانتهى الأمر بالتسليم وحمل المراكيز الثلاثة الأناجيل المقدسة في أيديهم ، ووقفوا حفاة الأقدام في حضرة برنجار وطلبوا العفو منه ، وأقسموا بألا تطأ أقدامهم بابيا طوال حياته ، فسمح لهم برنجار بمغادرة بابيا والعودة إلى بلادهم .

---

(١) للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر :
Previté - Orton, The Shorter C. M. H. I, pp. 436 - 7 .

وعقب ذلك اغتال فلامبرت Flambert برنجار وهو في طريقه إلى فيرونا ، وبذلك أصبح رودولف ملكاً على كل المملكة .ولكن الأهالي أرسلوا إلى الملك هيو في برجانديا وكتبوا إليه « احضر وسوف نسلمك مقاليد الحكم » . وما أن حضر حتى أخذه الشعب إلى القصر ونصبوه ملكاً عليهم ، وقالوا لرودولف : « اخرج من هنا وخذ معك ثروتك واذهب إلى حيث شئت سواء إلى بلدتك أو إلى أي مكان آخر » . فذهب إلى برجانديا حيث حكم عددا كبير من الناس . وعند وفاته ذهب هيو إلى برجانديا وتزوج أرملته وتدعى برتا ، وزوج ابنتها أدلسا Adelesa إلى ابنه لوثير . والآن فإن التي قدمت إلى القسطنطينية وتزوجت من رومانوس[1] ـ المولود في الغرفة الأرجوانية ـ ابن قسطنطين تدعى برتا وهو اسم جدتها أيضاً التي حكم زوجها عشر سنوات بعد موت أدلبرت . ولكن برتا الصغرى أصبحت تدعى يودكيا Eudocia تيمناً باسم جدة قسطنطين المشمول بحب السيد المسيح ، واسم أخته أيضاً .

٢٧ ـ مقاطعة لمبارديا ومبادىء السياسة والحكم فيها

كانت إيطاليا كلها في الأزمنة القديمة بما فيها نابلي Naples وكابوا Capua وبنفنتوم Beneventum وسالرنو Salerno وأمالفي Amalfi وجيتا Gaeta وكل لمبارديا تحت حكم الرومان ، وأعني بذلك عندما كانت روما عاصمة الامبراطورية . ولما انتقل عرش الامبراطورية إلى القسطنطينية انقسمت كل هذه الممتلكات إلى حكومتين ، ولذلك كان

---

(١) رومانوس الثاني ٩٥٩ ـ ٩٦٢ م ، ابن قسطنطين السابع ، وقد تزوج رومانوس من برتا عام ٩٤٤ م ولكنها ماتت وهي صغيرة ولعل هذا ما جعل المؤرخ يضفي عليه نوعا من البطولة . وعن ظروف هذا الزواج انظر :
Runciman, The Emperor Romanus Lecapenus, pp. 195 - 6 .

الامبراطور يرسل اثنين من النبلاء أحدهما يحكم صقلية وكالابريا Calabria ونابولي وأمالفي ، والآخر مقره بنفتنوم ويحكم بابياوكابوا وبقية أقاليم إيطاليا . واعتاد النبيلان على إرسال مبلغ من المال كل عام حسب ما تسمح به الخزانة . وكان الرومان يسكنون كل هذه الأقاليم .

وفي عهد الامبراطورة إيرين [١] أرسل الشريف نارسيس Narses ليحكم بنفنتو وبابيا . كما حكم البابا زكريا [٢] Zacharias الإثنين في روما . وحدث أن قامت الحرب في منطقة بابيا ، وأنفق الشريف نرسيس كل الضرائب التي جمعت للخزانة ، ولم يرسل المبلغ المعتاد إلى القسطنطينية ، وأرسل بدلا منه رسالة جاء فيها : « أتوقع أن ترسلوا إليّ الأموال من عندكم حيث أنني استنفذت كل ما جمعته هنا ، وأنفقته على الحرب ، وما حدث هو العكس فأنتم الذين تطلبون منا الأموال ». وعندما علمت الامبراطورة إيرين بفحوى الرسالة غضبت وأرسلت اليه مغزلا وخيوطاً وكتبت تقول : « خذ هذه الأدوات التي تناسبك ، فقد وجدنا من الأنسب لك أن تغزل بدلا من الدفاع عن الامبراطورية وقيادة الجيش ودخول المعارك كمقاتل يحمل السلاح » . ورد نارسيس على الامبراطورة يقول : « بما أنني لا أصلح في نظرك إلا للغزل كالنساء ، فسأغزل لك بهذا المغزل قيوداً لا يستطيع الرومان حلها وسيعانون مني كثيراً » .

---

(١) ٧٩٧ ـ ٨٠٢ م .

(٢) تولى كرسي البطريقية ٧٤١ ـ ٧٥٢ ، وبذلك لا يكون معاصرا للامبراطورة ايرين ، بل كان معاصرا لها البابا ليو الثالث ٧٩٥ ـ ٨١٦ م .

٢٧٠

وفي الوقت نفسه كان اللمبارديون يسكنون بانونيا [١] حيث يقيم الأتراك الآن ، فأرسل الشريف نرسيس إليهم فواكه من جميع الأصناف وكتب إليهم : « تعالوا هنـــا وسوف تملكون أرضاً تفيض عسلاً ولبناً كما يقال ، ولم يخلق الله مثلها ، فاذا أعجبتكم أقيموا فيهـــا واستقروا وربما تعتبرونني قديساً لأمد طويل » .

واستمع اللمبارديون لنصيحته وأطاعوه وجاؤوا بعائلاتهم إلى بنفنتوم [٢] ، ولكن أهـــل المدينة لم يسمحوا لهم بالدخول ، فاستقروا خارجها على جانب النهر القريب من سور المدينة ، حيث بنوا مدينة صغيرة ولهذا السبب سميت : المدينة الجديدة Civita Nova وما زالت قائمة حتى يومنا هذا ، ولكنهم بدأوا يدخلون المدينة ويذهبون إلى الكنيسة . وعن طريق خطـة اتبعوها أصبحت لهم السيادة على أهالي بنفنتوم ؛ ثم ما لبثوا أن تغلبوا عليهم وامتلكوا المدينة ؛ فقد أخفوا السيوف في أمتعتهم ودخلوا بها الكنيسة وقتلوا كل من كان في طريقهم ، ثم تقدموا بعد ذلك وأخضعوا كـــل الأراضي بما في ذلك إقليم لومبارديا وكالابريا حتى بابيـــا ، عدا أوترانتو Otranto وجاليبولي Gallipoli وروزانو Rossano ونابلي وجيتا وسرنتو Serrento وأمالفي . والمدينة الأولى القديمة العظيمـــة كانت كابوا ، والثانية نابولي والثالثة بنفنتوم والرابعة جيتـــا والخامسة أمالفي .

---

(١) يقصد المؤلف اقليم مورافيا التي نزل به الاتراك في عصره . انظر رقم ٤١ .

(٢) كان تقدم اللمبارد من بانونيا الى ايطاليا في اوائل ابريل عـــام ٥٦٨ م وذلك بسبب ضغط العناصر السكسونية عليهم ، وقد نجحوا فـــي دخول ايطاليا في عصر الامبراطور جستن الثاني ٥٦٥ ــ ٥٧٨ م وليس في عصر الامبراطورة ايرين كما سبق وأوضح المؤلف في بداية نفس الموضوع .
وعن دخول اللمبارديين الى ايطاليا انظر :
Previté - Orton, op. cit., I, p.217 . w

وقد أنشئت سالرنو Salerno في عهد سيكاردوس Sicardus عندما قسم اللمبارديون المقاطعات . وقد مر حتى الآن مائتا سنة على هـذا التقسيم[١] وهي السنة الضريبية السابعة، وسنة ستة آلاف وأربعماية وسبعة وخمسون منذ بداية العالم [٢] . وفي لومبارديا وجد أخان هما : سيكون Cicon وسيكاردوس . وحكم الأول بنفنتوم ومناطق باري Bari وسيبونتوم Sipontum ، وحكم الثاني سالرنو وكابوا وكالابريا ، وكانت نابلي مقر الشريف ومنها يحكم صقلية أيضاً . وعندما يصل الشريف إلى نابلي فان دوقهـا يغادرها إلى صقلية . كما كانت كابوا مدينة كبيرة ، وعندما خربها الوندال وأصبحت مدينة مهجورة استقر فيهـا اللمبارديون. ولما هاجمها الأفارقة مرة أخرى ، أنشأ الاسقف لاندولف Landulf مدينة عند القنطرة سميت كابوا الجديدة ، وما زالت قائمة حتى وقتنا هذا ، ومر عليهـا ثلاث وسبعون سنة [٣] . وكانت نابلي وأمالفي وسرنتو خاضعة دائماً للامبراطور الروماني .

وكلمة Mastromilis تعني في اللغة الرومانية القـائد الأعلى للجيش [٤] .

---

(١) يعني هذا ان هذه الاحداث تعود الى عام ٧٥٠ تقريبا ولم أجد في ثبت الحكام اللمبارد اسم سيكاردوس ولعله دسيدريوس Desiderius ٧٥٦ ــ ٧٤٤ م ٠

(٢) ٦٤٥٧ ــ ٥٥٠٨ = ٩٤٩ م ٠

(٣) ان مرور ثلاثة وسبعين عاما يعني أن الاحداث وقعت عام ٨٧٦ م لان المؤلف يدون عام ٩٤٩ م ٠ وسنة ٨٧٦ م تعادل ٢٦٣ هـ ٠ وعلى ذلك فان كلمة الافارقة المراد بها الاغالبة في صقلية في عهد الوالي جعفر بن محمد (٢٥٨ ــ ٢٦٤ هـ) الذي اغار على الشواطىء الايطالية وقد ذكر ابن الاثير احداث هذه الغارة في عام ٢٦٤ هـ ٠ انظر : ابن الاثير : المصدر السابـق جـ ٧ ص ٣٢٠ ٠

(٤) وردت هذه العبارة في هذا الموضع بالنص ، ولا داعي لها فـي هذا المكان ٠

۲۷ وقبل أن يعبر البنادقة ويستقروا في الجزر التي يعيشون فيهـا الآن كانوا يسمون إنتيكوى Enetikoi ، وكانوا يعيشون على اليابسة في مدن كونكورديا Concordia وجاستنيانا Justiniana ونونيوم Nonum ومدن أخرى كثيرة .

وعندما عبر هؤلاء البنادقة بدأوا في بناء مدينة قوية التحصين وهي مقر دوق البندقية إلى الآن [1] . وهي مدينة يحيط بها البحر لمسافة ستة أميال ، وهذا البحر يصب فيه سبعة وعشرون نهراً . وهناك جزر أخرى إلى الشرق من هذه المدينة . وفي هذه الجزر أقام البنادقة عدة مدن وهي مدينـة كوجرادون Cogradon حيث توجد كاتدرائية عظيمة بها كثير من آثار القديسين ، ومدينة ريفالينسيس Rivalensis ، ولوليانون Luianon وأبسانون Apsanon وروماتينا Romatina وليكنزيا Licenzia ومدينة بينتيا Pinetai التي تسمى ستروبيلوس Strobilos وبنيولا Binilo وبويس Boes حيث توجد كنيسة بطرس الرسول. وإلوتوالبا Ilitoualba وليتومانجرسيس Litoumangersis وبرنيون Bronion ومادوكون Madaucn وإبولا Ebola وبرستينيا Pristinai وكلوجيا Clugia وبروندون Brundon وفزاؤن Phosaon ولوريتون Lauriton . وتوجد جزر أخرى أيضاً في إقلم البندقية .

وفي اليابسة حيث توجد الأراضي الايطالية ، توجد مدن أخرى للبنادقة وهي كابري Capre ونيوكاسترون Neokastron وفينـز Phins وإيكيلون Aikylon وإيماناس Aeimanas . والمحطة التجارية العظيمة في تورسيلو Torcello ، وموران Mouran وريفالتو Rivalto

(۱) تابع المزيد عن البندقية في الموضوع رقم ۲۸ .

ومعناها القمة حيث يوجد مقر دوج Doge البندقية ، وكافرزنزيس Caverzenzis ويوجد أيضاً محطات تجارية وحصون .

٢٨ ـ تاريخ تاسيس ما يسمى الآن بالبندقية

كانت المنطقة التي توجد بها البندقية الآن مجرد أرض مجدبة غير مسكونة مليئة بالمستنقعات . وما يسمون الآن بالبنادقة كانوا من الفرنجة الذين جاؤوا من أكويليا Aquileia ومن أماكن أخرى من فرانشيا واستقروا على اليابسة المواجهة للبندقية . وعندما جاء اتيلا Attila ملك الآفار[1] وخرب كل أجزاء فرانشيا وهجرها أهلها ، فر كل الفرنجة من إكويليا ومن مدن أخرى من فرانشيا وذهبوا إلى جزر البندقية ، التي كانت خالية من السكان وبنوا لهم أكواخاً فيها خوفاً من الملك أتيلا . وعندما اجتاز أتيلا البندقية وخرب الأراضي وتقدم إلى روما وكالايريا ، وجد هؤلاء ملجأ وملاذاً لهم في جزر البندقية بعدما فروا من بطش أتيلا ، وتنفسوا الصعداء واتفقوا على الاستقرار بها وما زالوا حتى يومنا هذا .

ومرة أخرى وبعد انسحاب أتيلا بسنوات ، وصل الملك بيبن[2] Pippin الذي كان يحكم بابياً وممالك أخرى ، وكان لهذا الملك ثلاثة أخوة كانوا يحكمون الفرنجة والمناطق السلافية . وقد أتى بيبن لمحاربة البنادقة على رأس قوة كبيرة وجيش ضخم وحاصر البندقية من جهة البر

---

(١) كان اتيلا ملكا او زعيما للهون Huns ومات ٤٥٤ م . انظر : Gregory of Tours, op. cit, p. 116 .

(٢) هو بيبن القصير ناظر القصر في نستوريا Neustria منذ عام ٧٤١ ثم حكم الفرنجة ٧٥١ ـ ٧٥٢ م . واخوته هم كارلومان Carloman وجريفو Grifo وبرنهارد Berenhard انظر : Thompson, op. cit., p. 1040 .

في إيبولاس Aeibolas ، وهو المكان البعيد الذي يعبرون منه إلى اليابسة . وعندما رأى البنادقة أن الملك بيين قد جاء لمحاربتهم ومعه هذه القوة الكبيرة وشاهدوه وهو يستعد للإبحار ومعه خيوله إلى جزيرة مادامو كن Madamaucon أقرب الجزر إلى اليابسة ، أنزلوا صواري السفن وجعلوا منها سياجاً يعترض المعبر كله . أما جيش الملك بيين فقد توقف عن العبور بعدما أصبح مستحيلا إلى أي منطقة أخرى ، وظل على اليابسة طيلة ستة أشهر دام الاشتباك فيها كل يوم ، في الوقت الذي كان فيه البنادقة مستعدين بالسفن والجند خلف الحواجز التي وضعوها لمنع تقدم الاعداء . وفي الوقت نفسه كان الملك بيين وجيشه يعسكرون على طول الشاطيء وهم معرضون لوابل من سهام ونبال البنادقة ، وبذلك نجحوا في إيقاف عبور الأعداء .

وفي لحظات اليأس والفشل قال الملك بيين للبنادقة « أنتم ملك يميني ومن رعيتي لأنكم تسكنون في ممتلكاتي أوفي فلكي » . ولكن البنادقة أجابوه قائلين « نحن نريد أن نكون خداماً لإمبراطور الرومان وليس لك » . ولكن بعدما أرهقتهم المتاعب التي تعرضوا لها لفترة طويلة وافق البنادقة على عقد معاهدة مع الملك بيين يدفعون بموجبها جزية كبيرة . وقد أخذت هذه الجزية في التناقص سنة بعد أخرى ، ولكنها تدفع حتى يومنا هذا لمن يحكم مملكة ايطاليا أي بابيا ، وهي ما يوازي ستاً وثلاثين جنيهاً من الفضة . وهكذا انتهت الحرب بين الفرنجة والبنادقة .

وعلى أية حال عندما هرب هؤلاء القوم إلى البندقية وتجمعوا هناك بأعداد كبيرة اختاروا دوجاً لهم من أشرف القوم وأنبله . وقد اختاروا أول دوج لهم قبل أن يهاجمهم الملك بيين . وفي ذلك الوقت كان مقر

الدوج في جزيرة سيفيتانوفا Civitanova ومعناها المدينة الجديدة [1] .
وبما أن هذه الجزيرة كانت قريبة من اليابسة فقد اتفقوا جميعاً على نقل
مقر الدوج إلى جزيرة أخرى بعيدة عن الشاطيء بمسافة تعادل المسافة التي
يرى منها الشخص رجلا على ظهر فرسه .

٢٩ ـ دالماشيا والامم المجاورة لها

كان الامبراطور دقلديانوس[2] Diocletion يحب إقليم دالماشيا حباً
شديداً ، ولهذا أحضر مجموعة من العائلات الرومانية وجعلهم يستقرون
بهذا الاقليم وكانوا يسمون بالروماني لأنهم جاؤوا من روما ، وقد التصق بهم
هذا الاسم حتى ذلك الوقت . وأسس دقلديانوس مدينة سبالاتو Spalato
وبنى ما يعجز اللسان عن وصفه أو القلم عن كتابته ، وقد حل بها الخراب
على مر الزمن ولكن آثارها الباقية تدل على فخامتها [3] . كما بنى أيضاً
مدينة دقليا Diocteia التي يسكنها الديقلتان ـ نسبة إلى اسم مدينتهم ـ
في ذلك الوقت . وقد امتدت الأراضي التي سكنها هؤلاء الروماني حتى
نهر الدانوب .

وعندما أراد الروماني أن يتعرفوا على الشعوب الأخرى التي تقطن
الجانب الآخر من النهر ، عبروه ووجدوا أمة سلافية غير مسلحة كانت
تسمى بالآفار ، وكانت مفاجأة لهم لاعتقادهم بعدم وجود شعوب في
الجانب الآخر . ولما كان الآفار غير مسلحين فقد تمكن الروماني من
هزيمتهم وعادوا إلى وطنهم محملين بالأسرى والغنائم . ومنذ ذلك الحين

---

(١) انظر ما سبق الموضوع ٢٧ .
(٢) ٢٨٤ ـ ٣٠٥ م .
(٣) اورد المؤلف مزيدا من التفاصيل عن هذه الآثار . تابع نفس الموضوع .

أصبح للروماني حاميتان تتغير ان سنوياً يوم عيد القيامة ، بحيث يتقابل الرجال القادمون لاستلام الحامية مع الرجال العائدين منهـــا يوم السبت المقدس عند مدينة كليزا Kleisa . هذا وبالقرب من البحر أسفل هذه المدينة توجد مدينة سالونا Salona وتساوي مساحتها نصف مساحة القسطنطينية.

وفي مدينة سالونا التي تبعد أربعة أميال عن كليزا يحشد الروماني قواتهم ويتجهزون للقتال ومنها يخرجون إلى كليزا ثم يعبرون نهر الدانوب. واستمر تغيير رجال الحاميتين عدة سنوات . واعتقد سكان الجانب الآخر من النهر وهم السلاف أو الآفار أن الأمر انتهى إلى هذا ، ولكنهم عادوا وقالوا : « إن هؤلاء الروماني بعد أن جاؤوا وأخذوا الغنائم فسوف لا يتوقفون عن مهاجمتنا ، وعلينا أن ندبر خطة لمقاومتهم » .

واستقر الأمر بينهم على ذلك ؛ فقاموا بنصب الكمائن وانتهزوا فرصة عبور الروماني إليهم وهاجموهم وهزموهم ، وأخذوا أسلحتهم وأعلامهم وشاراتهم وعبروا النهر إلى الحدود .

وعندما شاهدهم من كان هناك من الروماني ورأوا معهم أعلامهم وشاراتهم والأسلحة الخاصة بهم ، ظنوهم زملاءهم وقد عادوا من القتال فسمحوا لهم بعبور الحدود . وبذلك تمكن السلاف من طرد الروماني واستولوا على مدينة سالونا واستقروا بها [(١)] ، ومنها قاموا بغارات للنهب والسلب حتى أهلكوا الروماني الذين عاشوا في السهول والمرتفعات واستولوا على أراضيهم . وفر من تبقى من الروماني إلى المـــدن الساحلية — واستقروا بها — وهذه المدن هي ديكاترا Decatera وراجوزة Ragusa وسبالاتو وتترانجورين Tetrangourin وديادوا Diadora وأرب

(١) يتناول المؤلف نفس الاحداث بتفاصيل اكثر في الموضوع رقم ٣٠ .

٢٩
Arbe وفيلكا Vilka وأبسار Opsara ، وهي مدن يسكنها الروماني حتى وقتنا هذا .

ومنذ عهد الإمبراطور الروماني هرقل كما ورد في الرواية الخاصة بالكروات والصرب ، فان دالماشيا كلها والشعوب المحيطة بها مثـل الكروات [١] والصرب [٢] والزاكلومي [٣] Zachlami والتربونيوت Terbouniotes والكاناليت [٤] Kanalites والديقولتان [٥] والارينتاني Arentani وهم الذين يسمون أيضاً الباجاني [٦] Pagani ، كانت تابعة للرومان .

وعندما تدهورت الإمبراطورية وأوشكت على الزوال بسبب ضعف الأباطرة التي حكموها وعدم خبرتهم وخاصة في عهد ميخائيل العموري[٧] Michael Amorion أصبح سكان مدن دالماشيا مستقلين ، وغير خاضعين لإمبراطور الرومان أو لأي حاكم آخر . وليس ذلك فحسب بل استقلت الشعوب الأخرى التي كانت تقطن في تلك الأجزاء وهم الكروات والصرب والزاكلومي والتربونيوت والكاناليت والديقولتان والباجاني ، واعتبروا أنفسهم غير تابعين لأحد . ولم يحكمهم أمراء بل حكمـم زوبانيون[٨] كما هو متبع في المناطق السلافية الأخرى . يضاف إلى ذلك أن

---

(١) عن الكروات راجع رقم ٣٠ ، ٣١ .
(٢) عن الصرب راجع من ٣٠ ، ٣٢ .
(٣) عن الزاكلومي راجع الموضوع رقم ٣٠ ، ٣٣ .
(٤) عن التربونيون والكاناليت راجع الموضوع رقم ٣٤ .
(٥) عن الديقولتان راجع الموضوع رقم ٣٥ .
(٦) عن الارينتاني او الباجاني راجع رقم ٣٠ ، ٣٦ .
(٧) هو ميخائيل الثاني ٨٢٠ – ٨٣٩ م .
(٨) Zupan انظر الموضوع رقم ٣٢ .

الغالبية العظمى من هؤلاء السلاف كانوا غير معمدين وظلوا هكذا فترة طويلة .

وحدث في عهد بازيل[1] — الامبراطور المحب للسيد المسيح — أن أرسل هؤلاء مبعوثين دبلوماسيين يتوسلون إليه كي يسمح لهم بتعميد من لم يعمد منهم ، كما أعلنوا خضوعهم وتبعيتهم لإمبراطورية الرومان ، كما كانوا من قبل . وقد استجاب لهم الامبراطور العظيم بازيل طيب الله ثراه وأرسل إليهم مبعوثاً امبراطورياً يرافقه القساوسة الذين عمدوا من لم يعمد من هذه الشعوب. وبعد ذلك اختار بازيل منهم أمراء ليحكموهم ، وكان هؤلاء الأمراء من العائلات التي يحبونها ويفضلونها على سواها ووافق الأهالي على ذلك . ومنذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا ما زال أمراؤهم يختارون من نفس العائلات وليس من أي عائلة أخرى .

أما الباجاني الذي يطلق عليهم الرومان الأرنتاني فقد ظلوا دون أن يعمدوا لأنهم كانوا يسكنون في مناطق وعرة في هذا الاقليم . وكلمة باجاني تعني باللغة السلافية الذي لم يعمد . ولكن هؤلاء أرسلوا بعد فترة إلى الإمبراطور بازيل العظيم أيضاً ، وتوسلوا إليه لكي يعمدوا كذلك، فأرسل إليهم وتم تعميدهم .

وكما ذكرنا من قبل، فإن عرش الرومان قد تولاه أباطرة ضعاف عديمو الخبرة والتمرس ، وأدى ذلك إلى انقلاب الأحوال ضد الرومان واستقلال سكان مدن دالماشيا بحكم أنفسهم وأصبحوا غير خاضعين لإمبراطور الرومان أو لغيره ، وبعد فترة من الزمن ، وفي عهد الإمبراطور المعظم بازيل الخالد ، جاء المسلمون من إفريقية بقيادة السلطان

(١) هو بازيل الاول ٨٦٧ ـ ٨٨٦ م .

وقائدين هما سابا Saba وكلفوس Kalphus ، جاؤوا في ست وثلاثين سفينة ووصلوا إلى دالماشيا واستولوا على مدينة بتوفا Butova ومدينة روسا Rossa ومدينة ديكاترا Decatera ثم جاؤوا إلى مدينة راجوزة Ragusa وحاصروها طيلة خمسة عشر شهراً[1] . وتحت وطأة ما عاناه سكان مدينة راجوزة من شدة الحصار أرسلوا إلى الإمبراطور الروماني بازيل قائلين : كن رحيماً بنا ولا تتركنا لهؤلاء المسلمين . وتحركت عاطفة الإمبراطور وأرسل إليهم أمير البحر النبيل نيقتاس أوريفاس Nicetas Oryphas على رأس مائة سفينة حربية .

وعندما علم المسلمون بوصول قائد الأسطول الروماني مع قسم من الأسطول فكوا حصار مدينة راجوزة وعبروا إلى لومبارديا وحاصروا مدينة باري Bari[2] واستولوا عليها ، وبنى السلطان قصراً هناك وظل حاكماً لكل لمبارديا أربعين سنة .

لهذا السبب أرسل الإمبراطور إلى لويس[3] Louis ملك فرانشيا وإلى بابا روما[4] يدعوهما إلى التعاون ومد يد المساعدة لجيشه . وقد استجاب

---

(١) وقعت هذه الاحداث عام ٢٥٢ ـ ٢٥٤ هـ/٨٦٦ ـ ٨٦٨ م . ميخائيل اماري: المكتبة الصقلية ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ . وكان يتولى امر صقلية خفاجه بن سفيان ٢٤٧ ـ ٢٥٥ هـ انظر ابن الاثير : المصدر السابق جـ ٧ ص ١٠٦ وما بعدها راجع ارشيبالد : القوى البحرية والتجارية في البحر المتوسط ص ٢١٨ .

(٢) ترد في المصادر العربية باسم بارِ ميخائيل امارى : المصدر السابق ص ٢٣٩ ، ٢٦٠ . وقد استولى عليها المسلمون في عام ٨٤٦ م وعادت الى البيزنطيين عام ٨٧١ م . انظر :
C. M. H. IV, Part I, pp. 728 - 9

(٣) هو لويس الثاني امبراطور المانيا ٨٥٥ ـ ٨٧٥ .

(٤) يعاصر هذه الاحداث البابا هادريان الثاني Hadrian II ٨٦٧ ـ ٨٧٢ م .

الملك والبابا إلى طلب الإمبراطور وجاء الإثنان على رأس قوة كبيرة انضمت إلى الجيش الذي أرسله الامبراطور ومعهم الكروات والصرب والزاكلومي والتربونيت والكانااليت وأهالي راجوزة وكل مدن دالماشيا الذين تجمعوا بناء على أوامر الامبراطور ، وعبر كل هؤلاء إلى لمبارديا وحاصروا مدينة باري واستولوا عليها ، بعدما تم نقل الكروات ورؤساء السلاف الآخرون إلى لمبارديا على سفن أهل مدينة راجوزة . وقد آلت مدينة باري ومعظم أسرى المسلمين في هذه المنطقة إلى الامبراطور الروماني . ولكن لويس أخذ السلطان[1] وبقية أسرى المسلمين ونقلهم إلى مدينة كابوا وإلى مدينة بنفتوم .

وابتأس السلطان وفارقته الابتسامة . وقال الملك إذا أخبرني أحد أن السلطان قد ضحك أو يجعلني أراه وهو يضحك فسأعطيه مالاً كثيراً . ورآه أحدهم وهو يضحك فأخبر الملك لويس ، فاستدعى السلطان وسأله عما أضحكه فقال « لقد رأيت عربة تدور عجلاتها ولهذا ضحكت لأنني كنت منذ فترة قصيرة في القمة ، وأنا الآن أقل شأناً من الجميع ، ولكني أدعو الله أن يخلصني من هذه القمة ويرفع من قدري ومكانتي » . فدعاه لويس إلى مائدته وتكرر ذلك .

وكان نبلاء كابوا وبنفتوم يذهبون إلى السلطان ويسألونه عن كيفية العناية بالماشية وأمور أخرى كثيرة بسبب كبر سنه وخبرته الطويلة . ولكن السلطان الذي كان خبيثاً وماكراً قال لهم ، أريد أن أقول لكم شيئاً ولكني أخشى أن توشوا بي عند الملك فيقتلني ، ولكنهم أقسموا له بعدم إخبار الملك بشيء مما يقال ، فقال لهم : إن الملك ينوي إبعادكم جميعاً إلى فرانشيا

---

(١) لعله يقصد احد الامراء او القادة العسكريين ان صحت هذه الرواية

العظيمة ، وإذا كنتم لا تصدقونني فانتظروا لتروا ما سيحدث لكم » ثم تركهم وذهب إلى الملك لويس وقال له « إن النبلاء هنا يضمرون لك شراً ، ولن تستطيع أن تكون سيداً مطاعاً في هذه المنطقة إلا إذا كسرت شوكة الرجال الأقوياء الذين يناوئونك ، فإذا ألقيت القبض على رجال المدينة البارزين وأرسلتهم إلى فرانشيا ، فإن الباقين يعلنون خضوعهم التام لرغباتك » واستجاب الملك لنصيحة السلطان وأمر بصنع سلاسل من الحديد ليقيد بها الرجال الذي ينوي طردهم .

ذهب السلطان إلى النبلاء وقال لهم « أما زلتم لا تصدقون أن الملك سيرسلكم إلى المنفى وتصبحون نسياً منسيا ، والدليل على صدق حديثي تعرفونه إن تذهبوا إلى الحدادين ، وانظروا ماذا يصنعون جميعاً امتثالاً لأوامر الملك . وإذا وجدتم أنهم لا يصنعون السلاسل والقيود ، فاعلموا أن كل ما أخبرتكم به كذباً ، ولكن إذا كان قولي صدقاً فتصرفوا للحفاظ على سلامتكم وإنني أنتظر منكم مكافأتي على النصيحة الغالية التي قدمتها لكم » .

واقتنع النبلاء بقول السلطان في بداية الأمر ، ولكنهم صدقوه تماماً عندما رأوا السلاسل والقيود ، فأعدوا مؤامرة للتخلص من سيطرة الملك لويس الذي كان قد خرج للصيد دون أن يدري ما يدبره له النبلاء . وانتهز النبلاء فرصة غيابه واستولوا على المدينة ومنعوه من دخولها عند عودته ، فعاد إلى بلاده بعدما رأى موقف النبلاء المعارض منه .

وقال النبلاء للسلطان « ما هي المكافأة التي تريد منا أن نقدمها لك بعدما بصرتنا للتخلص من الملك لويس » فطلب منهم السلطان أن يعيدوه إلى بلاده ففعلوا ذلك وعاد إلى إفريقيا :

ولما كان قلب السلطان مليئاً بالحقد فقد قاد حملة لمهاجمة كابوا

وبنفتوم وحاصرهما بهدف الاستيلاء عليهما . وأرسل حكام المدينتين رسلاً إلى الملك لويس في فرانشيا وطلبوا مساعدته لمواجهة السلطان ومسلمي افريقيا. ولما علم لويس بذلك، وبعد أن عرف أن السلطان هو الذي حرض النبلاء عندما قال لهم « أن الملك ينوي إرسالكم إلى فرانشيا وأنتم مقيدون بالسلاسل » أجاب لويس قائلاً « إنني نادم على تصرفاتي السابقة معكم وإنقاذكم من أعدائكم وقد جازيتموني الحسنة بالسيئة ، وبما أنكم طردتموني من بلدكم ، فإنني الآن سعيد ومسرور لما سيصيبكم من دمار على أيدي أعدائكم » .

ولما فشل النبلاء في الحصول على مساعدة الملك لويس أوفدوا الرسل إلى امبراطور الرومان يطلبون مساعدته وتخليصهم من الخطر المحدق بهم واستجاب الامبراطور ووعد بمساعدتهم .

وعندما غادر المندوب الإمبراطوري القسطنطينية في طريقه إلى أهالي المدينتين وهو يحمل البشائر بتحالف الإمبراطور معهم ، أسره كشافة السلطان قبل أن يصل إليهم ، فقد علم السلطان سلفاً أن أهل المدينتين لا بد وأن يستنجدوا بالامبراطور ، ولهذا بذل جهده للقبض على المندوب الإمبراطوري . وعلم السلطان منه أن إمدادات الامبراطور سوف تصل خلال أيام قليلة، وقال السلطان لهذا المندوب « إذا فعلت ما آمرك به فسوف أطلق سراحك وأكافئك بهدايا عظيمة ، ولكن إذا عصيت أوامري فستلقى مصيراً قاسياً وتموت ميتة شنيعة » . ووعد المندوب السلطان أن ينفذ ما يؤمر به فطلب منه أن يقف بجوار سور المدينة وينادي على من أرسلوه ويبلغهم أنه قام بالمهمة التي كلف بها وأنه ألح على الإمبراطور لحمله على مساعدتهم والوقوف بجانبهم ، ولكن جهوده ذهبت أدراج الرياح، وأن الامبراطور ترفع على إرسال المدد إليهم، وعليهم ألا يتوقعوا مساعدته». واقتيد المندوب ليقترب من سور المدينة ليفعل ما أمر به السلطان[1] ، ولكن

(١) ورد في المصادر العربية ان خفاجه بن سفيان سير ابنه محمدا ←

المندوب لم يحفل بكل ما أمر به السلطان ولم يخش تهديداته ولم تغره وعوده، وتذكر خشية الله وحده ، وحدث نفسه بأن من الأوفق أن يموت بمفرده بدلاً من أن يتسبب في إيقاع كل هذه الأرواح في الشرك ويسوقها إلى حتفها .

ولما أصبح قريباً من سور المدينة نادى على النبلاء وخاطب الذين كانوا يحكمونها ؛ قال : «سادتي ، إنني تخليت عن وظيفتي وسوف أخبركم بقرار إمبراطور الرومان ، ولكني أستحلفكم بالسيد المسيح وبخلاص المدينة وخلاص أرواحكم أن تكافئوا بدلاً مني أبنائي وزوجتي الذين ينتظرون عودتي إليهم ، لأن الله سيجازيكم على رعايتكم لهم» ، وأضاف : «سوف يقتلني السلطان الذي هددني بالموت إذا لم أطع أوامره وعليكم أن تصمدوا ولا تضعفوا ولا تخافوا وتحملوا قليلاً فسوف تصل النجدات التي أرسلها الامبراطور الروماني لكم خلال أيام قليلة» . وعندما قال ذلك هجم عليه خدم السلطان وكل منهم يتسابق لقتله .

وبعد مقتل المندوب خاف السلطان من الجيش الذي وعد الامبراطور بإرساله فانسحب عائداً إلى بلاده ، ومنذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا أصبح أهالي كابوا وبنفتوم خاضعين لسلطة الامبراطور الروماني ويتبعونه تبعية كاملة بسبب ذلك العون العظيم الذي قدمه إليهم .

ولم تكن مدينة راجوزة بهذا الاسم عند الرومان وكانت تكتب عندهم

في عام ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م الى مدينة طبرمين وهي من احسن مدن صقلية ... وكان قد أتاهم من وعدهم أن يدخلهم اليها عن طريق يعرفه . انظر : ابن الاثير : المصدر السابق ج ٧ ص ١٠٨ . ولعل المؤلف خلط بين الحادثين لقربهما من بعضهما ولبعدهما الزمني عن عصره .

كيفلو Cliff - Lau لأنها مقامة على جرف ، ويسمى مكانها لوسايوى Lausaioi أي سكان الجرف ، ولكن استخدام العوام لهذه الكلمة أدى إلى تحريفها وتغيير حروفها فتغير المسمى وأصبح يطلق عليها روسايوى Rausaioi . وهؤلاء هم الذين كانوا يمتلكون المدينة التي تسمى بيتورا Pitaura . وحدث عندما استولى السلاف على مدن الاقليم استولوا عليها أيضاً وقتلوا بعض سكانها وأسروا البعض الآخر . أما الذين تمكنوا من الفرار سالمين فقد استقروا في المناطق الوعرة حيث توجد راجوزة الآن . وقد بنوا مدينة صغيرة في أول الأمر ، ثم عملوا على زيادة مساحتها بعد ذلك وظلت في الاتساع حتى بلغت مساحتها الحالية وذلك بسبب توسعهم وزيادة عددهم .

ومن الذين هاجروا إلى راجوزة جريجورى Gregory وأرسافيوس Arsaphius وفيكتورينوس Victorinus وفيتـاليوس Vitalius ورئيس الشمامسة فالنتين Valentine ، وفالنتين والد صاحب الصدارة ستيفن Stephen وقد مرت خمسمائة سنة على هجرتهم من سالونا إلى راجوزة حتى الآن ، أي عام ستة آلاف وأربعمائة وسبعة وخمسون من خلق العالم[1]. وفي مدينة راجوزة دفن القديس بانكراتيوس Pancratius ـ في كنيسة القديس ستيفن التي تقع في وسط المدينة .

وأسس الإمبراطور دقلديانوس مدينة سبالاتو التي تعني القصر الصغير ، وجعلها مقراً له وبنى بها قصراً وبلاطاً . وقد دُمر الجزء الأكبر منها ولكن بعض الآثار بقيت إلى ذلك الوقت . ومثال ذلك كنيسة القديس دومنوس Domnus . وكانت من قبل استراحة للامبراطور دقلديانوس ، وكانت سراديبها تستخدم كسجون يعتقل فيها الامبراطور القديسين الذين عذبهم .

(١) ٦٤٥٧ ـ ٥٥٠٨ = ٩٤٩ م .

وفي هذه المدينة دفن أيضاً القديس أناستاسيوس Anastasius . وكان سور المدينة الذي بني للدفاع عنها من الكتل الخشبية وليس من الآجر أو الحجارة ، وكانت الكتلة الواحدة قامة أو قامتين طولاً ، وقامة واحدة عرضاً ، ومثبتة مع بعضها بوصلات حديدية مغلفة بالرصاص[1] . وفي مدينة سبالاتو توجد صفوف متراصة من الأعمدة كان الامبراطور دقلديانوس ينوي بناء قباب فوقها لتغطية المدينة ، وكان يعتزم أن يبني قصراً وحياً سكنياً فوق القباب ومنازل ترتفع إلى طابقين أو ثلاثة فلا تشغل مساحة كبيرة من أرض المدينة[2] . ولم يكن لحصن المدينة سور أو متاريس وإنما كان ذا جدران قوية بها فتحات للرمي بالسهام .

ومدينة ترانجورين Tetrangourin عبارة عن جزيرة صغيرة في البحر ولها لسان ضيق يصلها بالشاطىء بما يشبه القنطرة ، ومنه يعبر السكان إلى مدينتهم ، وقد سميت بهذا الاسم لأن شكلها مستطيل مثل القثاء ، وفي هذه المدينة يرقد لورنس Lawrence الشهيد القديس رئيس الشمامسة .

ومدينة ديكاتيرا Decatera معناها في لغة الرومان الضيق أو المخنوق لأن البحر يجعل منها لساناً ضيقاً لمسافة خمسة عشر أو عشرين ميلاً . وفي هذا الذيل البحري تقع المدينة وتحيط بها الجبال العالية في شكل دائرة ولهذا السبب لا ترى الشمس منها إلا في الصيف فقط عندما تتوسط الشمس السماء ، ولا يمكن رؤيتها في الشتاء . وفي هذه المدينة مثوى القديس تريفون Tryphon الذي يشفي كل مريض خاصة الذين تعذبهم الأرواح الشريرة وكنيسته تميزها القبة التي بنيت أعلاها .

---

(١) تغليف الحديد بالرصاص يمنع صدأ الحديد وعدم تآكله بسرعة .

(٢) تعطي لنا هذه الصورة نوعا من تخطيط المدن في العصور الوسطى وهي تصور افكارا متقدمة .

ومدينة ديادورا Diadora في لغة الرومان (Iam era) ، ومعنى ذلك أنها كانت موجودة بالفعل عند إنشاء مدينة روما . ثم اتسعت وأصبحت مدينة كبيرة . واستعمال العامة للكلمة جعلها تحرف إلى ديادورا . وفي هذه المدينة ترقد القديسة العذراء أناستاسيا Anastasia ابنة يوستاثيوس Eustathius الذي كان يجلس على العرش في ذلك الزمان[1] والقديس خريسوجونوس Chrysogonus الراهب والشهيد ومعه قيده المقدس .

وطراز كنيسة القديسة أناستاسيا طراز بازلكى Basilica ، مثل طراز كنيسة خالكوبراتيا Chalcopratia ، ولها أعمدة خضراء وبيضاء وكلها مزينة بصور ثابتة على الطراز القديم وأرضها من الموازييك الرائع الجمال . وبالقرب منها توجد كنسة أخرى مقبية وهي كنيسة الثالوث المقدس ، وفوقها توجد كنيسة أخرى مقبية أيضاً ويتم الصعود إليها بسلم حلزوني .

وتبسط دالماشيا حمايتها على الأرخبيل الذي يتكون من جزر متقاربة وتمتد حتى بنفنتوم ، ولهذا السبب فإن السفن تكون في مأمن من الإغارة عليها في تلك الأجزاء [2] . وإحدى هذه الجزر هي مدينة فيلكلا Velkla ، وعلى جزيرة أخرى مدينة أرب Arbe ، وعلى جزيرة أخرى أوبسارا Opsara وعلى جزيرة أخرى مدينة لومبريكاتون Lumbricaton ، وما زالت هذه المدن مأهولة بالسكان حتى وقتنا هذا . أما الجزر الأخرى غير المأهولة والتي بمثابة مدن مهجورة هي :

---

(١) لا يوجد في ثبت الاباطرة البيزنطيين سواء من حكموا في بيزنطة او في روما ، او باباً في روما او بطرقيا في القسطنطينية من يحمل هذا الاسم . ولعله ورد محرفا او انه اسما لاحد الحكام المحليين .

(٢) تعتبر الجزر المتقاربة خط دفاع امامي عن ساحل دلماشيا وحامية للسفن الراسية على شاطئها .

كاتوتريبنو Kataautrebno وبيزوك Pızouch وسلبو Selbo
وسكيردا Skerda وألوب Aloep وسكيرداكيزا Skirdakissa
وبيروتيما Pyrotima وملطية [1] Metela وإستيونيز Estiounez
وغير ذلك من الجزر الكثيرة التي تبدو أسماؤها غير واضحة أو مفهومة
أما بقايا المدن على البر الأصلي للإقليم والتي احتلها السلاف من قبل ، فقد
أصبحت الآن مهجورة وخالية من السكان .

٣٠ ـ قصة اقليم دالماشيا

إذا كانت المعرفة شيئاً طيباً ومطلوباً للجميع ، فإننا نحاول التوصل
إليها عن طريق التعرف على الأحداث ، ولهذا السبب فإننا نقدم معلومات
مفصلة عنها ، وعن أشياء أخرى تستحق الانتباه ، حتى يجني فوائدها
من يأتون بعدنا ، وتكون الفائدة مضاعفة .

وهؤلاء الذين يريدون الاستيلاء على دالماشيا ، وكيف استولى عليها
السلاف يمكن معرفته من الأحداث التالية :

وقبل أن أخوض فيها أود أن أوضح الموقع الجغرافي للإقليم . ففي
الأزمنة القديمة كانت دالماشيا تبدأ عند حدود ديراكيوم Dyrrachium
أو انتباري Antibari وتمتد إلى جبال إستريا Istria وحتى نهر
الدانوب . وكل هذه المنطقة كانت تخضع لحكم الرومان . وكانت من
أشهر وأهم الأقاليم الغربية . وأياً كان الأمر فقد استولى عليها السلاف
بالطريقة الآتية :

---

(١) انظر الموضوع رقم ٣٦ .

٣٠

بنى الإمبراطور دقلديانوس مدينة سبالاتو وأقام لنفسه قصراً بها ، كما بنى أيضاً مدينة سالونا التي أصبحت عاصمة لإقليم دالماشيا . وفيها أقام النبلاء وأعداد غفيرة من العامة . والمهم أنه في هذه المدينة كانت تتجمع كل عام قوة من الفرسان من مدن دالماشيا الأخرى ، ويتم إرسالهم من سالونا بالالآف لحراسة نهر الدانوب من هجمات الآفار الذين أقاموا في أقاصي النهر – حيث يقيم الأتراك الآن معتمدين في حياتهم على التنقل والترحال .

وشاهد رجال دالماشيا الذين كانوا يذهبون إلى هناك كل عام الحيوانات والرجال على الجانب الشمالي لنهر الدانوب ، وذات مرة قرروا عبور النهر للتعرف على تلك القبائل ، وبعدما عبروا وجدوا نساء الآفار وأطفالهم فقط ، لأن الرجال والشباب كانوا قد ذهبوا في أعمال حربية . وحمل رجال دالماشيا عليهم فجأة وساقوهم أسرى وعادوا فرحين وهم محملين بتلك الغنائم إلى سالونا . ولما عاد الآفار من الحرب وعلموا بما حدث أصابتهم الدهشة والذهول ولكنهم لم يعرفوا من أي جانب جاءتهم تلك الضربة .

وقرر الآفار الانتظار حتى يكتشفوا هوية المهاجمين . ووفقاً لما هو متبع أرسلت الحامية من سالونا [١] وهي حامية أخرى غير الحامية التي سبقت وأغارت على الآفار . ولما كان رجال الحامية الجدد قد قرروا أن يفعلوا مثلما فعل زملاؤهم من قبل ، فقد عبروا النهر للإغارة ولكنهم وجدوا الآفار في أتم الاستعداد للدفاع عن أنفسهم ، ودارت الدائرة على المهاجمين . وقتل بعضهم وأسر الباقي ولم ينجُ أحد منهم من قبضة الأعداء .

---

(١) وردت هذه المعلومات في الموضوع رقم ٢٩ وقد اضاف المؤلف اليها في هذا الموضع .

٣٠

واستنطق الآفار الأسرى وعلموا منهم أنهم من نفس الإقليم الذي قام بالضربة الأولى وعلموا منهم أيضاً كل ما يتعلق ببلادهم ، وارتدى الآفار ملابس رجال الحامية وركبوا خيولهم وأمسكوا بأعلامهم ووضعوا شاراتهم وساروا نحو سالونا في يوم السبت المقدس، وهو اليوم الذي يتم فيه تغيير الحاميات كما عرفوا من الأسرى . ووصلوا إلى المدينة في اليوم نفسه ، ولم يتقدم سوى ألف منهم وهم الذين كانوا يرتدون ملابس رجال الحامية الدالماشية ويركبون خيولهم . أما بقية الآفار فقد اختفوا عن الأنظار . ولما كان ذلك اليوم هو يوم عودة الحامية ، فلما رآهم الرومان وقد بدوا وكأنهم زملاؤهم ؛ فتحوا لهم البوابات واستقبلوهم بالترحاب والسرور .

وعندما دخلت المقدمة الآفارية إلى سالونا وسيطرت على البوابات أعطت الإشارة لبقية الجيش للهجوم على المدينة . وهكذا سيطروا على المدينة وقتلوا من بها وجعلوا أنفسهم سادة على دالماشيا . ولم تقاومهم سوى المدن الساحلية التي استمرت خاضعة للرومان ؛ وهي المدن التي تعتمد في معيشتها على البحر . ووجد الآفار أن هذه الأرض صالحة لمعيشتهم فأقاموا بها .

أما الكروات [١] فكانوا يقيمون في بافاريا Bavaria حيث كان يعيش الكروات البيض Belocroats في تلك الأوقات . ومن إحدى عائلاتهم ظهر خمسة أشقاء هم كلوكاس Kloukas ، ولوبيلوس Lobelos وكوزنتزيس Kosentzis وموكلو Mouchlo وكروباتوس Chrobatos وأختان هما توجا Touga وبوجا Bouga . وقد أتى هؤلاء مع قوم من الكروات إلى دالماشيا ووجدوا أن الآفار قد سيطروا

---

(١) يتناول المؤلف الحديث عن الكروات في الموضوع ٣١ ايضا .

عليها . وبعد حروب دارت بينهم وبين الكروات قتل بعض الآفـار وأجبر الباقون على الخضوع للكروات . ومنذ ذاك الحين أصبحت دالماشيا ملكاً للكروات .

وما زال يوجد مع الكرواتيين بعض الأهالي الذين ينحدرون من أصل آفاري ويعرفون باسم الآفار ، أما بقية الكروات فقد استقروا بالقرب من فرانشيا ويعرفون باسم الكروات البيض ولهم أمير خاص بهم ويتبعون أوتو [١] Otto الملك العظيم لفرانشيا أو سكسونيا Saxony ، وهم غير معمدين ويتزاوجون فيما بينهم ولهم علاقات ودية مع الأتراك[٢] .

وقد خرج فرع من الكرواتيين الذين جاؤوا إلى دالماشيا واستولوا على الليريا Illyricum وبانونيا ، ولهم أميرهم المستقل ، واستمروا في الاتصالات الودية مع أمير الكرواتيين عن طريق المبعوثين .

وظل الكروات [٣] في دالماشيا خاضعين للفرنجة كما كانوا في بلادهم وذلك لعدة سنوات . وكان الفرنجة يعاملونهم بقسوة ووحشية حتى إنهم كانوا يقتلون أطفالهم ويلقون بجثثهم للكلاب . ولما لم يعد الكرواتيون قادرين على تحمل هذه المعاملة من الفرنجة ثاروا عليهـم وقتلوا أمراء الفرنجة الذين كانوا يحكمونهم ، فأرسل الفرنجة جيشاً كبيراً من فرانشيا لتأديبهم ، واستمرت الحرب سبع سنوات انتهت بانتصار الكـروات وهلاك جيش الفرنجة الذي قاده كوتزيليس Kotzilis . ومنذ ذاك

(١) هو اوتو الاول ملك المانيا ٩٣٦ واصبح امبراطور ٩٦٢ ـ ٩٧٣ م .

(٢) يقصد بهم المؤلف الماجيار سكان مورافيا في عصر المؤلف .

(٣) يتناول المؤلف الحديث عن الكروات ايضا في الموضوع ٣١ .

الوقت ظلوا مستقلين ثم عمدهم أسقف روما في عهد أميرهم بورينوس Porinos . وانقسمت بلاد الصرب إلى إحدى عشرة مقاطعة وهي كليبيانا Chlebiana وتزنزينا Tzenzina وايموتا Imota وبليبا Pleba وبيزنتا Pesenta وبارثلاسيا Parathalassia ، وبريبرى Breberi ونونا Nona ، وتنينا Tnina وسيدراجا Sidraga ونينا Nina ، كما أعلنوا ملكيتهم لثلاث مقاطعات أخرى هي كريباسا Kribasa ، وليتزا Litza وجوتزيسكا Goutziska .

أما الآن فإن أرض كرواتيا وبقية الأقاليم السلافية ، هي مقاطعة ديوقليا وتجاور حصون ديراكيوم ، أي من نهر الزيوس Elissuo حتى هلكينيوم Helcynium وانتباري Antibari وتستمر حتى ديكاتيرا وتجاور الصرب في المنطقة الجبلية . ومقاطعة تيربونيا وتبدأ من ديكاتيرا وتمتد إلى ما بعد راجوزة . ومن راجوزة تبدأ ممتلكات الزكلومي وتمتد حتى نهر أورنتيوس Orontius ، ويجاورها على الجانب الآخر للنهر الباجاني ، وهي تجاور الكروات شمالاً وأمامها صربيا . وإقليم الباجاني يبدأ من نهر أورنتيوس ويمتد حتى نهر زنتينا Zentina ، وهو منقسم إلى ثلاثة أقسام ، هي رستوتزا Rhostotza وموكروس Mokros ودالن Dalen . وتشرف الأولى والثانية منها على البحر ولهما سفنهما ، أما الثالثة فتقع بعيدة عن البحر وتعتمد في حياتها على الزراعة . ويجاور الثلاثة أربع جزر هي ملطية وكوركورا Kourkoura وبراتزا Bratza وفاروس Pharos وهي جزر جميلة وخصبة حيث المزارع وتربية الماشية . ويبدأ إقليم كرواتيا من نهر زنتينا ويمتد على الساحل حتى مدينة البونوم Albunum ، وعند الجبل تمتد إلى الداخل ولاية إيستريا ، التي تجاور صربيا عند نهر زنتينا وكليبيانا ، لأن صربيا تقع أمام بقية البلاد وتجاور كرواتيا في الشمال والبلغار في الجنوب .

وبعد أن استقر السلاف واستولوا على الأراضي المحيطة بدالماشيا ، ظل الروماني بالجزر المواجهة واعتادوا على زراعتها والإستقرار بهـا . وعندما عانوا من هجمات الباجاني اليومية التي كانت تهلك زرعهم وتأسر بعض أهليهم هجروا تلك الجزر وقرروا زراعة الشاطىء، ولكن الكروات منعوهم من ذلك لأنهم كانوا لا يقدمون الجزية لهم ويقدمونها لحاكمهم العسكري الروماني ، وهي الجزية التي تدفع الآن للسلاف . وبعدما وجد الروماني أن حياتهم أصبحت مستحيلة جاؤوا إلى الإمبراطور العظيم بازيل وأخبروه بكل ما تقدم فطلب منهم أن يدفعوا للسلاف ما كانوا يدفعونه للحاكم العسكري، وأن ويعيشوا معهم في سلام، وأن يدفعوا مبلغاً رمزياً للحاكم العسكري إشارة على الخضوع والتبعية لأباطرة الرومان وحاكمهم العسكري [١] .

ومنذ ذلك الحين أصبحت الجزية تدفع للسلاف وهي محددة ، فقد دفعت مدينة سبالاتو مائتي نوميسماتا ، ودفعت ترانجورين مائة ، ومدينة ديادورا مائة وعشرة ، ومدينة أوبسارا مائة ، ومدينة أرب مائة ومدينة فيكلا مائة ، فيكون مجموع ما يدفعونه سبعمائة وعشرة [٢] ، هذا عدا الخمر والمواد العينية الأخرى المختلفة التي تقدم لهم علاوة على المبالغ النقدية [٣] . أما مدينة راجوزة حيث مزارع الكروم ، فهي تقع بـين الزاكلومي وتيربونا ، لذلك تدفع لكل منهما ستة وثلاثين نوميسماتا .

---

(١) تشير هذه العبارة الى ضعف النفوذ البيزنطي في اقليم دالماشيا فى عهد الامبراطور بازيل الاول ٨٧٦ ـ ٨٨٦ م ٠

(٢) توضح هذه الفقرة نوع العملة التي استخدمت في هذه المنطقة ٠

(٣) تفيد هذه العبارة ان بعض الضرائب كانت تقدم عينا فـي عهـد الامبراطور بازيل ٠

٣١ ـ الكروات والاقليم الذي يعيشون فيه

ينحدر الكروات الذين يستو طنون دالماشيا في هذه الأوقـــات من الكروات الوثنيين ، ويسمون أيضاً بالكروات البيض ، وهم الذيـــن يعيشون فيمـــا وراء الأتراك بالقرب من فرانشيا ، ويجاورهم الصرب الوثنيون . وكلمة الكروات Croats تعني في اللغة السلافية: الذين يحتلون الكثير من الأراضي. وهؤلاء الكروات هم الذين جاؤوا إلى الإمبراطور الروماني هرقل يطابون منه الحماية قبل أن يطلب الصرب الحماية مـــن الإمبراطور نفسه .

وحوالي ذلك الوقت شن الآفار الحرب على الروماني وطردوهم من كرواتيا وصربيا . وقد أتى الإمبراطور بهؤلاء الروماني من روما وجعلوهم يستقرون هناك ، ومن هنا جاءت تسميتهم بالروماني . وهم الذين طردهم الآفار في عهد الإمبراطور هرقل وأصبحت بلادهم مهجورة وخالية من السكان ، ولذلك أمر هرقل الكروات بمحاربة الآفار فهزموهـــم وطردوهم من تلك الأجزاء واستقروا مكانهم حسب تعليمات هرقل ولا ولازالوا بها حتى الآن .

وفي ذلك الوقت عندما كان أميرهم والد بورجاس Porgas أرسل هرقل يستدعي القساوسة من روما ، وعين منهم رئيساً للأساقفة وأساقفة وقساوسة وشمامسة للكنائس وبدأ تعميد الكروات ، وحوالي ذلك الحين أصبح بورجاس أميراً عليهم .

وكانت المنطقة التي استقر فيها الكروات خاضعة لنفوذ امبراطور الرومان ، ولهذا فإن قصر الإمبراطور دقلديانوس والساحات وملاعب الخيل لا زالت آثارها باقية في مدينة سالونا بالقرب من مدينة سبالاتو .

وهؤلاء الكروات المسيحيون أخذوا على أنفسهم عهداً بعدم شن الحرب على الأقطار الأخرى خارج حدودهم ، وتلقوا بذلك وصية وأمراً من البابا في روما وهو البابا الذي أرسل القساوسة لتعميدهم في عهد الإمبراطور هرقل [1] . وقدم الكروات ميثاقاً وعهداً وأقسموا باسم القديس بطرس الرسول ألا يحاربوا أي قطر أجنبي، ويعيشوا في سلام مع كل من لديه رغبة في ذلك ، وتلقوا بركة البابا على هذا العهد، وأوضح البابا للكروات أنه إذا شن بلد أجنبي الحرب ضدهم ، فإن الله سيحارب من أجلهم ويحميهم ، وأن بطرس حواري السيد المسيح سيمنحهم النصر على أعدائهم .

وبعد سنوات عديدة وفي عهد الأمير تربيمير Terpimer والد الأمير كراسيمر Krasimer جاء من فرانشيا – بين كرواتيا والبندقية – رجل في زي علماني يدعى مارتن Martin ، وكان ورعاً تقياً إلى درجة كبيرة . ونسب الكروات إليه أنه كان يصنع معجزات كثيرة . وهذا الرجل المبتور القدمان المريض الذي كان يحمله أربعة رجال حيث يشاء ، أكد على الكروات وجوب محافظتهم على وصية البابا المقدس طوال حياتهم وباركهم كما باركهم البابا من قبل . ولهذا السبب لم تهاجم سفن الكروات أحداً إلا إذا هوجمت أولاً . وهم يستخدمون سفنهم في التجارة ويبحرون من مدينة إلى أخرى على امتداد ساحل دالماشيا حتى البندقية .

ومنذ عهد الإمبراطور هرقل كان أمير الكروات يدين بالخضوع والتبعية لإمبراطور الرومان ولم يخضع إطلاقاً لأمير بلغاريا ولم يؤد له

---

(١) حكم هرقل من ٦١٠ – ٦٤١ م ويعاصره ستة باباوات في روما انظر : C. M. H. IV, Part I, p. 798 .

الجزية . وأول حرب بين الكروات والبلغار كانت في عهد الأمـــير البلغاري ميخائيل بوريس Michael Boris [١] الذي جاء لمحاربتهم . ولمـــا فشل في هزيمتهم عقد معهم معاهدة سلام وأرسل لهم الهدايـــا وأرسلوا هم بدورهم الهدايا إليه وقد قبلها ، واعتبر ذلك رمزاً تستمر بموجبه الصداقة بينهما .

وفي كرواتيا المسيحية توجد مدن نونا Nona وبلجراد Belgrade وبيليتزن Belitzin وسكوردونا Skordona وكليبنا Chlebena وستولبون Stolpon وتنين Tenin وكوري Kori وكلابوكـــا Klaboka .

وجملة جيش كرواتيا يتكون من ستين ألف فارس ومائة ألف من المشاة . ويتكون الأسطول من ثمانين شانيه [٢] Galleys وتسع الواحدة أربعين رجلاً ، ومائة سفينة أخرى ، تسع الواحدة عشرين رجلاً ، والصغيرة منها تتسع لعشر رجال . وهذه القوة الكبيرة كانت تملكهـــا كرواتيا حتى عهد الألير كراسيمر Krasimer . وحدث بعد وفاته وبعد أربع سنوات من حكم ابنه ميروسلاف Miroslave ، أن قامت الاضطرابات الداخلية والمنازعات والخصومات الكثيرة التي أدت إلى إضعاف قوتها حتى أنها أصبحت تملك من الشواني ثلاثين فقط .

أما كرواتيا الكبرى والتي تسمى أيضاً البيضاء فلازالت على وثنيتها

---

(١) هكذا وردت بالنص وتردد في المراجع الحديثة Boris I Michael (٨٥٢ ـ ٨٨٩ م) · انظر على سبيل المثال C. M. H. IV, Part I, p. 112 وتوضح هذه الفقرة العلاقات بين الكروات والبلغار من عهد هرقــل ٦١٠ ـ ٦٤١ م حتى عهد بوريس ·

(٢) عن الشواني انظر ابن مماتي : قوانين الدواوين ص ٣٤٠ ·

حتى ذلك الحين ، كما هو حال الصرب التي تجاورها . وقوة الكروات البيضاء أقل من قوة الكروات المسيحيين . ذلك لأن الأخيرة أكثر عرضة لهجمات السلب والنهب والتدمير التي يشنها عليهم الأتراك والبجاناكيه والفرنجة ، كما لا يوجد لدى أهل كرواتيا الكبرى شواني أو سفـن صغيرة أو سفن تجارية لأنهم بعيدون عن البحر بمسافة كبيرة تحتـاج لرحلة ثلاثين يوماً للوصول إليه ، والبحر الذي يصلون إليه بعد كل هذه الرحلة الطويلة يسمى بحر الظلام .

٣٢ ـ الصرب وبلادهم التي يعيشون فيها

ينحدر الصرب من الصرب الوثنيين ، وكـان هؤلاء الوثنيون يسمون أيضاً « الصرب البيض » يسكنون فيما وراء الأتراك في مكان يسمونه بوييكي Boiki ، حيث تجاورهم فرانشيا وكرواتيا الكبرى الوثنية التي تسمى البيضاء أيضاً . وفي بداية عهدهم أقام الصرب في هذا المكان إلى أن مات حاكمهم وخلفه ولداه في الحكم ، فانقسمت الصرب بينهما إلى قسمين . وأخذ أحدهم نصف الشعب ووضع نفسه تحت حماية الإمبراطور هرقل الذي وافق على ذلك وأعطى الصرب إقليماً في منطقة سالونيكا Thessalonica ليستقروا بها ، وعرفت المنطقة باسم صربيا واحتفظت باسمها منذ ذلك الحين . وكلمة صرب في لغة الرومان معناها العبيد . بينما الكلمة الدارجة Serbula تعني الذين يلبسون الأحذية الحقيرة وكلمة تزربوليانوي Tzerbouilanoi تطلق على الذين يلبسـون النعل الرخيص . وقد اكتسب الصرب هذه التسمية لأنهم كانوا عبيداً لامبراطور الرومان . وبمرور الوقت رأى الصرب الرحيل إلى بلادهم فسمح لهم الإمبراطور بذلك . ولكنهم غيروا رأيهم بعدما عـبروا

الدانوب فأرسل أميرهم إلى الإمبراطور هرقل عن طريـق الحاكـم العسكري في بلجراد يطلب منه أن يمنحهم أرضاً أخرى ليستقروا فيها . ولمـا كانت بلاد الصرب والباجاني والزاكلومي وتربونيا والكاناليت الحالية خاضعة لنفوذ الإمبراطور الروماني وقد أصبحت خالية بعدمـا هجرها سكانها الروماني إلى دالماشيا وديراكيوم حيث يعيشون الآن بعد ما طردهم السلاف ، فقد سمـح الإمبراطور الروماني لهؤلاء الصرب بالاستقرار في تلك الأقاليم . وقد استقدم لهم الإمبراطور القساوسة من روما فعمدوهم وشرحوا لهم العقيدة المسيحية .

ولما مات أمير الصرب هذا حكم إبنه من بعده ثم حفيده وبهـذه الطريقة ظل أمراء العائلة يحكمون واحداً تلو الآخر . وبعد عدة سنوات حكم الأمير بويسسلاف Boiseslave ثم رودوسلاف Rodoslav ثم بروسيجويس Brosigois ثم بلاستيمير Blastimer[1] . وحتى عهد الأخير عاش الصرب في سلام مع جيرانهم البلغار ، فقد كانت لهم حدود مشتركة وارتبطوا معاً بروابط الصداقة . وكانا يدينان بالولاء والخضوع والتبعية لأباطرة الرومان الذين أحسنوا معاملتهما .

وحدث في عهد بلاستيمير نفسه أن شن الأمير البلغاري برسيام[2] Presiam الحرب ضد الصرب وصمم على إخضاعهم . وبالرغم من أنه استمر في محاربتهم ثلاث سنوات إلا أنه لم يحقق أي نجاح ، بل فقد عدداً كبيراً من رجاله . وبعد وفاة الأمير الصربي بلاستيمير خلفه في العرش أبناؤه الثلاثة مونتيمير Montimer[3] وستروبمير Stroimer

(١) هو جون فلاستمير John Vlastimir ، وقد حكم الصرب في منتصف القرن التاسع الميلادي .

(٢) ٨٣٦ – ٨٥٢ م .

(٣) مات في عام ٨٩١ م .

وجوينيكوس Goinikos وقسموا الملك بينهما . وفي عهد هؤلاء أتى الأمير البلغاري ميخائيل بورس لمحاربتهم والثأر لهزيمة والده برسيام ، ولكن الصرب هزموه هزيمة ساحقة وأخذوا ابنه فلاديمير [١] Vladimer أسيراً . وقد دفعه الأمل في إطلاق سراحه إلى إقرار السلام مع الصرب ولكن ميخائيل خشي أن ينصب له الصرب الكمائن عند عودته ، فطالب أن يرافقه ولدان من أبناء مونتيمير لحمايته ، ورافقه بوريناس Borenas وستيفن حتى أوصلاه إلى الحدود عند مدينة راسي Rasi ، واعترافاً من ميخائيل بوريس بالجميل أرسل للصرب هدايا قيمة ، كما أرسل له الصرب في مقابل ذلك هدايا ، رمزاً للصداقة بينهما ، وهي عبارة عن عبدين وصقرين وكلبين وثماني عشرة قطعة من الفراء ، ولكن البلغار اعتبروا هذه الهدايا بمثابة الجزية .

وحدث بعد فترة قصيرة أن ثارت الخصومات بين الأخوة الثلاثة أمراء صربيا ، وانتهت بأن أصبح للأمير مونتيمير اليد العليا . وأراد أن يصبح الحاكم الأوحد على صربيا وينفرد بالحكم ، فقبض على أخويه الآخرين ستروييمر وجوينيكوس وسلمهما لأمير بلغاريا . واحتفظ بابن أخيه جوينيكوس ويدعى بطرس ثم ما لبث أن هرب بطرس هذا إلى كرواتيا وسوف نتحدث عنه بعد قليل .

وكان لستروييمر ابن يدعى كلونيمير Klonimer تزوج من امرأة بلغارية كطلب بوريس وأنجب منها ابناً هو تزيسلاف Tzeoslav . كما كان لمونتيمير الذي طرد أخويه ثلاثة أولاد هم بوريناس . وستيفن . وبريبسلاف [٢] Pribeslav وقد خلفه الأخير بعد وفاته . وبعد مرور عام أتى بطرس[٣] بن جوينيكوس من كرواتيا التي فر إليها من قبل

---

(١) خلف والده في حكم بلغاريا ٨٨٩ ـ ٨٩٣ م .
(٢) حكم الصرب من ٨٩١ ـ ٨٩٢ م .
(٣) حكم الصرب من ٨٩٢ ـ ٩١٧ م .

وعزل ابن عمه بريبسلاف من العرش واستولى عليه ، وفر الأخــوة الثلاثة أبناء مونتيمير إلى كرواتيا .

وبعد ثلاث سنوات جاء بورينّاس لمحاربة بطرس ، ولكن بطرس هزمه وقبض عليه وسمل عينيه . وبعد مرور سنتين هرب كلونيمير والد تزيسلاف من بلغاريا ودخل بجيشه إلى إحدى مدن الصرب وهــي مدينة دوستينكا Dostinika وهو مصمم على الاستيلاء على الحكم ، ولكن بطرس هاجمه وقتله ، وحكم بعد ذلك عشرين سنة أخــرى . وكان حكمه خلال فترة حكم ليو[1] الإمبراطور المقدس طيب الله ثراه . وكان بطرس يدين للإمبراطور ليو بالولاء والتبعية . وقد عاش بطرس في سلام مع سيمون أمير بلغاريا [2] وجعله عراباً لابنه الطفل .

وبعد موت الإمبراطور ليو وصل الحاكم العسكري في ديراكيوم ليو رابدوكوس Leo Rhabduchus الذي حصل على مرتبة ماجستر — ثم أصبح وزيراً للخارجية فيما بعد — وصل إلى باجانيا ، وكانت خاضعة لحكم بطرس أمير الصرب لكي يتفاوض ويتشاور مع بطــرس حول بعض الأمور الهامة . وثارت غيرة ميخائيل أمير زاكلومي [3] لهــذا السبب ، فأرسل معلومات إلى سيمون أمير بلغاريا تفيد أن

---

(١) هو الامبراطور ليو السادس

(٢) هو سيمون البلغاري ٨٩٣ — ٩٢٧ .

(٣) حكم من ٩١٣ — ٩٢٦ م . انظر :

Runciman, The Emperor Romanus Lecapenus, p. 212 .

إمبراطور الرومان [1] أرسل الحاكم العسكري إلى بطرس لرشوته حتى يخرج مع الأتراك لمحاربة البلغاز . وفي ذلك الوقت حصلت معركة اخيلو [2] Achelo بين الرومان والبلغار . كما أن الأمير سيمون الذي أعماه الغضب أرسل جيشاً لمحاربة بطرس أمير صربيا بقيادة سيجريتيس تيودور Sigritzis Theodor ومارمياس Marmais وأخذا معهما الأمير الشاب بولس بن بورنياس الذي سمل بطرس عينيه من قبـل . واستخدم البلغار الحيلة للإيقاع بأمير الصرب بطرس ، فأقسموا له أنهم لن يصيبوه بأذى وأنهم مرتبطون معه بروابط الصداقة ، وأن أميرهم سيمون البلغاري عراب لابنه . وعندما اطمأن بطرس وخرج إليهم قبضوا عليه وقيدوه وأخذوه معهم إلى بلغاريا حيث مات في السجن . وبذلك خلف بولس [3] بن بورنياس بطرس في حكم الصرب وحكم ثلاث سنوات . وقام الإمبراطور الروماني رومانوس بدوره وأرسل الأمير زكريا بن بريبسلاف — الذي كان مقيماً بالقسطنطينية — إلى صربيا ليكون أميرها ، وحارب زكريا بولس ولكن الأخير هزمه وأسره وسلمه للبلغار الذين ألقوا به في السجن .

وبعد مضي ثلاث سنوات أظهر بولس العداء للبلغار فأرسلوا زكريا [4] إلى الصرب حيث طرد بولس واستولى على الحكم وأصبح أمير الصرب .

---

(١) قسطنطين السابع تحت الوصاية ، لانه الامبراطور المعاصر لاحداث معركة اخيلوس ·

(٢) وقعت احداث هذه المعركة في ٢٠ اغسطس ٩١٧ م · عن المزيد من التفاصيل انظر ما سبق ص ٢١ ·

(٣) ٩١٧ ـ ٩٢٠ م ·

(٤) ٩٢٠ ـ ٩٢٤ م تقريبا ·

لم يرغب زكريا في أن يكون تابعاً للبلغار بعدما عرف مزايا الخضوع والتبعية لإمبراطورية الرومان ، وفضل أن يكون تابعاً للأخير ، وعندما أرسل سيمون جيشه بقيادة مارمياس وسيجرينيس تيودور لمحاربة زكريا أرسل الأخير رؤسهم وأسلحتهم إلى إمبراطور الرومان كرمز لانتصاره عليهم ، في الوقت الذي كانت الحرب لا زالت دائرة بين البلغار والرومان . كما أن زكريا لم ينقطع عن إرسال المبعوثين إلى أباطرة الرومان — كما كان يفعل أمراء الصرب السابقين — ليطلب من الإمبراطور أن يكون خاضعاً له .

ومرة أخرى أرسل سيمون جيشاً لمحاربة زكريا وتولى قيادة الجيش ثلاثة قواد بلغاريون هم كنينوس Kninos وهيمنيكوس Himnikos وايتزبوكلياس Itzboklias ، وأرسل معهم أيضاً الأمير الصربي تزيسلاف ، وفر زكريا إلى كرواتيا . وأرسل البلغار رسالة إلى الزوبانيين [١] Zupans يطلبون منهم الحضور إليهم وقبول تزيسلاف أميراً على الصرب . وبعدما خدعوا الأمراء بالوعود والعهود خرجوا إليهم وساروا معهم حتى أول قرية حيث تم القبض عليهم وأخذوا منهم العديد من الأسرى إلى بلغاريا ، وفر الباقون إلى كرواتيا وتركت البلاد مهجورة وخالية من السكان . وحوالي ذلك الوقت غزا البلغار كرواتيا بقيادة الوجوبوتور Alogobotour وقاتلوا أهلها .

وبعد سبع سنوات هرب تزيسلاف [٢] من بلغاريا ومعه أربعة

---

(١) Zupans لقب صربي وتعني امير ، انظر
C. M. H. IV Part I, p. 538 .
وقد استعمله المؤلف مرة اخرى عندما تحدث عن التربونيين لانهم ينحدرون من اصل صربي · انظر رقم (٣٤) · ويرى آخرون انه يعني رئيس قبيلة انظر : Runciman, A First Bulgarian Empire, p. 285 .

(٢) حكم الصرب من عام ٩٢٧ الى ما بعد عام ٩٥٠ م ·

آخرون ودخل صربيا من مدينة بريسلاف ولكنه لم يجد في المدينة سوى خمسين رجلاً فقط بدون زوجات أو أولاد . وكان هؤلاء الرجال يعيشون على الصيد ، فاستولى على المدينة وأرسل إلى إمبراطور الرومان يطلب مساعدته وتأييده ، ويسأله أن يرسل له بعض القوات العسكرية واعداً إياه أن يكون خادمه المطيع والمنفذ لأوامره ، كما فعل أمراء الصرب السابقين . وساعده أمبراطور الرومان فاطمأن الصربيون الذين تركوا بلادهم من قبل وأقاموا في كرواتيا وبلغاريا ، وعادوا إلى بلادهم والتأم شملهم من جديد بعد أن شتت سيمون شملهم . أما الذين هربوا من بلغاريا أو من صربيا وعاشوا في القسطنطينية فقد استدعاهم الإمبراطور وأمنهم على حياتهم وأرسلهم إلى الأمير تزيسلاف . وقد استغل هذا الأمير الهدايا الثمينة التي أرسلها له الإمبراطور ، في إعادة تنظيم صربيا فصارت عامرة بالسكان من جديد ، ودانت بالولاء والتبعية لإمبراطور الرومان كما كانت من قبل .

وكان أمير صربيا منذ بداية عهد هرقل تابعاً لإمبراطور الرومان ، ولم يكن خاضعاً إطلاقاً لأمير بلغاريا . وفي صربيا المسيحية توجد مدن عامرة آهلة بالسكان وهي دستنيكون Destinikon وتزرنابوسكي Tzernabouskei ومجيرتوس Megyretous ودرسنيك Dresneik ولسنيك Lesnik وسالينس Salines وفي إقليم البوسنة Bosona توجد مدينة كاتيرا Katera ومدينة دسنيك Desnik .

٣٣ ـ الزاكلومي والاقليم الذي يعيشون فيه

امتلك الرومان من قبل بلاد الزاكلومي، وأعني بالروماني أولئك الذين نقلهم الإمبراطور دقلديانوس من روما ؛ كما ورد من قبل في قصة الكروات [١] .

---

(١) انظر الموضوع رقم ٣١ .

٣٣ ــ ٣٤

وظلت أراضي الزاكلومي تابعة لامبراطور الرومان حتى استولى عليها الآفار ، واستعبدوا أهلها وتركت البلاد مهجورة خالية من السكان والزاكلوميون الذين يعيشون في هذه الأراضي ينحدرون من الصرب وجاؤوا إليها منذ أن طلب أميرهم حماية الإمبراطور هرقل . وقد أطلق عليهم اسم الزاكلومي نسبة إلى جبل يسمى كلومس Chlumos والحقيقة أن كلمة زاكلومي Zachlumi تعني في اللغة السلافية « ما وراء الجبل » ، لأنه يوجد في هذه المنطقة جبل عظيم يوجد على قمته مدينتان هما بونا Bona وكلوم Chlum . ووراء هذا الجبل يجري نهر يعرف باسم نهر بونا ومعناها الطيب .

وعائلة الأمير ميخائيل بن بوسيوتزيس Bousboutzis ، أمير زاكلومي ، تنحدر أصلاً من الوثنيين الذين يعيشون على نهر فيسلا Visla ، ويطلق عليهم اسم لتزيكي Litziki . وقد استقرت هذه العائلة عند نهر زاكلوما .

وفي منطقة الزاكلومي توجد مدن عامرة هي ستاجنون Stagnon وموكريسكيك Mokriskik وإيوسلي Iosli ، وجالومنانيك Caloumanike ودوبرسكيك Dobriskik .

٣٤ ــ التربونيون والكانالبت والبلاد التي يعيشون فيها

بلاد التربونيين والكاناليت واحدة . وأهلها ينحدورن من الصرب الوثنيين منذ عهد أميرهم الذي جاء من صربيا الوثنية ، وطلب الحماية من الإمبراطور هرقل ، وظل الحال على ما هو عليه حتى عهد بلاستيمير أمير الصرب . وقد زوج بلاستيمير هذا إبنته إلى كراييناس

Krainas ابن بليس Belaes زوبان تيربونا . وأراد بلاستيمير أن يرفع من قدر زوج ابنته فمنحه لقب أمير وإمارة استقل بها . وأنجب كرايناس فاليمر Phalimer ، كما أنجب فاليمر تزوزيمير Tzouzimer ؛ وكان أمراء تيربونا دائما تحت إشراف ووصاية أمير صربيا . وتيربونا تعني في اللغة السلافية « المكان الحصين » لأنها تمتلك الكثير من التحصينات ووسائل الدفاع القوية .

وكان يتبع تيربونا قطر آخر يسمى كانالي Kanali ، وهو اسم يعني في السلافية « العربة المشحونة » لأنهم ينقلون كل إنتاجهم بالعربات

وفي منطقة تيربونا وكانالي توجد مدن عامرة هي تيربونا وأورموس Ormos وريسنا Rhisena ولوكابتاي Loukabetai وزتليبي Zetlibi .

٣٥ ـ الديوقليتيان والاقليم الذي يعيشون فيه

كان إقليم ديوقليا من الأراضي التي امتلكها الرومان أيضاً من قبل . وسكانهم هم الذين نقلهم الإمبراطور دقلديانوس من روما كما ذكرت في قصة الكروات [١] .

وظلت هذه الأراضي خاضعة لامبراطور الرومان حتى غزاها الآفار وأخذوا أهلها عبيداً وتركوها مهجورة وخالية من السكان . وقد أعيد تعميرها في عهد الإمبراطور هرقل فأصبحت آهلة بالسكان ، كما حدث في كرواتيا وصربيا وبلاد الزكلومي وتيربونا وكانالي . وقد اكتسبت ديوقليا هذا الإسم من المدينة التي أسسها الإمبراطور

(١) انظر الموضوع رقم ٣١ .

دقلديانوس في تلك البلاد ، وهذه المدينة مهجورة الآن رغم أنها لازالت تحمل اسمها القديم .

وفي إقليم ديوقليا توجد مدن عامرة هي جرادتيا Gradetai ونوجراد Nougrade ولونتودوكلا Lontodokla .

٣٦ ـ الباجاني ويسمون الارنتاني والبلاد التي يعيشون فيها الآن

كانت البلاد التي يعيش فيها الباجاني الآن من ممتلكات الروماني الذين نقلهم الإمبراطور دقلديانوس من روما واستقروا في دالماشيا . وهؤلاء الباجاني انحدروا من الصرب الوثنيين منذ عهد أميرهم الذي طلب الحماية من الإمبراطور هرقل . واستعبد الآفار أهل هذه البلاد ثم تركوها مهجورة حتى أعيد تعميرها وأصبحت آهلة بالسكان في عهد الإمبراطور هرقل . وقد سمي الباجاني بهذا الإسم لأنهم ظلوا على وثنيتهم في الوقت الذي تم فيه تعميد الصرب . وأن كلمة Pagani تعني في اللغة السلافية « الوثنيين » وفي لغة الرومان تسمى Arenta ، ولذلك يعرفون أيضاً باسم الأرنتاني عند الرومان .

وفي باجانيا توجد مدن عامرة هي موكرون Mokron وبروليا Beroullia وأستروك Ostrok وسلافينتزا Slavinetza . وهم يمتلكون أيضاً جزيرة كبيرة تسمى كوركرا Kourkra ، وتسمى أيضاً كيكر Kiker وبها مدينتها ، ويملكون أيضاً جزيرة كبيرة أخرى هي ملطية أو مالوزيتيا Malozeatai وهي الجزيرة التي أشار إليها القديس لوقا في أعمال الرسل باسم ملطية ، وفيها لدغت أفعى

سامة القديس بولس في إصبعه فأحرقها بالنار [١] . كما يملكون جزيرة كبيرة أخرى هي فارا Phara وجزيرة براتزيس Bratzis وهي كبيرة أيضاً . وهناك جزر أخرى ليست تابعة للباجاني وهي جزيـــرة كوارا Choara وجزيرة إيس Ies وجزيرة لاستوبون Lastobon .

٣٧ ـ امة البجناكية

كان البجناكية يقيمون عـــلى نهر اتيل[٢] Atil ونهر جيـــش Geich [٣] ، ولهم حدود مشتركة مع الخزر والغز .

وحدث منذ خمسين عاماً أن اتفق الغـــز والخزر وحاربـــوا البجناكية وانتصروا عليهم وطردوهم من بلادهم التي يسيطر عليها الغز حتى يومنا هذا . وقد فرَّ البجناكية وظلوا يتجولون باحثين عن مكان يستقرون فيه ، ثم وصلوا إلى المكان الذي يعيشون عليه الآن وكان الأتراك يقيمون فيه ، وحارب البجناكية الأتراك وانتصروا عليهـــم وطردوهم واستقروا مكانهم وأصبحوا سادة تلك المنطقة منذ خمس وخمسين سنة كما يقال في أيامنا هذه [٤] .

---

(١) انظر اعمال الرسل ، الاصحاح الثامن والعشرون .

(٢) اتيل كانت عاصمة الخزر وتقع على الفرع الغربي لدلتا نهـــر الفولجا . انظر :
Runciman, The Emperor Romanus Lecapenus, p. 114 .
ويبدو ان اسم المدينة اطلق على فرع الدلتا ثم اطلق على كل النهر .

(٣) يتضح من سياق النص ان نهر جيش هو نهر الدن لانه النهر الذي عاش بالقرب منه الغز في عصر المؤلف .

(٤) وقعت هذه الاحداث حوالي عام ٩٠٠ م ، عن ذلك ولمزيد مـــن التفاصيل راجع :
Runciman, The Emporor Romanus Lecapenus, p. 104 .

وتنقسم البجناكية كلها إلى ثمانية أقاليم أو عشائر لكل منها أمير يحكمها . والإقليم الأول هو ايرتيم Irtim ، والثاني تزور Tzour ، والثالث جيلا Gyla ، والرابع كولبي Koulpei ، والخامس كارابوي Charaboi ، والسادس تالمات Talmai ، والسابع كوبون Chopon ، والثامن تزوبون Tzopon . وفي الوقت الذي خرج فيه البجناكية من أراضيهم كان يحكم إقليم ايرتيم الأمير بياتزاس Baitzas ، وفي تزور الأمير كويل Kouel ، وفي جيلا الأمير كوركوتيا Kourkoutai ، وفي كولبي الأمير إيبوس Ipaos ، وفي كارابوي الأمير كايدوم Kaidoum ، وفي تالمات الأمير كوستاس Kostas ، وفي كوبون الأمير جايزيس Giazis ، وفي تزوبون الأمير باتاس Batas .

وبعد وفاتهم خلفهم أبناء عمومتهم في حكم الأقاليم ، وذلك لأن قوانينهم وتقاليدهم القديمة لا تعطيهم الحق في توريث ألقابهم ومناصبهم لأبنائهم أو إخوتهم ، لذلك فإنهم يحتفظون بالحكم طوال حياتهم ، وبعدها يكون الحكم لأبناء عمومتهم أو أبناء أبناء عمومتهم . ولذلك لا يظل الحكم قاصراً على فرع واحد فقط في العائلة . وبمقتضى هذا التقليد لا يتدخل أحد من عائلة غريبة ليصبح أميراً [١] . وتنقسم الأقاليم الثمانية بدورها إلى أربعين قسماً يحكم كل قسم منها حاكم بدرجة أقل من مرتبة الأمير .

فاذا اضيف اليها خمسون عاما يكون المؤلف اعد هذا الجزء من الكتاب حوالي عام ٩٥٠ م . اما اذا اضيف خمسة وخمسون يكون هذا الجزء من الكتاب اعد حوالي عام ٩٥٥ م .

(١) يوضح لنا هذا الجزء طريقة نظام الحكم عند البجناكية .

وبعد هجرة البجناكية استقرت أربع عشائر منهم في أربع مقاطعات هي كوارتزيزور Kouartzizour ، وسيروكالبي Syroukalpei وبوروتالمات Borotalmat ، وبولاتزبون Boulatzopon وهذه المقاطعات الأربــع تقع عبر نهر الدنيبر ناحية الأجزاء الشرقية والشمالية التي تواجه الغز والخزر والآنيا وخرسون وغيرها من المناطق الأخرى . كما استقروا في أربع مقاطعات أخرى على الجانب الآخر من نفس النهر في اتجاه الأجزاء الغربية والشمالية . والمقاطعات الأربع هي جيازيكوبون Giazichopon وتجاور بلغاريا ، وكالوجيلا Kalo Gyla وتجاور الأتراك ، وكارابوي [١] Charaboi وتجاور روسيا ، وإيابديرتيم Iabdiertim وتجاور الأراضي التابعة لروسيا، أي أنهاتجاو رالدرفلينيين Dervlenines واللنزنيين Lenzenines وبقية السلاف . وتبعد أراضي البجناكية برحلة خمسة أيام عن الغز والخزر ، وستة أيام عن آلانيا ، وعشرة أيام عن موورديا Mordia ورحلة يوم واحد عن روسيا ، وعن الأتراك أربعة أيام ، ونصف يوم عن بلغاريا . كما أن البجناكية قريبون جداً من إقليم خورسون وأقرب ما تكون إلى مدينة بسبور .

وفي الوقت الذي طرد فيه البجنا كية من بلادهم فضّل بعضهم البقاء وعاشوا مع الغز حتّى يومنا هذا . وهؤلاء يرتدون ملابس مميزة تدل على أصلهم . فثيابهم قصيرة تصل إلى الركبة وأكمامهم مقطوعة عند الكتف للدلالة على أنهم مقطوعون عن قومهم وبني جنسهم [٢] .

---

(١) اشار المؤلف الى هذه الطائفة في الموضوع رقم ٣٩ باسم كاباروي Kabaroi وانهم يرجعون الى اصل خزري ، للمزيد عن هذه الطائفة تابعما يلي الموضوع ٣٩ ·

(٢) تشير هذه المعلومة الى نوع من النظام الاجتماعي عند الغز في هذه المرحلة ·

وعلى جانب نهر الدنيستر المواجه لبلغاريا توجد مدن مهجورة، أولها المدينة التي يسميها البجناكية أسبورن Asporn ، والثانية هي تونجاتي Toungati لأن أحجارها تبدو ناصعة البياض . والثالثة كاركناكاتي Karknakatai ، والرابعة سماكاتي Salmakatai والخامسة ساكاكاتي Sakakatai ، والسادسة جيوكاتاي Giaioukatai وبين تلك المدن توجد آثار ظاهرة للكنائس وصلبان منحوتة من أحجار جيرية ، بينما تدل بعض الآثار الأخرى على أن الرومان استقروا هناك في وقت ما .

ويطلق على البجناكية أيضاً اسم كانجار Kangar ولكن هذه التسمية لا تطلق عليهم جميعاً بل تطلق على عشيرة ايابديرتيم وكوارتزيزو وكالوجيلا ، لأنهم أكثر شجاعة ونبلاً من الآخرين، وهذا ما يدل عليه اسم كانجار .

٣٨ ـ اصل امة الاتراك ، وموطنهم الاصلي

عاش الأتراك قديماً فيما يلي إقليم الخزر في مكان يسمى ليبيديا Lebedia نسبة إلى أول زعيم لهم وهوليبيدياس (١) Lebedias . ونظراً لمرتبته الرفيعة ومنصبه السامي كان لقبه فوافود Voivode (٢) وحمل هذا اللقب من جاء بعده . وفي ليبديا يجري الآن نهر يسمى كيدماس Chidmas ويسمى أيضاً كنجولوس Chingilous . ولم يلقبوا في تلك الآونة بالأتراك، وكانوا لسبب أو لآخر يعرفون باسم .

(١) يمكن القول انه عاش في القرن التاسع وكانت وفاته قبل تزوج الماجيار الى مورافيا كما اوضح المؤلف في الموضوع نفسه .

(٢) هذا اللقب يعني أمير او زعيم وقد اوضحه المؤلف في الموضوع نفسه .

سابارتوي أسفالوي Sabartoi Asphaloi ولم يكن لهم أمير سواء أكان وطنياً أو أجنبياً ولكنهم يختارون من بينهم زعيماً كان أولهم ليبدياس .

وعاش الليبيديون مع الخزر لمدة ثلاث سنوات وحاربوا معــاً متحالفين في كل حروبهم ، وبسبب تحالفهم وشجاعتهم زوج خان الخزر نبيلة خزرية لزعيمهم ليبيدياس لنبل أصله وجرأته وشدة بأسه ، حتى تنجب أطفالاً من نسله ، ولكن هذه الفكرة فشلت لأن ليبدياس لم ينجب أطفالاً من السيدة الخزرية .

وعندما أعلن البجناكية الحرب على الخزر هزم البجناكية وأجبروا على ترك أراضيهم واستقروا في أرض الأتراك[1] ، ثم دارت الحرب بين الأتراك والبجناكية الذين يعرفون باسم كانجار فهزم الأتراك وانقسموا إلى قسمين ، ذهب قسم منهما إلى جهة الشرق واستقروا في منطقة فارس[2] وحتى يومنا هذا يطلق عليهم الاسم القديم سبارتوى اسفالوي . أما القسم الآخر ومعهم زعيمهم ليبيدياس فقد استقروا في المنطقة الغربية في مواضع يطلق عليها اسم أتلكوزون Atelkouzon حيث يقطن البجناكية الآن .

وبعد فترة قصيرة أرسل خان الخزر رسالة إلى الأتراك يطلب منهم أن يرسلوا ليبيدياس إليه ، فحضر ، وطلب منه خان الخزر أن يصبح أميراً على شعبه لأنه رجل حكيم والرجل الأول في قومه وعليه أن يطيع أوامر خان الخزر وينفذ تعليماته . ولكن ليبيدياس رد

(١) المقصود هنا على ضفاف نهر الدنيبر ، وهي الارض التي سكنهــا الاتراك (الماجيار) قبل رحليهم الى اقليم مورافيا حوالي عام ٩٠٠ م ٠

(٢) هي المنطقة الواقعة بين بحر قزوين والبحر الاسود ٠ انظر :
Macartney, op. cit., the map .

على الخان بأنه يقدر تقديراً عظيماً الهدف الذي استدعي من أجله ، وقدم له الشكر الجزيل ، وأخبره أنه ليس قوياً بالقدر الذي يقتضيه الحكم ، كما أنه لا يستطيع تنفيذ رغباته ، وأضاف أنه يرشح شخصاً آخر يدعى الموتزيس Almoutzis أو ابنه أرباد[١] Arpad . وعلى خان الخزر أن يختار أيهما ليكون أميراً وينفذ أوامره . وقد سر الخان من مقابلة ليبدياس وأرسل معه بعض رجاله ليناقشوا الأتراك في الأمر . وفضل الأتراك أن يكون أرباد أميراً عليهم وليس الموتزيس ، فقد كان الابن متفوقاً على الأب في الحكمة والشجاعة وشدة البأس وجديراً بالحكم . وهكذا نصب أرباد أميراً طبقاً للتقاليد المتبعة لدى الخزر[٢] وهذا التقليد يعرف باسم الزاكانا وفيه يتم رفع المرشح على ترس . ولم يكن للأتراك أمير قبل أرباد هذا . وحتى الآن فإن أمير الأتراك يختار دائماً من عائلة أرباد .

وبعد مرور سنوات هاجم البجناكية الأتراك وأخرجوهم مع أميرهم أرباد . وبحث الأتراك عن أرض يستقرون فيها فقاموا بدورهم بطرد سكان مورافيا العظمى Great Moravia واستقروا بأرضهم حتى يومنا هذا ، ومنذ تلك الآونة لم يقم البجناكية بأي هجوم على الأتراك[٣] .

---

(١) يرى البعض انه عاش في الفترة من ٨٤٠ ــ ٩٠٧ م تقريبا انظر Macartney, op. cit., p. 110 .

ويرى الباحث أن وفاته ربما كانت قبل عام ٨٩٧م لانه في هذا العام كان يتولى امر الاتراك ابن ارباد وهو ليونتيكاس Lountikas انظر الموضوع رقم (٤٠) .

(٢) توضح هذه العبارة ان هؤلاء الاتراك (الماجيار فيما بعد) كانوا تابعين للخزر في هذه المرحلة .

(٣) تابع هذه الاحداث في الموضوع رقم ٤٠ ، وفيه مزيد من التفاصيل عن تحالف البلغار والبجناكية لمحاربة الاتراك .

٣٨ ـ ٣٩
أما عن الأتراك الذين سبقت الإشارة إليهم والذين استقروا في الشرق في أقصى بلاد فارس ، فإن الأتراك الذين يقيمون في الغرب ما زالوا يرسلون التجار لتفقد أحوالهم ويعودون من عندهم بالرسائل الرسمية .

ومنطقة البجناكية التي كان الأتراك يسكنونها تسمى باسم الأنهار المحلية وهي نهر باروخ Barouch ونهر كوبو Koubou ونهر ترولوس Troullos ونهر بروتوس Broutos ونهـــر سيريتوس Seretos .

٣٩ ـ امة الكاباروي

هؤلاء الكاباروي من جنس الخزر ، والمعروف أنهم انشقوا على حكومتهم ، وبعد الحرب الأهلية التي نشبت بينهم أعدم بعضهم وهرب البعض الآخر ، فهاجروا واستقروا مع الأتراك في أرض البجناكية الحالية . وصاروا أصدقاء وعرفوا بهذا الاسم . وقد علموا الأتراك لغة الخزر وهم يتكلمون بها حتى الآن ، كما أنهم يستخدمون لغة الأتراك أيضاً . ولما كانوا يظهرون في الحروب أقوى بأساً وأكثر جرأة من الطوائف الثمانية[1] ، فقد ارتقوا ليصبحوا على رأس كل الطوائف . وتنقسم هذه الطائفة إلى ثلاث عشائر ، لهم أمير واحد ، ما زال حتى أيامنا هذه .

---

(١) المقصود هنا الطوائف الثمانية التي تتكون منها عناصر البجناكية، راجع الموضوع ٣٧ .

٤٠ ـ الكاباروي والاتراك

وأول طوائف الكاباروي التي انشقت عن الخزر هي الطائفة التي أشرت إليها من قبل. والثانية نكيز Nekis والثالثة مجريز Megeris [١] والرابعة كورتوجرماتوس Kourtougermatos والخامسة تاريانوس Tarianos ، والسادسة جيناك Genach ، والسابعة كارى Kari والثامنة كازى Kasi . وقد اجتمعوا جميعاً وامتزجوا مع بعضهم وعاشوا من قبل مع الأتراك في أرض البجناكية الحالية .

وعندما كان ليونتيكاس بن أرباد أميراً على الأتراك ، وبناء على طلب من الامبراطور العظيم ليو ، قاموا بمحاربة سيمون[١] ، وهزموه هزيمة ساحقة وتقدموا حتى برسلاف ، وحاصروه في مدينة موندراجا Moundraga ثم عادوا إلى بلادهم . وبعد استقرار السلام مرة أخرى بين سيمون وامبراطور الرومان – وأصبح سيمون متفرغاً للعمل في ميادين أخرى – أرسل إلى البجناكية وعقد معهم اتفاقاً لمهاجمة الأتراك وإبادتهم . وانتهز سيمون ومعه البجناكية فرصة خروج الأتراك من بلادهم في إحدى الحملات العسكرية ، وهاجم بلادهم وقضى على عائلاتهم وطرد مَن بقي من رجالها وهم الذين كانوا يقيمون بأعمال الحراسة . وعندما عاد الأتراك من الحرب ووجدوا بلادهم مهجورة وقد خربت تماماً ، تركوها واستقروا في الأرض التي يعيشون فيها الآن .

---

(١) لعل كلمة الماجيار Magyar مشتقة من اسم هذه الطائفة التي امتزجت بالعناصر التركية ·

(٢) تتعلق هذه الاحداث بمعركة بلجاروفيجون التي وقعت عام ٩٨٧ م· انظر :

Runciman, A'History of The First Bulgarian Empire, pp. 146 - 7

ويسمى المكان الذي كان يقيم فيه لأتراك فيما مضى باسم النهر الذي يجري فيه وهو نهر إيتل وكوزو Kouzou وهو المكان الذي يعيش فيه البجناكية حالياً .

وفي المكان الذي يعيش فيه لأتراك الآن توجد آثار من الأزمنة القديمة ، وأولها قنطرة الامبراطور ترجان Trajan حيث تبدأ بلاد الأتراك . وبعد رحلة ثلاثة أيام من هذه القنطرة تقع مدينة بلجراد Belgrade وفيها يوجد برج الامبراطور قسطنطين الكبير . وفي أعالي النهر[١] توجد مدينة سرميوم Sirmium وهي على مسافة رحلة يومين من بلجراد ، وبالقرب من سرميوم تقع مورافيا العظمى الوثنية التي استولى عليها الأتراك وهي التي حكمها سفندوبلوكس[٢] Sphendoplokos من قبل . وهذه هي الآثار والأسماء التي توجد على طول نهر الدانوب .

أما المناطق التي تقع شمال هذا النهر ، والتي تشمل كل مستقرات الأتراك يسمونها باسم الأنهار التي تتدفق هناك وهذه الأنهار هي : نهر تيمسيس Timisis ونهر توتيس Toutis ونهر موريسيس Morisis ونهر كريسيوس Krisos وأخيراً نهر تيتزا Titza .

ويجاور الأتراك من الجانب الشرقي البلغار حيث يفصل بينهما نهر ايستروس Istros ويعرف باسم الدانوب ، ومن الشمال يجاورهم البجناكية ، ومن الغرب الفرنجة ، ومن الجنوب الكروات[٣] ، وليس

---

(١) تقع مدينة سرميوم على نهر سافا Sava احد فروع الدانوب .

(٢) انظر ما يلي الموضوع رقم ٤١ .

(٣) تحديد واضح للاقليم الذي نزل به الاتراك (الماجيار) في عصر المؤلف .

لطوائف الأتراك الثمانية أمير واحد تطاع أوامره ، ولكنه يوجد اتفاق بينهما بالاتحاد والخروج للحرب متضامنين إذا ما نشبت الحرب . وفي هذه الحالة يتولى الرئاسة الأمير الذي خلف أرباد يعاونه اثنان يحملان لقب جيلاس Gylas وكارخاس Karchas ، وهما لقبان يدلان على السمو والرفعة ويطلقان على من يشغلون بعض مناصب القضاء . واللقب الأول أرقى من الثاني . كما كان لكل عشيرة أميرها .

وكان لأرباد أربعة أبناء أكبرهم تاركاتزوس Tarkatzous وله ابن هو تيبيلس Tebellis ، والثاني هو إيلخ Ielech وله أبن يدعى ايزلخ Ezelech والثالث ايوتوتزاس Ioutotzas وله ابن هو فالتزيس Phalitzis وهو الأمير الحالي . والرابع هو زالتاس Zaltas وله ابن ينادي تاكسيس Taxis [١] وقد مات كل أبناء أرباد ولكن أحفاده فاليس وتاسيس Tasis وابن عمهم تاكسيس لا زالوا على قيد الحياة .

وبعد وفاة تيبيلس جاء ابيه ترماتزوس Termatzous إلى القسطنطينية كصديق يرافقه الكارخاس بولتزوس Boultzous الأمير الثالث للأتراك . وهذا الأخير هو ابن الكارخاس كاليس Kalis .

٤١ ـ بلاد مورافيا

كان سفدوبولوكس أمير مورافيا بطلاً شجاعاً ترهبه الشعوب المجاورة له . وكان له ثلاثة أبناء اقتسموا البلاد فيما بينهم بعد

---

(١) لم يشر المؤلف الى اسم ليونتيكاس ضمن ابناء ارباد في هذا الموضع وكان قد ذكر من قبل في الموضوع رقم (٤٠) بأن ليونتيكاس بن ارباد قاد الاتراك لمحاربة سيمون كطلب الامبراطور ليو · ويلاحظ أن المؤلف سبق أن اشار الى أن ارباد لم ينجب اطفالا من الزوجة الخزرية ، ولعل هؤلاء الاولاد من زوجة اخرى · انظر الموضوع (٣٨) ·

٤١
وفاته ، واحتفظ الابن الأكبر بلقب الأمير الأعظم وخضع الآخران لسلطانه وائتمروا بأمره . وقد نصحهم والدهم قبل وفاته بألا يحارب بعضهم بعضاً وأعطاهم مثلاً على ذلك بأن أحضر ثلاث عصي وربطها معاً ، وأعطاها لأحد أبنائه ليكسرها ولكنه عجز عن كسرها ، ثم أعطاها للثاني فلم يتمكن من كسرها ، فأعطاها لابنه الثالث فلم يقو على كسرها . ثم فكها الأب وأعطى لكل واحد منهم عصا وأمرهم بكسرها ، فكسرت بسهولة . وبهذه الطريقة نصحهم وقال لهم « إذا ظللتم متحدين وكنتم على وفاق ومتحابين فلن يهزمكم أعداؤكم ولن تغلبوا ، أما إذا تنافستم وتنازعتم وانقسمتم إلى ثلاث حكومات ولم تخضعوا لأخيكم الأكبر ، فسوف يدمر أحدكم الآخر ، ويتمكن الأعداء المجاورون لكم من إبادتكم[1] ، وعاش الأبناء الثلاثة بعد وفاة أبيهم في سلام لمدة عام ، ثم حل النزاع والخصام بينهم وقامت الحرب الأهلية ثم ما لبث أن جاء الأتراك وهاجموهم وخربوا بلادهم واستولوا عليها وما زالوا يعيشون فيها حتى الآن[2] . أما بقية شعب مورافيا فقد شتتوا وفروا وهاموا على وجوههم بحثاً عن مأوى في بلاد بلغاريا وكرواتيا وبقية البلاد المجاورة .

---

(١) توضح هذه الطريقة نظام الحكم الوراثي ، وهي نفس انظمة المجتمع الجرماني .

(٢) يتضح من هذه العبارة ان سفندوبولوكس مات قبل عام من دخول الماجيار مورافيا ، ولما كان دخول الماجيار الى مورافيا كان عام ٩٠٠م فتكون وفاة سفندوبولوكس في عام ٨٩٩ م تقريبا .

٤٢ ــ وصف جغرافي من سالونيك الى نهر الدانوب ومدينة بلجراد ، وبلاد الاتــراك والبجناكية وساركل مدينة الخــزر وروسيا الــى خليج نكروبيلاه Nekropyla التي تقع في بحر بنطس بالقرب من نهر الدنيبر ، والى خرسون والبسبور وما بينهما من اقطار • ثم الى بحيرة مايوتيك التي تسمى بالبحر لكبر مساحتها • والى المدينة المسماة تاماتراخا Tamatrache وزيخا Zichia بالاضافـة الى باباجيـا Papagia والقوقاز والانيا واباسجيا Abasgia ثم الى مدينة سوتوريوبوليس Sotirioupolis

بين مدينة سالونيك وبلجراد الواقعة على نهر الدانوب رحلة تستغرق ثمانية أيام إذا كان المسافر لا يسرع في رحلته . ويعيش الأتراك وراء نهر الدانوب في أراضي مورافيا في الجانب الذي يقع بين هذا النهر ونهر سافا : وتنتشر البجناكية شمالي نهر الدانوب حتى تواجه مدينة ديسترا Distra ، وتخضع لها الأراضي الممتدة حتى المدينة الخزرية ساركل Sarkel [١] حيث يوجد حامية قوامهــا ثلاثمائة رجل تستبدل كل عام . وكلمة ساركل تعني عندهم « البيت الأبيض » . وقــد بنى هــذه المدينــة السباثاروكانديدات Spatharocandidate بتروناس كاماتيروس Petronas Camaterus وتم ذلك عندما طلب خان الخزر مــن الامبراطور تيوفيلوس

---

(١) في ذلك تحديد واضح للحدود الشرقية وهي مدينة ساركل والحدود الغربية وهي مدينة ديسترا للاراضي التي سكنها البجناكية في عصر المؤلف.

Theophilus [1] أن يبني لهم مدينة وقام بهذه المهمة سفراء الخان .
وقد قبل الامبراطور رجاءهم وأرسل لهم بتروتاس كاماتيروس ومعه بعض سفن البحرية الامبراطورية ، كما أرسلت سفن حربية أخرى خاصة بالقائد العام لاقليم بافلاجونيا Paphlagonia .
وعندما وصل بتروناس إلى خرسون ترك سفنه الحربية هناك ، وحمل رجاله على سفن نقل وابحر إلى الموضع الذي بنيت عليه المدينة الذي يقع على نهر تانياس[2] Tanais . ولم يكن بالمكان حجارة تصلح للبناء ، لذلك أقام بعض الأفران لصنع القرميد الذي بنيت منه المدينة ، كما تم صنع الملاط من الأصداف الصغيرة بالنهر[3] .

وبعد أن بنى بتروتاس المدينة عاد إلى الامبراطور تيوفيلوس وقال له « إذا أردت أن تكون لك السيادة التامة على مدينة خرسون وكل مكان في هذا الاقليم، وحتى لا يفكر الأهالي في التمرد عليك، يجب أن ترسل لهم حاكماً عسكرياً من قبلك ولا تثق في رؤسائهم ونبلائهم ، فقد كان الامبراطور لا يرسل حاكماً عسكرياً إلى هذا الاقليم وكان الحكم والإدارة في يد رئيسهم وكبار رجال المدينة . وقد أخذ الامبراطور المشورة حول هذا الأمر أولاً ، ثم قرر أن يرسل إليهم بتروناس باعتباره قد اكتسب خبرة ومهارة في إدارة شؤونهم أثناء إقامته معهم . كما رفعه إلى مرتبة بروتوسباثاريوس Protospatharius وأرسله إلى خرسون حاكماً عسكرياً حاملاً معـــه تعليمات الامبراطور إلى رئيسهم وكل أفرادهم ، وهي التعليمات التي تقضي

---

(١) حكم من ٨٢٩ ـ ٨٤٢ م وفي هذا التاريخ تحديد ايضا لتاريخ بناء المدينة .

(٢) الجزء الادنى من نهر الدن .

(٣) يوضح ذلك الخامات الاولية التي بنيت منها المدينة .

بطاعة الحاكم العسكري[١] . ومنذ ذلك الوقت حتى أيامنا هذه أصبح الحكم في يد الحاكم العسكري الذي يعينه امبراطور الرومان .

ومن نهر الدانوب حتى مدينة ساركل رحلة تستغرق ستين يوماً . وفي هذه الأراضي تجري عدة أنهار أكبرها نهرا الدنيستر والدنيبر ، ونهر سينجول Syngoul ونهر هيبيل Hybyl ونهر الماتاي Almatai ونهر كوفيس Kouphis ونهر بوجو Bogou وبعض الأنهار الأخرى .

وفي أعالي نهر الدنيبر يعيش الروس وهم يبحرون جنوباً في النهر حتى يصلوا إلى أراضي الرومان[٢] ، ويمتلك البجناكية الأراضي حتى روسيا[٣] ، ومدينة بسبور وخرسون وسارات Sarat وبورات Bourat وثلاثين مكاناً آخر .

والمسافة على طول الساحل من نهر الدانوب إلى نهر دينيستر هي مائة وعشرون ميلاً ومن نهر دينيستر حتى نهر الدنيبر ثمانون ميلاً ويعرف هذا الساحل باسم الساحل الذهبي . ويلي مدينة أدارا Adara مصب نهر الدنيبر حيث يوجد خليج عظيم يسمى نكروبيلا ، يصعب على المرء الملاحة فيه أو المرور خلاله . والمسافة بين مصب الدنيبر وخرسون ثلاثمائة ميل وبينهما توجد موانيء وملاحات يستخرج أهل خرسون الملح منها[٤] . ويفصل بين خرسون ومدينة بسبور مدخل بحيرة مايوتيك التي يطلق عليها البحر اكبر مساحتها . وفي هذه البحيرة

---

(١) يتضح من ذلك ان درجة سباثاروكانديدات اقل من درجة بروتوسباثاريوس والاخيرة تمنح للحكام العسكريين للمدن .

(٢) يمر الروس خلال اراضي البجناكية حتى يصلوا الى البحر الاسود عبر نهر الدنيبر . انظر ما سبق الموضوع رقم ٩ .

(٣) في ذلك تحديد لاراضي البجناكية على نهر الدنيبر في عصر المؤلف

(٤) يوضح ذلك نوع من الصناعات التي مارسها اهل خرسون .

تصب أنهار عظيمة وفي شماليها يجري نهر الدنيبر الذي يبحر فيه الروس جنوباً إلى بلغاريا السوداء[1] وبلاد الخزر وسوريا. ويفصل بين خليج مايوتيك وخليج نكروبيلا المواجه له والقريب من الدنيبر أربعة أميال تقريباً. ويربط بينهما خندق – تجري فيه مياه البحر – حفره القدماء. ومياه البحر تحوي بداخلها كل أراضي خرسون ومدينة بسبور ومناطق أخرى تمتد لمسافة ألف ميل أو تزيد. وقد جف هذا الخندق وأصبح غابة كبيرة يخترقها طريقان يمر منهما البجناكية إلى خورسون وبسبور والمناطق الأخرى.

وفي الجانب الشرقي لبحيرة مايوتيك تجري أنهار كثيرة وهي نهر تانياس الذي تقع عليه مدينة ساركل ونهر شاراكول Charakoul الذي يصطاد منه أسماك الستورجون[2] Sturgeon ونهر بال Bal وكادير Chadir وبورليك Bourlik الذي يصب في بحر بنطس Pontus حيث مدينة بسبور.

ويقابل مدينة بسبور هذه مدينة تسمى تاماتراخا Tamatracha . وعرض نهر بورليك ثمانية عشر ميلاً وتقع في وسطه جزيرة كبيرة تسمى أتيك Atech .

ويلي تاماتراخا بعد ثمانية عشر أو عشرين ميلاً نهر أوكروش Oukrouch الذي يفصل بين تامرتراخا وزيخيا Zichia . والأخيرة

---

(١) انظر الموضوع رقم ١٢ ، ويلاحظ ان كلمة جنوبا وردت على سبيل التعميم .

(٢) يستخرج منه الكافيار والاشارة اليه بصفة خاصة يشير الى قيمة اقتصادية ، لان المؤلف ذكره دون الانواع الاخرى .

تقع على نهر نيكوبسيس Nikopsis الذي يبعد عن اكروش بثلاثين ميلاً . وفيما وراء زيخيا يوجد إقليم باباجيا ، حيث تقع وراءها بلاد القوقاز فجبال القوقاز . وفي هذه الجبال تقع الانيا . وفي البحر[١] بالقرب من زيخيا توجد عدة جزر وهي الجزيرة الكبرى والجزر الثلاث وجزر أخرى ، منها جزيرة تورجانيرخ Tourganirch وتزارباجانين Tzarbaganin وقد عمرها أهل زيخيا واستخدموها مراعي[٢]. وعند ميناء سبالاتون Spalaton توجد جزيرة أخرى. كما توجد عند بيتلاي Pteleai جزيرة ، وهي الجزيرة التي يأوي إليها أهالي زيخيا عندما يغير عليهم الالان[٣]. ومنطقة الساحل من حدود زيخيا أي من نهر نيكوبسيس ولمسافة ثلاثمائة ميل حتى مدينة سوتيريوبوليس توجد بلاد الابازجيانيين .

٤٣ ـ بلاد طارون

وفيما يتعلق بالسكيتيين[٤] Scyths الشماليين ، فإني أوضحها لك توضيحاً كافياً ، لأن المعرفة بهذه الشعوب ستكون دائماً ذات فوائد عظيمة لك يا طفلي الحبيب ، وستنفعك هذه المعرفة عندما تجد نفسك في حاجة إليها . ومن الصواب ألا تكون جاهلاً بل يكون لديك معرفة دائمة بالأجزاء التي تشرق عليها الشمس ، لأن هذه المناطق كانت في

---

(١) يقصد به البحر الاسود ·

(٢) يصور ذلك نوعا من الحياة التي يحياها اهل زيخيا ·

(٣) في ذلك اشارة الى كثرة اغارة الالان على زيخيا ·

(٤) انظر الموضوع رقم (١٣) · وقد وصفهم المؤلف في الصفحات التالية للموضوع نفسه بالمتبربرين · والحديث هنا عن جانب من سكان ارمينيا ·

وقت ما خاضعة للرومان ثم عادت مرة أخرى وخضعت لسلطانهم .

عندما كان كريكوريكيوس [١] Krikorikios أميراً في طارون ، أعلن في بداية عهده خضوعه للإمبراطور الروماني ، ولكنه بدا صاحب وجهين أيضاً . ففي الوقت الذي تظاهر فيه بأنه يقدر صداقة الإمبراطور ، فإن تصرفاته كانت في صالح خليفة المسلمين ، وقاد في مناسبات مختلفة الجيوش التي جاءت من سوريا ضد الأقاليم التي كانت خاضعة لامبراطور الرومان .

كما أن كل الخطط التي أعدها الرومان ضد أعدائهم المسلمين وأحاطوها بالكتمان والسرية التامة ، كان كريكوريكيوس يذيعها ويشي بالرومان لدى المسلمين في سوريا ، كما كان يبلغ أمير المؤمنين سراً بأخبارنا عن طريق رسائله التي كان يرسلها للمسلمين . وبذلك نجده يفضل مساندة المسلمين ، في الوقت الذي ظهر فيه بمظهر المؤيد والمشايع لقضية الرومان .

ومهما كان الأمر فقد كان كريكوريكيوس يرسل دائماً الهدايا — التي يعتقد هؤلاء المتبربرون أنها هدايا قيمة — إلى الإمبراطور ليو العظيم [٢] ، وكان يحصل في مقابلها على هدايا أقيم منها من الإمبراطور نفسه ، الذي كان يحثه دائماً في رسائله على زيارة عاصمة

---

(١) اشار اليه المؤلف في الموضوع نفسه باسم جريجوري · ويبدو انه الذي اشارت اليه المصادر العربية باسم اندونقس الرومي الذي اغار على مرعش عام ٢٩٢ هـ ٩٠٣ ـ ٩٠٤ م ، وتولى حرب اهل الثغور من قبل ملك الروم في عام ٢٩٤ هـ ٩٠٦ ـ ٩٠٧ م ، ثم انحاز الى جانب المسلمين وطلب الامان من الخليفة المكتفي في العام نفسه · انظر ابن الاثير : المصدر السابق ج ٧ ص ٥٣٧ ، ٥٥٢ ·

(٢) هو الامبراطور ليو السادس ٨٨٦ ـ ٩١٢ م ·

الإمبراطورية لرؤيته ولينال نصيبه من الهبات التي يمنحها الإمبراطور ليو . ولما كان كريكوريكيوس يخشى مضايقة أمير المؤمنين بهـذه الزيارة ، فقد كان ينتحل الأعذار ويدعي كذباً أنه من المستحيل عليه أن يغادر بلاده ويتركها مجردة من العون والمساندة ، فيخربها المسلمون وينهبونها . وكان لكريكوريكيوس هذا إبن غير شرعي يدعى أشوط Asot .

وحدث أن أسّر أمير طارون كروكوريكيوس أبناء عمه أركاكاس Arkakas واحتفظ بهم كسجناء.وتحرك أمير الأمراء سمبات[1] Smbat باعتباره من أقارب جريجوري Grigorio ، وأرسل إلى الأمبراطور ليو طيب الله ثراه ، يتوسل إليه ويطلب منه أن يبذل كل مساعيه ويرسل إلى أهل طارون لإطلاق سراح أبناء عمه أركاكاس ، حتى لا يرسلهم أمير طارون إلى أمير المؤمنين [2] .

وقـد استجاب الإمبراطور ليو لتوسلات سمبات وأرسل الخصي سينوتس Sinoutis الذي كان يشغل في ذاك الوقت منصب السكرتير الأعلى لوزارة الخارجية ، أرسله إلى أمير طارون في هذه المهمة ، وفي الوقت نفسـه أرسل إلى ادرانا سير[3] Adranasir قربـلاط Curopalate إيبريا ، لبعض أعمال أخرى . وحمّل ليو مبعوثه بالهدايا المناسبة للأميرين . وحدث أن وشى المترجم الأرميني ثيودور Theodor بالمبعوث سينوتس لدى الإمبراطور ليو ، لذلك أرسل ليو

(١) أمير ارمينيا ويعرف باسم الشهيد سمبات ٨٩٠ ــ ٩١٤ م .

(٢) تقع هذه الاحداث بعد عام ٩٠٧ م وهي السنة التي دخـل فيها كريكوريكيوس في طاعة الخليفة العباسي .

(٣) حكم في الفترة من ٨٨٨ ــ ٩٢٣ م .

مبعوثاً آخر إلى طارون هو صاحب الصدارة قسطنطين ليبس Lips ، المشرف على مائدة الإمبراطور . وقد زُود قسطنطين بأوامر مؤداها أن يأخذ الهدايا المرسلة لأمير طارون كريكوريكيوس ويأمر سينوتس بالتوجه إلى ادراناسير في ايبريا .

وقد وصل قسطنطين ليبس إلى طارون وسلم كريكوريكيوس هدايا الإمبراطور والرسائل التي كتبها إليه ، ثم عاد إلى العاصمة الإمبراطورية مصطحباً معه آشوط الابن غير الشرعي لأمير طارون [1] وقد خلع الأمبراطور على آشوط لقب صاحب الصدارة ، ورحب به واستقبله بحفاوة بالغة ثم أعاده إلى والده مع مبعوثه قسطنطين ليبس .

كما أن قسطنطين كان قد اصطحب معه أبوغانم Aboganem — شقيق كريكوريكيوس أمير طارون — ليمثل بين يدي الإمبراطور ليو وكان يرافقهم أيضاً إثنان من أبناء أركاكاس . وقد استقبل الإمبراطور أبوغانم بحفاوة بالغة وأنعم عليه بلقب صاحب الصدارة وتركه ينعم بكل وسائل التسلية والراحة ثم أعاده الإمبراطور إلى بلاد أخيه بصحبة قسطنطين ليبس .

وبعد أن أمضى قسطنطين بعض الوقت في مقاطعة خالديا Chaldia جاءه تكليف إمبراطوري بالتوجه إلى طارون ثم العودة إلى العاصمة مصطحباً معه كريكوريكيوس أمير طارون ، ففعل ما أمر به . ولما وصل كريكوريكيوس القسطنطينية أنعم عليه الإمبراطور

---

(١) يبدو من هذا أن كريكوريكيوس قد عاد وقدم ولاءه للامبراطور ليو السادس في هذه المرحلة .

بلقب ماجستر Magister ونصبه حاكماً عسكرياً على طارون [1] ، ثم أنزله في منزل يعرف باسم منزل بارباروس Barbaros وهـذا المنزل هو منزل بازيل Basil رئيس الحجاب حالياً ، وخصص له الإمبراطور معاشاً سنوياً قدره عشرة جنيهات ذهبـاً ، ثم أعقبهـا بعشرة جنيهات أخرى من فئة الميليارسيا [2] Miliaresia ، فأصبح مجموع ما يحصل عليه عشرين جنيهاً . وبعد أن قضى بعض الوقت في العاصمة الإمبراطورية عاد إلى بلاده بصحبة صاحب الصدارة قسطنطين ليبس لحمايته في طريق العودة .

وأتى أبوغانم مرة أخرى إلى الأمبراطور ليو طيب الله ثـراه ، وأنعم عليه بلقب الشريف ، وسمح له بأن يتزوج من ابنة قسطنطين ليبس ، كما طلب أبو غانم منزلاً يقيم فيه فأعطاه الإمبراطور بيـت بارباروس ، ثم عاد إلى بلاده بعد أن تلقى الهبات التي أنعم بها عليه الإمبراطور، عـاد على أمل العودة مرة أخرى لإتمام مراسم زواجه ولكنه مات بعد عودته بأيام قليلة .

وأرسل كريكوريكيوس — شقيق أبوغانم — رسائل إلى الإمبراطور يطلب فيها السماح له بالقدوم إلى العاصمة الإمبراطورية ليقيم فيها بعض الوقت ويتقبل من يدي الإمبراطور المقدس المعاش الذي أنعم به عليه وبعد وصوله تقدم بطلب للإمبراطور يطلب فيه أن يسمح له بالإقامة في المنزل الذي خصص لأخيه أبوغانم من قبل ، فسلمه الإمبراطور ،

---

(١) سبق واشار اليه المؤلف بأنه أمير طارون ، وفي هذا الوضع بانه أصبح حاكما عسكريا • وتفيد الاولى الى الانفصال ، والثانية الى الخضوع والتبعية للامبراطورية البيزنطية •

(٢) تساوي $\frac{١}{٧٢}$ من النوميسماتا التي تساوي بدورها $\frac{١}{٧٢}$ من الرطل ذهبا • انظر :
Runciman, The Byzantine Civilisation, pp. 176 - 7 .

المنزل لأنه أعلن خضوعه التام للإمبراطور [١] ، كما أن الأمبراطور أراد أن يثير الرغبة في أمراء الشرق الآخرين للخضوع للرومان [٢] ، واكتفى الإمبراطور بإهداء المنزل ولم يرسل إلى الأمير كريكوريكوس مرسوماً ذهبياً بمزايا أخرى .

بعد مرور عدة سنوات ، عندما استولى الامبراطور رومانوس طيب الله ثراه على مقاليد حكم الرومان ، أرسل إليه كريكوريكيوس أمير طارون يخبره بأنه لا يمتلك الوسائل التي تعينه على الاحتفاظ بمنزل بارباروس ، ويطلب أن يمنحه الإمبراطور بدلاً منه ضاحية من ضواحي مدينة كلتزيني Keltzini أو ضاحية تانزات Tatzates ، أو أي ضاحية أخرى يأمر بها الإمبراطور ، حتى يكون بوسعه أن يوفر المدد ويعد الرجال إذا قام المسلمون بالإغارة على بلاده . والحقيقة أن الإمبراطور لم يكن لديه معلومات دقيقة حول حقيقة الموقف : وكان يعتقد أن أمير طارون يحتفظ بالمنزل مع المرسوم الذهبي للإمبراطور ليو طيب الله ثراه ، وبعدما اتضح الموقف منح الإمبراطور رومانوس أمير طارون ضاحية جريجوري Grigoras في مدينة كلتزيني . واستعاد الإمبراطور منزل بارباروس ولكنه لم يصدر مرسوماً ذهبياً لصالحه بخصوص الضاحية .

دفع هذا التصرف تورنيكيوس Tornikios — ابن أخي أمير طارون — وابن المرحوم أبوغانم ، إلى الكتابة للإمبراطور [٣]، يقول : لقد أهدى الإمبراطور ليو بيت بارباروس إلى والدي ، وقد استغل

---

(١) اشار المؤلف في هذا الموضع الى خضوع كريكوريكيوس التام للامبراطور .

(٢) توضح هذه العبارة الطريقة التي تتعامل بها الامبراطورية مع الامراء لكسب ودهم وخضوعهم لها .

(٣) هو الامبراطور رومانوس ليكابينوس .

عمي سلطته بعد وفاة أبي لأنني كنت قاصراً ويتيماً ، واستولى على ذلك المنزل . وكان يعدني دائماً بأنه سيعيده إلي عندما أصل سن الرشد . والآن قد علمت أن عمي قد أعاد إليكم يا صاحب العظمة الامبراطورية هذا المنزل ، وقد أخذ في مقابل ذلك ضاحية جريجوري في كلتزيني.

وبسبب كل هذه الهدايا الإمبراطورية التي منحت لأمير طارون ثار الحقد في قلب أمير باسباركا[1] Basparka ، وفي قلب أدراناسير قربلاط إيبريا ، وأشوط أمير الأمراء[2] ، وقد كتب الأخير إلى الإمبراطور رومانوس مظهراً تذمره لأن أمير طارون يتمتع بمفرده بهذا العطف الإمبراطوري ويحصل دون غيره على معاش امبراطوري، في الوقت الذي لا يحصل فيه الأمراء الآخرون على شيء . ولذلك يقولون : « ما هي الخدمات التي يقدمها أمير طارون زيادة على ما نقوم به نحن من خدمات ؟ وما هي المساعدات التي يقدمها أكثر من المساعدات التي نقدمها ؟ ، لهذا يجب أن نحصل نحن أيضاً على معاش مثلما يحصل عليه أمير طارون أو يحرم هو أيضاً من هذا المبلغ[3] ».

وقد كتب لهم إمبراطور الرومان طيب الله ثراه رداً على رسالتهم يبلغهم أنه لم يقرر بنفسه ذلك المعاش لأمير طارون ، ولو استطاع لحرمه منه ، لأنه ليس من حق الإمبراطور إلغاء ما أقره أباطرة سابقون[4] . وعلى أية حال فقد كتب رومانوس إلى أمير طارون

---

(١) هو كاليكيوس Kakikios ٩٠٨ ــ ٩٣٧ م وقد اشار المؤلف الى اسمه في الموضوع نفسه . ويعرف الاقليم ايضا باسم فازبوركان Vaspurkan .

(٢) هو اشوط الثاني ملك ارمينيا ٩١٤ ــ ٩٢٨ م .

(٣) تقع هذه الاحداث بعد عام ٩٢٠ م وهي السنة التي تولى فيها رومانوس ليكابينوس وقبل عام ٩٢٣ م لان خلال هذه الفترة ٩٢٠ ــ ٩٢٣ م يمكن ان يجمع فيها حكم رومانوس وكاليكيوس وادراناسير واشوط .

(٤) لعل في هذه العبارة ما يشير الى نوع من التقليد المتبع لدى الاباطرة البيزنطيين ، وان كان المؤلف اشار الى غير ذلك في مواضع اخرى انظر : الموضوع رقم (٥٠) .

يخبره بأن الأمراء غاضبون ومستاؤون . وأجاب أمير طارون بأنـه لا يستطيع منح الأمراء ذهباً أو فضة ، ووعد بتقديم الهدايا التي تقدم لهم بصفة منتظمة ، وهي الملابس والأواني البرونزية التي تساوي قيمتهـا عشرة جنيهات . وقد ظل أمير طارون يقدم هذه الهدايا لمدة ثلاث أو أربع سنوات .

وبعد ذلك أرسل أمير طارون تقريراً يذكر فيه أنه لا يستطيع الوفاء بهذه الجزية ، وطلب حصوله على هذا المعاش دون مقابل كما كان الحال عليه في عهد الإمبراطور ليو طيب الله ثراه ، أو قطع هذا المعاش نهائياً . وحتى لا يستاء كاكيكيوس [١] Kakikios أمير باسياركا ، وقربلاط إيبريا أدراناسير ، وبقية الأمراء فقد قطع الإمبراطور رومانوس هذا المعاش عن أمير طارون . ولكن الإمبراطور عمل على مواساته وتعويضه . فقد أنعم على ابنه اشوط ، عندما جاء إلى القسطنطينية بلقب شريف وتركه ينعم بكل وسائل التسلية في العاصمة قبل أن يسمح له بالعودة إلى بلاده .

وبعد وفـاة كريكوريكيوس [٢] أرسل تورنيكيوس بن أبوغانم إلى العاصمة يلح في مقابلة الامبراطور . وعلى ذلك أرسل الامبراطور صاحب الصدارة كرينيتيس Krinitis المترجم لاصطحابه ثم مـا لبث أن عـاد إلى القسطنطينية وبصحبته تورنيكيوس الذي أنعم عليـه الإمبراطور بلقب الشريف ، وطالب تورنيكيس ببيت بارباروس .

(١) يرد في المراجع الحديثة باسم جاجيك .Gagik انظر C.M.H- IV, Part I, p. 784 .

(٢) يرى البعض ان وفاته في عام ٩٣٠ م • انظر :
Runciman, The Emperor Romanus Lecapenus, Appendix IV .

ولكنه علم أن عمه تخلى عن ملكيته ليحصل بدلا منه على ضاحية في كلتزيني فأعلن أن عمه لا يملك حق مبادلة ميراثه الشرعي الذي ورثه عن أبيه ، وطالب بعودة ملكية المنزل أو ملكية الضاحية التي امتلكها عمه كبديل للمنزل ، وإذا لم يحصل على أيهما فإنه يتنازل عنهما للإمبراطور حتى لا يستولي أبناء عمه على ميراثه . ولما كان أمير طارون الكهل قد مات ، فقد استرد الامبراطور الضاحية ولم يمنح منزل بارباروس إلى تورنيكيوس بدلا منها لعدم صدور مرسوم ذهبي لصالح أي من الطرفين .

وجاء بعد ذلك إلى العاصمة الإمبراطورية بانكراتيوس Bankratios أكبر أبناء كريكوريكيوس أمير طارون الراحل ، ومثل بين يدي الإمبراطور فأنعم عليه بلقب الشريف وعينه حاكماً عسكرياً في طارون[١] . كما طلب بانكراتيوس أن يتزوج إحدى سليلات البيت الامبراطوري ، فزوجه الإمبراطور أخت الماجستر تيوفيلاكت Theophylact . وبعد زواجه كتب بانكراتيوس وصية قال فيها : « إذا أنجبت أبناء من هذه السيدة فإنهم يرثون الحكم في بلادي » . وبناء على ذلك طلب من الإمبراطور أن يمنحه ضاحية جريجوري لتكون مقراً لزوجته النبيلة على أن تعود الضاحية إلى الامبراطور في حالة وفاتها ، ووافق الامبراطور على ذلك أيضاً ، وسمح له بالعودة إلى بلاده بعد أن حمله بهدايا كثيرة ، فعاد بصحبة زوجته .

وحدث أيضاً أن أبناء كريكوريكيوس بما فيهم بانكراتيوس بالإضافة إلى الشريف آشوط ، ضايقوا ابن عمهم الشريف

---

(١) تفيد هذه العبارة ان الابن حل محل الاب واصبح حاكما عسكريا في طارون ٠

تورنيكيوس وأغضبوه ، ولم يستطع ابن العم تحمل اعتداءاتهم المتكررة وإساءاتهم إليه ، فكتب إلى الامبراطور ليرسل أحد رجاله إليه لكي يصحبه وزوجته وطفلهما إلى العاصمة . وأرسل الإمبراطور صاحب الصدارة كرينيتس ليعود به إلى العاصمة كطلبه ، وعندما وصل كرينيتس إلى طارون وجد تورنيكيوس قد مات ، بعد أن أوصى قبيل وفاته بخضوع كل بلاده إلى الإمبراطور وأن تقيم زوجته وابنه عند الإمبراطور. وعندما وصلت الزوجة إلى العاصمة الإمبراطورية خصص لها الإمبراطور دير بسوماتيا Psomathia لإقامتها هي وطفلها ، وكان هذا الدير ملكاً لصاحب الصدارة ميخائيل المحصل السابق لمدينة خالديا .

وأرسل الإمبراطور المترجم كرينيتس ليستولي على بلد أبوغانم ، أي نصيب ابنه الشريف تورنيكيوس الذي أوصى به للإمبراطور . ولكن أبناء أمير طارون السابق وهم في الوقت نفسه أبناء عم كرينيتس ، أرسلوا إلى الإمبراطور يطلبون الاحتفاظ بنصيب ابن عمهم مقابل تنازلهم عن مدينة أولنونتين Oulnountin لأنهم لا يحتملون الحياة إذا استولى الإمبراطور على نصيب ابن عمهم . ولما كان الإمبراطور طيب القلب فقد حقق رجاءهم وأعطاهم بلد أبوغانم أي بلد ابن عمهم . وأخذ الإمبراطور أولنونتين وكل الأراضي المحيطة بها . وكانت بلاد طارون مقسمة إلى قسمين ، ظل قسم منها في أيدي ابناء الماجستر كريكوريكيوس ، والقسم الثاني كان تحت نفوذ أبناء عمومتهم وهم أبناء الشريف أبوغانم .

٤٤ ـ اقليم اباخونيس Apachounis
ومدينة مانزكرت وبيركري Perkri
وخلاط وأرزن وطيبـي Tibi
وخرت Chert وسالاماس
وتزرماتزو Tzermatzou

قبل عهد آشوط [١] ، كان عرش أمير الأمراء في مدينة كارس Kars بأرمينيا العظمى . وآشوط هذا هو والد أمير الأمراء سمبات الذي قطع رأسه أمـير فارس أبو ساتيا [٢] Aposatia . وكـان لسمبات ولدان هما : أشوط الذي أصبح أمير الأمراء بعد والـده ، وعباس [٣] Apasakios الذي حصل فيما بعد على لقب ماجستـر . وكانت المدن الثلاث بيركرى وخلاط وأرزن تحت سلطان أمـير الأمراء كما كانت مدينة طيبي وخرت وسالاماس تحت سلطانه أيضاً .

وامتلك أبلبارت Apelbart مانزكرت وكان تحت سلطـان آشوط والد سمبات . وقد أعطى آشوط هذا مدينة خـلاط وأرزن وبيركرى إلى ابلبارت لأن آشوط كان يمتلك كل الأقاليم الشرقية . ولما مات ابلبارت ورث ابنه عبد الحميد Abelchamit إقطاع أبيه . وعندما توفي عبد الحميد ورثه إبنه الأكبر أبو سباتاس [٤] Aposebatas

---

(١) هو آشوط الاول الكبير ملك ارمينيا ٨٨٥ ــ ٨٩٠ م ٠

(٢) اشارت المصادر الارمينية بأن الذي قتل سمبات في عام ٩١٤ م هو يوسف حاكم ارمينيا ٠ انظر :
Vardan, Extrait de L'Histoire Universelle, p. 142, Michel Le Syrien, Chronique, III, p. 515 .
ولعله يوسف بن ابي الساج الذي تقلد اعمال ارمينية واذربيجان عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م انظر ٠ ابن الاثير المصدر السابق جـ ٨ ص ٥٤ ٠

(٣) هو ملك ارمينيا من ٩٢٨ ــ ٩٥٢ م ٠

(٤) هذه الاسماء محرفة للغاية ويتعذر مقابلتها باسماء الشخصيات العربية التي تولت حكم هذه الاماكن ٠

وبعدما قتل أبو ساتيا سمبات ، أصبح أبو سباتاس حاكماً مستقــلاً على مدينة مانزكرت وبقية المــدن الأخرى وتوابعها ، وأصبح أبــو سباتاس وأخواه أبو السفوت Apolesphouet وأبو سلميــس[1] Aposelmis أتباعاً للإمبراطور بعدما تعرضت بلادهم في مناسبات مختلفة للسلب والتخريب على يد القواد المسلمين ، ودفعوا الجزيــة عن مدنهم للإمبراطور ، وذلك عن طيب خاطر .

ومنذ عهد آشوط والد سمبات وجد آشوط الثاني والمساجتر عباس وحتى عهد أمير الأمراء آشوط الثاني فإن المدن الثلاث كانت تحت سلطان أمير الأمراء وكان يحصل على جزيتها ، كما كانت مدينة مانزكرت وإقليم أباخونيس وكوري Kori وخرقة Charka تحت قيادته أيضاً . وظل هذا الوضع قائماً إلى أن خضع أبو سباتاس أمير مانزكرت وأخواه أبو السفوت وأبو سلميس إلى الامبراطور ودفعوا الجزية عن مدنهم وأراضيهم . ومنذ أن أصبح أمير الأمراء تابعــا للإمبراطور الروماني الذي يعينه في منصبه ويمنحه الألقاب ، فقد أصبح واضحاً أن المدن والضواحي وتوابعها التي يحكمها أمير الأمراء هي من الأراضي التابعة للإمبراطور الروماني .

وعندما أسر أبو ساتيا أمير فارس سمبات أمير أمراء أرمينيا الكبرى وقطع رأسه ، استولى أبو سباتاس صاحب مانزكرت ، على مدينــة خلاط وبيركرى وضواحي مدينة أرزن .

وامتلك أخٌ لأبي سباتاس وهو أبو السفوت وابنه أحمد ، مدينة

(١) جانب آخر من الاسماء التي وردت محرفة ويتعذر تحقيقها .

خلاط وأرزن والتزيك Altzike ، وخضعا للإمبراطور الروماني وأصبحا تحت سلطانه ودفعا الجزية عن مدنهما وأراضيهما مثلما فعل الأخ الأكبر أبو سباتاس .

وكان الأخ الثالث لأبي سباتاس وأبي السفوت هو أبو سلميس، الذي كان يمتلك مدينة تزرماتزو وضواحيها ، ثم خضع هو الآخر للإمبراطور الروماني وقام بدفع الجزية مثلما فعل أخواه أبو سباتاس وأبو السفوت .

وعندما مات أبو سباتاس امتلك ابنه عبد الرحيم مدينـــة مانزكرت وأراضيها وتوابعها . وبعد موت عبد الرحيم حكم عمه أبو السفـــوت مدينة مانزكرت وكل الأراضي التابعة لها . وبعد موت أبو السفوت آلت مانزكرت وتوابعها إلى أخيه أبو سلميس .

وكان لأبي سباتاس ابنٌ هو عبد الرحيم وابنٌ آخر هو أبو المعز Apelmouze ، أما أبو السفوت فلم يكن له أولاد لذلك اتخذ أحمد — وهو ابن أخيه — ابناً له .

وكان لأبي سلميس ابن هو ابلبارت [١] وهو حاكم مانزكرت الآن .

وعندما مات أبو سباتاس ترك ابنه عبد الرحيم على الإمارة ، لأن الابن الآخر وهو أبو المعز كان صغيراً ولم يكن باستطاعته أن يخلف والده وأخاه .

---

(١) اورد المؤلف هذا الاسم من قبل فـــي الموضوع نفسه على انـــه جد لابي سلميس ثم عاد وذكره على انه ابنا له ٠

وكان أبوسباتاس وهو الأخ الأكبر يحكم من مدينة مانزكرت ويسيطر كما يقولون على أراضي اباخرنيس وكورى وخرقة ، وقدم الجزية كتابع يحكم هذه الأراضي إلى الامبراطور الروماني . وبعد موت أبي سباتاس حكم ابنه عبدالرحيم ودفع الجزية أيضاً ، بينما كان أخوه أبو المعز قاصراً .

وعند موت عبد الرحيم ، كان أخوه أبو المعز لا زال قاصراً ، لذلك آل حكم مدينة مانزكرت وتوابعها إلى عمهم أبي السفوت .

ولما مات أبو السفوت حكم أخوه أبو سلميس مدينة مانزكرت والأراضي التابعة لها ، أما أحمد ابن أخي أبي السفوت فقد امتلك بناء على رغبة أبي السفوت ووصيته كلاً من خلاط وأرزن وبيركري . وسبب ذلك أن أبا السفوت لم يكن له ولد لذلك اتخذ من أحمد ابناً ووريثاً له .

وعندما مات أبو سلميس حكم ابنه إبلبارت مدينة مانزكرت والأراضي المحيطة بها ، وامتلك أحمد المدن الثلاث وهي خلاط وأرزن والتزيك . وكان أحمد هذا تابعاً للإمبراطور كما أوضحنا ، ودفع الجزية عن نفسه وعن عمه أبي السفوت .

وقد تمكن إبلبارت من قتل أحمد بعدما خدعه ، استولى على مدينة خلاط وأرزن والتزيك . وهذه المدن يجب أن تعود لتبعية الإمبراطور الروماني باعتبارها من أملاكه .

وكل المدن والأقطار السابق ذكرها لم تكن تحت سلطان الفرس من قبل أو تحت سلطان أمير المؤمنين ، ولكنها كما يقال كانت تحت

حكم سمبات أمير الأمراء في عهد الإمبراطور ليو ، ثم خضعت للأخوة الثلاثة : أبي سباتاس وأبي السفوت وأبي سلميس . وفي عهدهم دانت بالولاء والتبعية لإمبراطور الرومان وأدت الجزية للإمبراطورية .

وإذا كانت هذه المدن الثلاث وهي خلاط وأرزن وبيركرى ضمن ممتلكات الرومان ، فإن أي جيش فارسي لا يستطيع مهاجمة الرومان . لأن هذه المدن تقع بين بلاد الرومان وأرمينيا وتصلح لتكون خط دفاع أمامي يعرقل الجيوش ويمنعها من التقدم [١] .

٤٥ ـ الايبيريون سكان ايبريا

وأعني بالإيبيريين الذين يخضعون للقربلاط ، وهم يستاءون عند ذكر أصلهم، لأنهم ينتمون إلى أبناء زوجة أوريا Uriah التي ارتكب معها الملك ... جريمة ... وهم كما يقولون ينحدرون من السلالة التي أنجبها ... من هذه المرأة ، وبالتالي فهم ينتمون ... [٢] . ولهذا السبب يتزوج عظماء الإيبيريين من قريباتهم دون عوائق ، ويعتقدون أنهم بهذه الطريقة يحافظون على الشريعة القديمة . ويقول الإيبيريون أنهم أتوا من بيت المقدس ، وأنهم أنذروا في حلم جاء به الوحي بالهجرة والاستقرار في المناطق المجاورة لدولة الفرس . واللذين أنذرا وخرجا من القدس هما داود وأخوه سباندياتس Spandiatis [٣] .

---

(١) لعل أهمية ذكر هذا الموضوع تتلخص في هذا الجزء الذي أوجزه المؤلف ، وان هذه المناطق تعتبر خط دفاعي امامي عن الامبراطورية .

(٢) الكلمات المحذونة هنا غير لائقة لذلك آثر الباحث حذفها : انظر الموضوع رقم (١٤) .

(٣) اشار المؤلف الى ان هذه الهجرة ترجع الى حوالي خمسمائة أو اربعمائة من كتابه هذا الموضوع أي عام ٩٥٢ م كما يتضح في الصفحات التالية انظر ص ١٦٧ .

٤٥
ويدعون أيضاً أن الأخير تلقى منحة من الرب بأن السيوف لا تصل إليه في المعارك ، ولا تؤذي أي عضو في جسده عدا القلب ، لذلك اعتاد أن يحمي منطقة القلب بدرع أثناء القتال . وهذا هو السبب في رهبة الفرس منه وفزعهم عند رؤيته وانتصاره عليهم وإخضاعهم وتسيده عليهم . ثم أتى بقومه من الإيبيريين وأسكنهم في المناطق الوعرة التي يمتلكونها الآن. ومنذ ذلك الحين تكاثر عددهم وانتشرت سلالتهم حتى كوّنوا أمة عظيمة .

وعندما خرج الإمبراطور هرقل لمحاربة الفرس تحالف معه الإيبيريون ، وغزوا بلاد فارس ، وبسبب ما ألقاه هرقل من رعب في قلوب الأعداء — لا بسبب قوة وجرأة الإيبيريين — أخضع عدداً كبيراً من المدن والأقاليم الفارسية وأجبروها على الاستسلام . ولما كان الفرس يرهبون الإمبراطور هرقل فقد هزمهم هزيمة منكرة وتغلب على قواتهم وقضى على إمبراطوريتهم . كما كان الفرس ينهزمون بسهولة ويعانون خضوعهم أمام قوة الإيبيريين وأمام المسلمين أيضاً .

ولما كان أصل الإيبيريين يرجع إلى مدينة القدس ، فقد كانوا شديدي الوفاء لها ولضريح السيد المسيح . وكانوا من وقت إلى آخر يرسلون مبالغ كبيرة من المال لبطريق المدينة المقدسة وللمسيحيين المقيمين بها .

وقد أنجب داود — شقيق سبانديانس — ابناً يدعى بانكراتيوس Pankratios وأنجب الإبن الحفيد أشوط ، وأنجب الحفيد ابناً هو ادراناس [١] ، وقد أنعم الإمبراطور ليو على الأخير بلقب قربلاط ،

---

(١) هو قربلاط ايبريا ٨٩١ — ٩٢٣ م وقد اشار اليه المؤلف من قبل أنظر الموضوع (٤٣) . تابع الحاشية التالية .

ولكن سباتدياتس مات دون أن ينجب أطفالاً .

ومضى على هجرة الإيبيريين من القدس إلى البلاد التي يسكنونها الآن زهاء أربعمائة أو خمسمائة سنة حتى الآن[١]، وهي السنة الضريبية العاشرة ، وسنة ستة آلاف وأربعمائة وستون من بدء الخليقة [٢] ، إلى عهد الإمبراطورين قسطنطين ورومانوس [٣] ، المشمولين برعاية السيد المسيح والمولودين في الحجرة الأرجوانية .

وعندما سمع الإمبراطور الجليل ليو المشمول برعاية السيد المسيح والمولود في الغرفة الأرجوانية ، بوصول المسلمين إلى فازيان Phasiane وأنهم حولوا الكنائس هناك إلى حصون وقلاع ، أرسل الشريف لالاكون Lalakon حاكم أرمينياكوي Armeniakoi والحاكم العسكري في كولونيا والحاكم العسكري في أقليم الجزيرة ، بالإضافة إلى الحاكم العسكري في خالديا ، فقاموا بتدمير تلك الحصون واستعادوا كل الكنائس ونهبوا فازيان التي كانت تحت سيطرة المسلمين. وبعد ذلك توجه الماجستر كاتاكالون Katakalon قائد الجيوش الشرقية إلى مدينة ثيودسيوبوليس فنهبت قواته وخربت المناطق المحيطة بها واجتاحوا إقليم فازيان والمدن المحيطة به ، وعادت بعد أن ألحقت بالمسلمين خسائر فادحة .[٤]

---

(١) لا تتناسب هذه المسافة الزمنية مع الاجيال الاربعة التي أوردها المؤلف بداية من داود حتى أدراناس ٠

(٢) تعادل عام ٩٥٢ م ٠

(٣) المقصود هنا قسطنطين السابع وابنه رومانوس الثاني ٠

(٤) تمثل هذه الاحداث جانبا من العلاقات الاسلامية البيزنطية في عهد ليو السادس ٨٨٦ ـ ٩١٢ م / ٢٧٣ ـ ٣٠٠ هـ ٠ ولعل هذه الاحداث وقعت في عام ٢٩١ هـ/٩٠٣ ـ ٩٠٤ م وهي السنة التي هاجم فيها البيزنطيون المسلمين بمائة الف محارب ٠ انظر : ابن الاثير : المصدر السابق ج ٧ ص ٥٣٣ م ٠

وفي عهد الإمبراطور رومانوس غزا الماجستر يوحنا كوركواس مدينة طيبي كما خرب تماماً إقليم فازيان الذي كان في قبضة المسلمين ، وعلاوة على ذلك ، فإن الشريف تيوفيلوس -- شقيق الماجستر يوحنا كوركواس – قد قام بعد تعيينه للمرة الأولى حاكماً عسكرياً لمدينة خالديا بنهب منطقة فازيان لأنهـا كانت في قبضة المسلمين . وبعد أن تم الاتفاق مع أهل مدينة ثيودوسيبوليس لم تترك قرية في منطقة فازيان وحول مدينة إبنكيون Abnikon دون أن تنهب أو تخرب [١] .

وكان الإيبيريون يحتفظون بعلاقات الود والصداقة مع أهالي مدن ثيودوسيبوليس وإبنكيون ومانزكرت ومع كل بلاد الفرس [٢] ، ولم يكن لهم تطلعات في أراضي إقليم فازيان . وقد طالب الإمبراطور ليو والإمبراطور رومانوس ، وكذلك جلالتنا عدة مرات بمدينة كيتزيون Ketzeon ، بامتلاكها لشحنهـا بالحاميات العسكرية لمنع أيـة إمدادات إلى مدينة ثيودوسيبوليس ، وقد أكدنا للقربلاط أنه بعـد الاستيلاء على هذه المدينة سنعيد له مدينة كيتزون . ورفض الإيبيريون تسليم المدينة لارتباطهم بأهالي مدينة ثيودوسيبوليس ، خشية وقوعها في أيـدي الرومان ، وكانت حجتهم في ردهم على الإمبراطـور رومانوس وعلى جلالتنا ، أنهم إذا سلموا المدينة فسوف يلحق بهم العار ويبدون غير شرفاء في أعين جيرانهم أمثال الماجستر حاكم الأبازجيانيين وحاكم مقاطعة باسباراكا وبقية حكام أرمينية ، وسيقول هـؤلاء الحكام أن الإمبراطور لا يثق بالقربلاط الإيبري وجميع أخوتـه

---

(١) تمثل هذه الاحداث جانبا من العلاقات البيزنطية الاسلامية في عهد رومانوس لسبكابينوس ولعل احداثها وقعت في عام ٩٤٣ م / ٣٣٢ هـ . انظر ما سبق ص ٢٨ .

(٢) المقصود ببلاد الفرس البلاد الاسلامية .

ويعتقدون أنهم خونة ، وهذا ما دفع الامبراطور إلى الإستيلاء على المدينة [1] . واقترح الإيبيريون أن يقوم الامبراطور بإيفاد قائد أو مندوب إمبراطوري وينزل في بعض الممتلكات الرومانية بأحياء المدينة ويتولى أعمال الحراسة فيها . وكان رد الامبراطور أنه لا فائدة ترجى من إرسال قائد أو مندوب إمبراطوري إلى المدينة ، لأن هذا المندوب سوف يدخل المدينة ومعه عشرة رجال أو إثنا عشر رجلاً ويقطنون بالمساكن التي يسمح لهم بالإقامة فيها ، ولا يستطيع المندوب وهو بداخل المدينة أن يرى الإمدادات التي تتجه إلى تيودوسيبوليس لأن الطرق المؤدية إليها وعرة ، كما يمكن لهذه الإمدادات أن تدخل المدينة ليلاً ، وبذلك يصبح الأمر صعباً في كلا الحالتين .

ولما كان الإيبيريون لا يرغبون في سيطرة الرومان على مدينة تيودوسيبوليس ، ويرغبون أيضاً في استمرار إمدادها بالمؤن ، فإنهم لم يطيعوا أوامر الإمبراطور ولم يتنازلوا عن مدينة كيتزيون ، هذا بالرغم من أنهم تلقوا وعداً مكتوباً بإعادة المدينة إليهم بعد السيطرة على مدينة تيودوسيبوليس . كما أن الإيبيريين لم يوافقوا أيضاً على الإغارة على ضواحي المدينة أو على الأراضي التابعة لها ، أو أن يأسروا أحداً من أهلها ، أو أن يغيروا على مدينة إبنكيون أو على ما حولها ، أو على مدينة مانزكرت أو المناطق التابعة لها .

وفيما يتعلق بأراضي إقليم فازيان فقد أصر القربلاط على مطالبته بها وبمدينة ابنيكون ، وادعى أنه تلقى مراسيم ذهبية من الإمبراطور

---

(١) الصراع هنا بين بيزنطة والارمن على مدينة ثيودوسيبوليس وتعرف ايضا باسم أرزن الروم . ولعل السبب في ذلك هو الاهمية العسكرية لهذه المدينة واعتبارها خطا دفاعيا أماميا للقوات البيزنطية .

رومانوس ومن جلالتنا ، وأرسل نسخاً منها إلى صاحب الصـــدارة زوربانليس Zourbanelis ، وقد فحصناها ووجدناها لا تؤيـــد قضية القربلاط . والسبب الرئيسي في ذلك ، هو أن المرسوم الذهبي الذي منحه رومانوس مرجعه إلى أن القربلاط أخذ وعداً على نفسه وأكد للإمبراطور رومانوس بالقسم وكتب كذلك بخط يده ، أنه سوف يظل مخلصاً للأمبراطور الروماني ويحارب أعداءه ويحمي أصدقاءه ويخضع الشرق ويقهر المدن ويقوم بأعمال عظيمة من أجل راحـــة الإمبراطور . وعلى ذلك وعده الامبراطور — زوج أمنا [1] — بأنه إذا ظل على هذه الحال من الإخلاص والتبعية والعرفان بالجميل فسوف يظل في الحكم والسلطة هو وأولاده من بعده دون أن يزعزع عرشه أحد . ولا ينقص الإمبراطور من حدود بلاده ، بل يقر الاتفاقيات التي أبرمها الأباطرة السابقون ولا يعمل على نقضها . كما أن الإمبراطور لم يمنع القربلاط من تخريب تيودوسيبوليس وبقية مدن الأعـــداء ، ســـواء حاصر هذه المدن بجيشه دون مساعدة أو بمساعدة جيوش الرومان .

هذه هي النقاط الأساسية التي تشتمل عليها المراسيم الذهبية وهي لا تمنح القربلاط الحق بمطالبه السابقة . لأن حماى أعطاه وعداً صريحاً بعدم تغيير حدود بلاده القديمة ، وإذا استطاع القربـــلاط بجيشه أو بمساعدة جيشنا أن يحاصر أو يخرب ثيودوسيبوليس ، أو مدن الأعداء الأخرى فإنه لا يمكنه الاحتفاظ بها وليس له الحق في أن يحكمها بنفسه أو يبسط عليها سلطانه وسيادته .

وإن كان ما سبق يتعلق بما تضمنته المراسيم الذهبيـــة الخاصـــة

---

(١) يقصد به رومانوس ليكابينـــوس الـــذي تزوج أم الامبـــراطـــور قسطنطين السابع .

بالإمبراطور رومانوس ، فإن ما يخص جلالتنا يتضمن شرطاً مفاده ، إن كل المناطق التابعة للمسلمين والتي يستطيع القربلاط أو ابن أخيه الماجستر أدراناس من فتحها بقواتهما الخاصة حالياً أو مستقبلاً ، يكون له الحق في وضعها تحت سيادته . أما إذا تمكن من إخضاع ثيودوسيبوليس أو ابنيكون أو ماستاتون Mastaton وهي المدن التي تقع على نهر إيراكس Erax (فاريس Fasis) ولو بقواته الخاصة فقط دون مساعدة ، فلا يكون له حق الاحتفاظ بها .

وليس هذا فحسب فإن مدينة ابنيكون هي مدينة مستقلة حتى الآن ويحكمها أميرها حكماً مستقلاً ، وقد قام جيش جلالتنا بمحاولات عديدة لإخضاعها بالإغارة عليها عدة مرات ، ومن هذه المحاولات ما قام به الحاكم العسكري صاحب الصدارة ارهابونيتس Arrhaboniitis حيث خربها تخريباً كبيراً . وما فعله الشريف ثيوفيلوس الحاكم العسكري الحالي لمدينة ثيودوسيبوليس وأسره عدداً كبيراً من أهلها وإحراق قراها ، وفي الوقت نفسه لم يحاول القربلاط الإغارة عليها في أي وقت . والآن بعد أن دمرنا هذه القرى تماماً يزحف عليها الإيبيريون ويدخلونها ويحاولون امتلاكها . ولكن القربلاط بعد أن تلقى إنذارات متعددة من الشريف ثيوفيلوس وتيقن أنه لن يصمد أمام الرومان وأن بقاءه أصبح أمراً ميئوساً منه ، أعلن خضوعه وصار تابعاً مطيعاً لجلالتنا وأودع ابنه رهينة عندنا .

ومن ناحية أخرى فقد كانت مدينة ماستاتون تابعة لأهالي مدينة ثيودوسيبوليس وعندما تعذر على يوحنا كوركواس أخذها عنوة بعدما حاصرها سبعة أشهر . أرسل بعض رجاله إلى مدينة ماستاتون ففتحوها وتولى أمرها صاحب الصدارة بتروناس بويلاس Petronas Boilas

الذي كان يشغل في هـــذا الوقت منصب قائد مدينـــة نيقوبوليـــس Nicopolis . ولكن الماجستر بانكراتيوس الذي انضم إلى حملـــة الماجستر يوحنـــا في ثيودوسيبوليس ، كان على وشك التقاعـــد ، لذلك توسل إليه أن يعطيه مدينة ماستاتون ، وأخذ على نفسه عهـــداً كتابياً بالدفاع عنها وعدم سقوطها في يد المسلمين . وقال بانكراتيوس أنه مسيحي وتابع للإمبراطور . وقد وثق به يوحنا ومنحه المدينـــة ، ولكنه خان العهد وأعادها إلى أهالي تيودوسيبوليس . وعندما سقطت هذه المدينة في أيدينا ، أسرع الإيبيريون وزحفوا إلى ماستاتون واستولوا عليها .

لكل ما تقدم من أسباب فليس للإيبيريين الحق في المطالبة بمدينة ثيودوسيبوليس أو بمدينة ابنيكون . ورغم هذا كله ، وحيـــث أن القربلاط هو خادمنا المخلص وصديقنا الذي نثق بنزاهته وعدله ، فإنه بناء على طلبه نأمر بأن تكون حدود فازيان هي نهر أراكس المسمـــى أيضاً فازيان وبأن يمتلك الإيبيريون الأجزاء التي تقع على الجانـــب الأيسر باتجاه الليريا Illyria ، وأن كل الأجزاء التي تقع في الجانب الأيمن باتجاه مدينة ثيودوسيبوليس ، سواء أكانت قرى أو مدنـــاً ، تكون خاضعة تماماً لجلالتنا وتحت سلطاننا . ويشكل النهر حداً فاصلاً بين الجانبين مثلما قال يوحنا كوركواس وأعلن أنه من الأفضـــل أن يكون نهر أراكس هو الحد الفاصل بين الجانبين .

والمهم أن القانون لا يعطي الحق للقربلاط في أن يبسط نفوذه على أي جانب من جانبي النهر لأن كل قرى مدينة ثيودوسيبوليس قـــد أحرقت وأسر أهلها بجهود جيش جلالتنا ، في الوقت الذي لم يقم فيه الإيبيريون بالإغارة على المدينة ، وليس هذا فحسب فقد كانوا دائماً

يحتفظون بروابط الصداقة مع أهل المدينة ويتبادلون التجارة معهم ، وكانوا في قرار أنفسهم ومن أعماق قلوبهم يعارضون سيطرتنا على المدينة . وكيفما كان الأمر ونظراً لحبنا للقربلاط ، كما سبق أن أشرنا ، فقد وافقنا على أن يكون نهر اراكس أو فازيس حداً فاصلاً بين الجانبين ، وعلى الإيبيريين أن يكتفوا بالسيطرة على هذا الجزء ولا يطالبون شيئاً آخر .

٤٦ ـ أصل الايبيريين ومدينة أردانوتزي Ardanoutzi

ورث سمبات الكبير الإيبيري ولدان ، هما بانكراتيوس Pankratios الذي حكم مدينة أردانوتزي ، وداود (المقدس) الذي ورث بقية ايبريا . وكان لبانكراتيوس ثلاثة أبناء هم : أدراناسير Adranaser وكوركنيوس Kourkenios وآشوط ، وهم الذين اقتسموا الحكم فيما بينهم بعد وفاة أبيهم . وكانت مدينة اردانوتزي من نصيب إبنه كوركينوس ، ولكنه مات دون أن ينجب أبناء ، فتولى أمر المدينة أخوه آشوط ويدعى أيضاً كيسكازيس Kiskasis . وقد زوج آشوط هذا ابنته للماجستر كوركينوس[1] الذي تعاظم نفوذه وقوي سلطانه ، فأعلن الثورة وأبعد حماه عن حكم أردانوتزي ، وأعطاه بدلاً منها تيروكاسترون Tyrokastron ومنطقة نهر أتزاراس Atzaras الذي يشكل حدود الرومان عند كولورين Kolorin . وكان الماجستر آشوط متزوجاً من أخت الماجستر جورج George حاكم الأبازجيانيين[2] . لذلك وقف آشوط إلى

---

(١) ذكره المؤلف من قبل على أنه أخ لآشوط ، وأن كوركنيوس لم ينجب أولاداً . ثم عاد وذكره على انه زوج ابنة آشوط . ولا يعقل أن يتم زواج العم من ابنة أخيه ولعل الاسم الثاني اسم لشخص آخر .

(٢) حكم من ٩١٦ ـ ٩٦٠ م .

جانب جورج عندما قام الصراع بينه وبين كوركنيوس . وعندما انتصر الأخير استولى على الأراضي التي أعطاها إلى آشوط ونفاه فلجأ إلى الابازجيانيين .

وبعد وفاة كوركنيوس تولت زوجته – ابنة آشوط – حكم مدينة أدرانوتزي باعتبارها وريثة لوالدها . واندلعت الحرب بين القربلاط آشوط وأخيه الماجستر بانكراتيوس والماجستر جورج حاكم الأبازجيانيين ، ثم توصلوا إلى تسوية فيما بينهم تقضي بأن يستولي كل منهم على ما يجاور ملكه من أراضي كوركنيوس ، وهنا أسرع سمبات إبن داود إلى أرملة الماجستر كوركنيوس لأن مدينة أردانوتزي تجاور أملاكه أيضاً ، وانضم إلى المتنافسين على المدينة ، وأوضحوا للأرملة أنها لا تستطيع الاحتفاظ بالمدينة باعتبارها امرأة ، وانتهى الأمر بأن استولى سمبات على المدينة وعوض الأرملة ببعض الأراضي الأخرى .

وهؤلاء الإيبريون ينتسبون إلى بعضهم البعض بالروابط التالية : فأم داود وأم القربلاط أدراناسير – والد القربلاط الحالي آشوط – كانتا إبنتين لأخوين ، أي أنهما كانتا ابنتي عم . وقد تزوج سمبات ابن داود ابنة الماجستر بانكراتيوس والد أدراناسير الذي تزوج أخت سمبات بن داود .

ومدينة اردانوتزي حصينة وبها وسائل دفاع قوية ، ويتبعها مساحة كبيرة من الضواحي ، وتأتي إليها تجارة إيبريا وابازجيا وأرمينية وسوريا ، وتحصل المدينة على دخل كبير من الرسوم الجمركية التي تحصلها نظير دخول هذه التجارة إلى أراضيها [١] . والريف التابع

---

(١) لعل الاهمية الاقتصادية لهذه المدينة هي السبب الرئيسي في الصراع عليها بين الامراء .

٤٦
للمدينة الذي يسمى أرزن Arzyn يحتوي على مساحـــة كبيرة مـــن الأراضي الخصبة وهو مفتاح إيبريا وابازجيا ومسخيان Mischians .

على أية حال كان الإمبراطور رومانوس طيب الله ثراه قد أرسل الشريف الأدميرال قسطنطين ومعه رداء الماجسترية إلى كورنيـــوس الإيبري رمزاً للقب الماجستر . وعندما بلغ قسطنطين مدينة نيقوميديا كان الراهب أجابيوس أف كيميناس Agapios of Kyminas ، عائداً من بيت المقدس بعد الوفـــاء بأحـــد النذور . وقـــد عرج هـــذا الراهب في الطريق عـــلى إيبيريا ودخـــل إلى مدينة أردانوتزي حيث قابله آشوط وزوج ابنته كوركنيوس ، وقد ناشده الإثنان بالله وبقوة الصليب المقدس الذي يهب الحياة ؛ بأن يذهب إلى القسطنطينية ويبلغ الإمبراطور ليرسل من يستولي على المدينة ويجعلها تحت سلطانه . وقد جاء الراهب إلى القسطنطينية وأبلغ الإمبراطور بما قاله آشوط . ولما كان الأدميرال قسطنطين لا يزال في مدينة نيقوميديا ولم يغادرها حتى هذا الوقت لتنفيذ المهمة الموكولة إليه ، فقد وصلته رسالة الشريف سيمون رئيس المستشارين الإمبراطوريين تبلغه أن الإمبراطور المقدس يأمره بترك المهمة التي كلف بها ويسرع إلى الشريف آشوط ويستولي على مدينة اردانوتزي ، لأن آشوط طلب على لسان الراهب أجابيوس أن يرسل له الإمبراطور أحد رجاله المخلصين المقربين ليتسلم المدينة . وجاء في الرسالة أيضاً بأن على قسطنطين التوجه إلى خالديا ويأخذ معه بعض الضباط المعروفين بالمهارة والشجاعة والثقة ويتجه بهم إلى اردانوتزي ويستولي عليها .

واتجه قسطنطين إلى خالديا وأخذ معه بعض الضباط والقـــواد المعروفين بشجاعتهم وقدرتهم القتالية العالية وعدداً من الجنود ، بلغ

عددهم ثلاثمائة رجل وسار إلى إيبريا . وعرف بأمرهم داود شقيق آشوط قربلاط إيبريا . وسأل داود قسطنطين عن الجهة الموفد إليها من قبل الإمبراطور والمهمة الموكولة إليه وسبب قدوم كل هذا العدد من الرجال . ولما كان أدراناسير القربلاط قد مات ، شك أولاده بـأن الإمبراطور بصدد الإنعام على ابن عمهم كوركنيوس برتبة القربلاط في الوقت الذي يدور الصراع بينهم وبين ابن عمهم . يضاف إلى ذلك أن كوركنيوس كان قد أرسل وزيره بهدية عظيمة إلى الإمبراطور طالباً منه أن ينعم عليه بلقب القربلاط أو الماجستر . ومن هنا ظن الأخوة الأربعة أبناء أدراناسير أن الشريف قسطنطين جاء لينصب كوركنيوس قربلاطاً :

وقد تعلل الشريف قسطنطين بأنه جاء لينعم علـى كوركنيوس بلقب ماجستر ومن أجل ذلك أحضر معه هذا العدد من الرجال ، وواصل طريقه إلى كوركنيوس ومنحه لقب ماجستر وأبلغ قسطنطين كوركنيوس بأنه سيتجه إلى الماجستر داود لتقـديم بعض هدايـا الإمبراطور إليه ، وبعدها دخل قسطنطين مدينة اردا نوتزي مدينـة أشوط لبعض أعمال أخرى .

وأبلغ قسطنطين أشوط بأنه يحمل أمراً إمبراطورياً لا يتضمن أية إشارة إلى مدينة أردانوتزي ، ولكن الراهب أجابيوس أبلغ الإمبراطور بكل ما عرضه آشوط عليه بشأن المدينة ولهذا السبب حضر قسطنطين للاستيلاء على المدينة ، وليضع بها الرجال الذين أحضرهم معه .

ولما كان الشريف آشوط في صراع مع زوج ابنته كوركنيوس ، فقد فضل أن يسلم المدينة للإمبراطور . وبما أن الشريف قسطنطين كان قد أحضر معه أعلام الإمبراطورية ، فقد قدم واحد منهـا إلى

آشوط الذي ثبته على رأس حربة ثم سلمها للشريف قسطنطين طالباً منه أن يثبت العلم في أعلى السور حتى يعرف الجميع أنه في ذلك اليوم أصبحت هذه المدينة من أملاك الإمبراطور . وفعل قسطنطين ووضع العلم في أعلى موضع بالسور وأمر الجنود بأداء التحية التقليدية لإمبراطور الرومان ، حتى يكون معلوماً لدى الجميع أن آشوط أهدى مدينة أردانوتزي للإمبراطور . أما الأخ الأكبر داود فلم يقدم أية عروض تتعلق ببلاده ، مع أنها تشترك في الحدود مع بلاد أكامبسيس Akampsis ومورجولي Mourgouli .

وقد أرسل الشريف قسطنطين تقريراً في رسالتين ، ورد في الأولى خبر الإنعام على كوركنيوس بلقب ماجستر وكيف تقبل هذا اللقب وكيف قام بتحية الإمبراطور . وتضمنت الرسالة الثانية الأخبار المتعلقة بمدينة أردانوتزي وكيف استولى عليها من الشريف آشوط والعداوة القائمة بينه وبين زوج ابنته الماجستر كوركنيوس ، ومطالبة الإمبراطور بإرسال مدداً لحامية المدينة ، وضرورة حضور القائد المسؤول إن أمكن ذلك .

وعندما علم الإيبيريون والماجستر كوركنيوس والماجستر داود بما فعله الشريف قسطنطين ، كتبوا للامبراطور يقولون : « صاحب الجلالة الإمبراطور ، إن كنت موافقاً على ما فعله قسطنطين وعلى دخوله ورجاله بلادنا ، فإننا ننهي تبعيتنا وخضوعنا لجلالتكم ونتحالف مع المسلمين ونعلن الحرب على الرومان ، وسوف نستخدم القوة ونرسل جيشاً لضرب مدينة أردانوتزي وضرب الرومان أنفسهم » .

ولما علم الإمبراطور بما حوته الرسائل التي أرسلها الأمراء المذكورون وسمع هذه الأخبار من الرسل الذين أوفدوهم ، خشي أن يتحالف

٤٦
الإيبيريون مع المسلمين ويحرضوا جيوشهم ضد الرومان ، لذلك أنكر علمه بما حدث وأعلن أنه لم يكتب بذلك إلى الشريف قسطنطين [١] ، ولم يطلب منه أن يستولي على المدينة وقراها ، وأنه تصرف من تلقاء نفسه بحماقة وجهل ، وبذلك أرضى الإمبراطور الإيبيريين . ثم تلقى قسطنطين أمراً إمبراطورياً مليئاً بالسباب والتهديد جاء فيه : « من الذي أمرك بأن تفعل ما فعلت ؟ اخرج من هذه المدينة وأحضر معك آشوط ابن القربلاط الراحل ادراناسير ، واصطحبه معك إلى هنا حتى ننعم عليه برتبة والده القربلاط » .

وعندما تسلم قسطنطين هذه الأوامر ترك آشوط في مدينة أردانوتزي وسار إلى داود وسلمه الأمر الإمبراطوري ثم عاد ودخل إيبريا ، وهناك إجتمع مع الماجستر كوركنيوس والماجستر داود ، وقد تشاجرا معه وكالا له السباب والإهانات وقالا له : « أنت شخص ماكر وخبيث وشرير لأنك لم تفصح لنا عن المهمة التي جئت من أجلها بخصوص مدينة أردانوتزي وإنك جئت من أجل الاستيلاء عليها » . وأضافا : «إن السياسة التي ينتهجها الإمبراطور لم تكن ترمي للاستيلاء على هذه المدينة وقد أرسلنا تقريراً للإمبراطور بما حدث ، وجاء الرد بأن الإمبراطور لا يعلم شيئاً بهذا الأمر ، وأنك فعلت ذلك لأنك تحب الشريف آشوط » . وقد دافع الشريف قسطنطين عن نفسه دفاعاً منطقياً ثم أخذ آشوط ابن القربلاط أدراناسير وصحبه إلى القسطنطينية ، وأنعم عليه الامبراطور بلقب القربلاط .

---

(١) ان ما اورده المؤلف من ان الامبراطور رومانوس تنكر للاوامر التي سبق له اصدارها ، يشير الى حرص الاباطرة البيزنطيين على ارضاء الامراء الارمن وعدم اغضابهم حتى يكونوا في خدمة البيزنطيين في مواجهة المسلمين .

٤٦ ـ ٤٧

وهذه هي الأحداث التي جرت في أوقات مختلفة بين الرومان والأمم المختلفة ، لأن هذه الأحداث تستحق التسجيل ويجب أن تقرأها وتكون على علم بها ، حتى إذا تصادف ووقعت أحداث مثلها وفي ظروف مشابهة لها ، فإنه بمعرفتك السابقة بها تستطيع أن تعالجها .

٤٧ ـ تاريخ هجرة القبارصة

عندما سيطر المسلمون على جزيرة قبرص ، ظلت الجزيرة مهجورة وخالية من السكان لمدة سبع سنوات ، وبعدها أتى رئيس الأساقفة يوحنا مع قومه إلى القسطنطينية . وفي المجمع المقدس السادس أصدر الإمبراطور جستنيان [1] قراراً استثنائياً جاء فيه : يأخذ يوحنا والأساقفة وأهالي جزيرة قبرص مدينة قيزيقوس ، وتكون لـه سلطة تعيين الأساقفة إذا خلت أية أسقفية ممن يشغلـون هذا المنصب ، ولا يتدخل أحد للحد من سلطة وحقوق أهل قبرص ، لأن جستنيان نفسه كان قبرصياً كما تؤكد الرواية التي رواها القبارصة وما زالوا يصرون عليها حتى ذاك الحين . ولهذا أعطي لرئيس أساقفة قبرص حق تعيين

---

(١) هناك مجمعان يعرفان باسم المجمع السادس : احدهما عقد عـام ٦٨٠ ـ ٦٨١ م وهو مجمع ترولو Trullo والثاني عقد ٦٩٢ م ويعرف باسم كوينيسكستوم Quinisextum ٠ انظر ٠
Ostrogorsky, op. cit., p. 122 .

والمقصود هنا المجمع الذي عقد عام ٩٦٢ م لان التاريخ يعاصر حكم الامبراطور جستنيان الثاني ٦٨٥ ـ ٦٩٥ ، ٧٠٥ ـ ٧١١ م٠ورغم ان المؤلف لم يذكر كلمة الثاني الا أن الباحث يرى أن ذلك هو الصواب لان جستنيان الاول حكم قبل ظهور الاسلام ٠ وقد أورد المؤلف جانبا من العلاقات الاسلامية مع جستنيان الوارد هنا ، فيكون المقصود به جستنيان الثاني ٠

رئيس أساقفة قيزيقوس ، ونجد ذلك مسجلا في الفصل التاسع والثلاثين من قرار المجمع السادس المقدس .

وحدث بعد سنوات وبمشيئة الله أن تحمس الإمبراطور لتعمير قبرص وإعادة أهلها إليها ، فأرسل إلى أمير المؤمنين في بغداد (١) ثلاثة من القبارصة البارزين في حماية مندوب إمبراطوري اشتهر بالذكاء والفطنة ، وكتب الإمبراطور إلى أمير المؤمنين يطلب منه أن يبعث بأهالي جزيرة قبرص من سوريا ليعودوا إلى جزيرتهم . وقد وافق أمير المؤمنين على ما جاء في رسالة الإمبراطور ، وأرسل مسلمين أجلاء إلى كل أنحاء سوريا وجمعوا القبارصة وأرسلوهم إلى جزيرتهم . كما قام الإمبراطور من جانبه بإرسال مندوب إمبراطوري لجمع القبارصة الذين استقروا في أرض الروم أي قيزيقوس وفي كبيرهايوت Kibyrrhaeots وفي مقاطعة تراكسيان Thrakesian وإرسالهم إلى قبرص ، وبذلك عمرت قبرص وأصبحت آهلة بالسكان (٢) .

---

(١) تقع هذه الاحداث بعد تاريخ المجمع السادس أي بعد عام ٦٩٢ م. وفي عهد جستنيان الثاني . وهو يعاصر عبد الملك بن مروان ٦٨٥ ـ ٧٠٥م وبعده الوليد ٧٠٥ ـ ٧١٥ م وبذلك تكون دمشق لابغداد مقر أمير المؤمنين .

(٢) راجع المعاهدة التي عقدها جستنيان الثاني مع عبد الملك بن مروان في الموضوع رقم (٢٢) ويرى الباحث ان هذه المعاهدة الواردة في هذا الموضوع متممة لما ورد في الموضوع (٢٢) لان ما ورد في المعاهدة السابقة من النص على اقتسام المسلمين والبيزنطيين ضرائب قبرص ، وما ورد في هذا الموضوع يتعلق ايضا باعادة أهل قبرص يؤيد هذا الراي .

٤٨

٤٨ ـ الفصل التاسع والثلاثون من المجمع المقدس الذي عقد في القاعة المقبية في القصر الكبير

حيث أن أخانا القسيس يوحنا ، رئيس أساقفة جزيرة قبرص ، قد هاجر مع قومه من تلك الجزيرة إلى مقاطعة هيلسبونت Hellespont بسبب الغارات البربرية التي شنها المسلمون ، وحتى يتحرروا من عبودية هؤلاء .... ، وحتى يكونوا أتباعاً مخلصين لصاحب الجلالة الإمبراطور المسيحي المتدين ، وبرحمة من الله وبالعمل الجاد للإمبراطور الورع المحب للسيد المسيح نقرر أن الامتيازات التي وافق عليها الآباء بوحي من الله للعرش الإمبراطوري عند اجتماعهم في مدينة إفسوس.[1] Ephesus يجب المحافظة عليها دون المساس بها . كما أن مدينة جستنيان تكون لها الحقوق التي تتمتع بها مدينة قسطنطين ، وأن الأسقف التقي الورع الذي نصب عليها يرأس جميع أساقفة مقاطعة هيليسبونت ويختاره أساقفته وفقاً للتقاليد القديمة ، لأن آباءها الملهمين من الله قد قرروا المحافظة على التقاليد في كل الكنائس ، وأن أسقف مدينة قيزيقوس يكون تابعاً لأسقف مدينة جستنيان كما يخضع بقية الأساقفة لرئاسة وإشراف القسيس يوحنا . وإذا دعت الحاجة فإن القسيس يوحنا يعين أيضاً أسقف مدينة قيزيقوس نفسها .

والآن فإنني أضع أمامكم بدقة الأمور المتعلقة بالأمم الأجنبية،ومن الصواب أن تكون يا بني على علم بالتطورات التي جرت ، ليس فقط

(١) عقد في مدينة افسوس مجمعان احدهما عام ٤٣١ م ويعرف باسم المجمع الثالث العام ، والثاني عقد عام ٤٤٩ م . انظر :
Ostrogorsky, op. cit., pp. 54 - 5 .

في الشئون المتعلقة بمدينتنا بل بتلك التي حدثت في أوقات مختلفة في كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية ، حتى تكون معلوماتك كافية ، وتحت يديك كل التفاصيل وتكون جديراً بحب رعاياك .

ففي عهد قسطنطين بن قسطنطين الملقب ببوجوناتوس [١] Pogonatus هرب شخص يدعى كالينيكوس Callinicus من مدينة هليوبوليس [٢] Helioupolis والتجأ إلى الرومان وصنع النار السائلة[٣] التي ترمى من الأنابيب . وهي النار التي مكنت الرومان عند عند استخدامها من تمزيق أسطول المسلمين في قيزيقوس وانتصروا عليهم [٤] .

٤٩ ـ لمن يسأل كيف دان السلاف بالتبعية وأعلنوا خضوعهم لكنيسة باتراس فإنه يجد معلومات عن هذا الموضوع فيما يلي :

عندما كان نقفور [٥] يجلس على عرش الرومان ، ثار السلاف الذين كانوا يقيمون في إقليم البلوبونيز Pelopnnesus ، وقاموا بنهب مساكن جيرانهم اليونانيين ثم اتجهوا بعد ذلك إلى سكان مدينة باتراس Patras ، ونهبوا وخربوا السهول التي تواجه سور المدينة ثم حاصروا

(١) ٦٦٨ ـ ٦٨٥ م .

(٢) هي مدينة بعلبك .

(٣) انظر الموضوع رقم (١٣) وما ورد به من معلومات حول هذا الموضوع بطريقة أسطورية .

(٤) يقصد بها حملة مسلة على القسطنطينية . انظر الموضوع (٢١) .

(٥) المقصود به نقفور الاول ٨٠٢ ـ ٨١١ م لانه لا يوجد امبراطور غير هذا حكم قبل عصر المؤلف .

المدينة نفسها ، وتم ذلك بمساعدة المسلمين القادمين من أفريقيا [١] وعندما طال الحصار بدأت المجاعة تنتشر بين المحاصرين داخل أسوار المدينة بسبب نقص الماء والطعام فاجتمعوا للمشورة ، واتفقوا على اقتراح يقضي بالتوصل إلى شروط مناسبة والحصول على وعود أكيدة بالأمـــان ، ثم يسلمون المدينة بعد ذلك ، لأن الحاكم العسكري في تلك الأوقات كان موجوداً في مدينة كورنثه Cornith في أقصى أطراف الإقليم ، وكان المفروض عليه أن يعود ويهزم السلاف ،وبخاصة أن النبلاء أبلغوه بخبر الهجوم على المدينة منذ بداية الأمر .

ولكن أهالي المدينة قرروا أولاً ، إرسال كشاف إلى الجانـــب الشرقي للجبال ليتجسس ويستطلع ما إذا كان الحاكم العسكري قادماً أم لا . واتفقوا مع هذا الكشاف على علامة تفيد أنه إذا رأى الحاكـــم العسكري قادماً ، فإنه ينكس العلم وهو في طريق العودة حتى يعلـــم زملاءه بنبأ قدوم الحاكم العسكري . أما إذا كان الحاكم العسكري غير قادم فعليه أن يبقي العلم مرفوعاً وبذلك يحاط زملاؤه علماً بأنه لا أمل في قدوم الحاكم ولا يتوقعون مساعدته . وعندما ذهب الكشاف لم يجد الحاكم العسكري قادماً إليهم ، فكر عائداً وهو يرفع العلم في يده . وقد حدث بأمر الله وبشفاعة القديس الرسول آندرو Andrew أن كبـــا الحصان وسقط الرجل من فوق ظهره ونكس العلم بدون إرادته .

وعندما شاهد أهل المدينة هذه العلامة ، اعتقدوا أن الحاكم العسكري

---

(١) لعل المقصود بهم الربضيون الذين غزوا جريرة كريت عام ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م راجع ما سبق الموضوع رقم (٢٢) ٠ وأن هذه الاحداث لم تقع فـــي عصر نقفور كما أشار المؤلف ، وانها حدثت في عصر لاحق كما أوضحها المؤلف بنفسه مرة اخرى في الموضوع رقم (٥٠) ٠

في طريقه إليهم دون أدنى شك ، ففتحوا بوابات المدينة وحملوا عـــلى أعدائهم السلاف بشجاعة وجرأة ، وشاهدوا الرسول أندرو أمام أعينهم وقد ركب حصاناً وهو يحمل على البرابرة حتى سحقهم ومزق جموعهم وأجبرهم على الإنسحاب إلى خارج المدينة ولاذوا بالفرار . وذهل البرابرة ودهشوا حين رأوا ذلك المحارب وهو القائد والمارشال المنتصر المظافر أندرو الرسول ، الذي لا يغلب ولا يقهر وهو يشن عليهم هجمـــات شديدة قاسية ، فتفرقت صفوفهم واضطربوا ودب الرعب في قلوبهم ، وهربوا ولجأوا إلى قبره المقدس [١] .

وقد وصل الحاكم العسكري إلى المدينة بعد هزيمة السلاف بثلاثـــة أيام وعلم بانتصار الرسول ، ثم أرسل تقريراً للإمبراطور نقفور عن غارة السلاف وعن النهب والتخريب الذي ألحقوه بالمراعي والمزارع والأسرى وغير ذلك من فظائع ارتكبوها أثناء غاراتهم التي شنوها على نواحي آكيا Achaea وعن حصارهم لمدينة باتراس عـــدة أيـــام والمتحالفين معهم في الهجوم على سكان المدينة ، هذا بالإضافة إلى العون الإلهي لأهالي المدينة في المعركة ، والنصر الذي حققه الرسول أنـــدرو ، وكيف ظهر لهم وهو يحمل على الأعداء ومطاردته لفلولهم والتجاؤهم إلى قبره طلباً للسلام .

وعندما علم الإمبراطور بهذه الأنباء أصدر أوامره التالية : بما أن هزيمة الأعداء وتحقيق النصر التام تم على يد الرسول أندرو ، فإن من واجبنا أن نرد إليه كل الغنائم بما فيها أسلحة العدو . ثم أمر بأيلولـــة أســـرى الأعداء وعائلاتهم وأقاربهم وكل ممتلكاتهم لقبر الرسول في عاصمتـــه

(١) جانب من الاساطير التي ادخلها المؤلف في موضوعات الكتاب .

٤٩ ـ ٥٠

بتراس ، حيث قام حواري السيد المسيح بهذه المأثرة النضالية ، ثم أصدر أمراً رسمياً يحتوي على هذه البنود في المدينة نفسها .

هذه الأحداث غير مدونة وقد رواها الأقدمون شفاهة ، حتى يعرف الجيل التالي بهذه المعجزة التي حدثت بشفاعة الرسول ، وحتى يرووها لأبنائهم فلا ينسون إطلاقاً النعمة التي أنعم الله بها عليهم من خلال مساعدة الرسول لهم .

ومنذ ذلك الوقت فإن السلاف الذين كرسوا لخدمة المطرانية قد عوملوا معاملة رهائن الحاكم العسكري والمندوب الإمبراطوري والمبعوثين من الأمم المتخلفة . وكان لهم خدمهم وطهاتهم الذين يعدون لهم الطعام ، ولم يتدخل المسؤولون بالعاصمة في أي شأن من شؤونهم ، وكان السلاف أنفسهم يجمعون المال اللازم لفديتهم من رواتبهم والتضامن مع بعضهم البعض . كما أن ليو صاحب الذكرى الطيبة والإمبراطور الحكيم أصدر أمراً رسمياً يتضمن بنوداً تفصيلية بما هم مطالبون به ، كما تضمن أمر آخر ، منع الإمبراطور من تسخيرهم أو إيذائهم بأية وسيلة من الوسائل .

٥٠ ـ السلاف في اقليم البلوبونيز ، والميليجوى والازريتاي والجزية التي يدفعونها ، وسكان مدينة مانيا والجزية التي يقدمونها

ثار السلاف في إقليم البلوبونيز في عهد الإمبراطور ثيوفيلوس وإبنه ميخائيل [١] ، واستقلوا عن الإمبراطورية ، وأخذوا يخربون وينهبون

(١) ثيوفيلوس ٨٢٩ ـ ٨٤٢ م ، ميخائيل وهو الثالث المعروف بالسكير ٨٤٢ ـ ٨٦٧ م واهمية هذه التواريخ في هذا الموضع هو التعرف على تاريخ وقوع هذه الاحداث . راجع ما سبق ص ١٨٣ حاشية (١) .

ويسلبون ويسرقون ويحرقون ويسترقون الأهالي ، وفي عهد ميخائيل بن ثيوفيلــوس أصبح صاحب الصـــدارة تيوكتستوس برينيــوس[١] Theoctistus Bryennius حاكمــاً عسكرياً لإقليم البلوبونــيز ، فسار ومعه قوة كبيرة من رجال تراقيا ومن المقدونيين وبقية الأقاليم الغربية لمحاربة الثائرين وإخضاعهم . وقد نجح الحاكم العسكري في إخضاع جميع السلاف وبسط سيادته عليهم ، وعلى كل المتمردين في إقليم البلوبونيز عدا الميليجوى والأزريتاي باتجــاه لاكيدايمــونيــا Lacedaemonia وهيلوس Helos . وسبب ذلك وجود جبل كبير ومرتفع جداً يسمى جبل بنتاداكتيلوس Bentadaktylos يــبرز في البحر لمسافة بعيدة كرقبة طويلة ، هذا بالإضافة إلى شدة وعورة المنطقة وأنهم يسكنون على سفوح ذلك الجبل ، فيقطن الميليجوي في جانب ، والأزريتاي في الجانب الآخر .

وأخيراً نجح تيوكتستوس في إخضاع هؤلاء أيضاً ففرض عليهــم الجزية ، وخص الميليجوى بدفع جزية قدرها ستون نوميسماتاً ، وفرض على الأزريتاي جزية قدرها ثلاثمائة نوميسماتاً ، وظلوا يدفعون الجزية طالما بقي تيوكتستوس حاكماً عسكرياً في البلوبونيز حسب رواية سكان نفس الإقليم[٢] .

وحدث في عهد الإمبراطور رومانوس أن أرسل صاحب الصدارة

(١) لعب دورا كبيرا في عصر الاسرة العمومية خاصة فــي عصر ميخائيل الثالث لمزيد من التفاصيل انظر :
C.M.H. IV Part I, pp. 105 - 8 .

(٢) مصدر يستقي منه المؤلف مادته التاريخية ٠

٥١

يوحنا بروتيون John Proteuon — الحاكم العسكري لنفس الإقليم تقريراً [١] للإمبراطور رومانوس يتعلق بالميليجوى والأزريتاي ، ورد فيه أنهم تمردوا على الحاكم العسكري وعصوا الأوامر الإمبراطورية واستقلوا بحكم أنفسهم ، وأنهم لم يتقبلوا رئيساً عليهم يعينه الحاكم العسكري ، ولا يكترثون بأوامره لأداء الخدمة العسكرية تحت قيادته ولا يدفعون المستحقات الواجبة عليهم للخزانة[٢] .

وعندما وصل تقرير الحاكم العسكري وتلي في حضرة الإمبراطور رومانوس ، عرف بتمرد السلاف وعصيانهم للأوامر الإمبراطورية وإنهم قطعوا شوطاً بعيداً في عصيانهم وتمردهم ، لذلك عين كرينيتس أروتراس Krinitis Arotras حاكماً عسكرياً لإقليم البلوبونير وكلفه بمحاربة الثائرين وقهرهم وإخضاعهم أو إبادتهم . وبدأ الحاكم العسكري الجديد في شن الغارات عليهم في شهر مارس فأحرق محاصيلهم وخرب كل أراضيهم ، ولكنهم ظلوا يقاومون ويدافعون حتى شهر نوفمبر . وعندما وجدوا أنهم على وشك الهلاك ، طلبوا الصلح وتوسلوا إلى الحاكم العسكري للدخول في مفاوضات من أجل إعلان إستسلامهم وخضوعهم وندمهم على سوء تصرفهم .

---

(١) مصدر آخر يأخذ عنه المؤلف ٠

(٢) اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ هذه الثورة ٠ فالبعض يرى انها وقعت في ٩٣٤ ــ ٩٣٥ م والبعض الآخر في عام ٩٤٣ م ٠ انظر :

Runciman, The Emperor Romanus, pp. 73 - 4 and the notes .

واذا ما ربطنا بين هذه الثورة وبين ما ذكر عن أهل البلبونيز ورفضهم الخدمة في لمبارديا الموضوع (٥١) تكون هذه الثورة وقعت في عام ٩٣٤ ــ ٩٣٥ م ٠

٥١ وانتهى الأمر بأن فرض عليهم الحاكم العسكري جزية أكبر من التي كانوا يدفعونها من قبل ، ففرض على الميليجوى خمسمائة وأربعين نوميسماتاً علاوة على الستين التي كانوا يدفعونها من قبل . كما فرض على الأزريتاي ثلاثمائة بالإضافة إلى الثلاثمائة التي كانوا يدفعونها من قبل ،وبذلك أصبح مجموع ما يؤديه كل منهما ستمائة نوميسماتا ، وكان كرينيتس يجمعها ويرسلها إلى خزانة الإمبراطورية .

وعندما نُقل كرينيتس إلى إقليم هيلوس وحل محله بارداس بلاتيبوديس Platypodis كحاكم عسكري في إقليم البلوبونيز ، اضطربت الأحوال هناك وقامت المنازعات بسبب سوء إدارة بارداس ومن انحاز إلى جانبه من النبلاء الرومان ، وقد أدى هذا إلى طرد صاحب الصدارة ليو أجلاستوس Leo Agelastos من الإقليم .

وانتهز السلاف الفرصة وشنوا هجوماً على الإقليم وأرسلوا — أي الميليجوى والأزريتاى -- إلى الإمبراطور رومانوس يطلبون منه ويتوسلون إليه أن يعفو عنهم ويرفع الزيادة التي أضيفت إلى الجزية ، وأن يدفعوا فقط المبالغ التي كانوا يدفعونها من قبل ، ونظراً لأن السلاف كانوا قد دخلوا إقليم البلوبونير كما توضح من قبل ، فقد خشي الامبراطور أن يتحد السلاف في البلوبونير مع بقية السلاف ويلحقون بالإقليم الخراب والدمار ، لذلك أصدر الإمبراطور مرسوماً ذهبياً للسلاف الذين يسكنون البلوبونيز ، يقضي بأن يدفعوا الجزية التي كانوا يدفعونها من قبل،فيدفع الميليجوي ستين والأزريتاي ثلاثمائة نوميسماتا . وهذه هي أسباب زيادة جزية الميليجوى والأزريتاى والعفو عنهم .

وسكان مدينة ماينا Maina ليسوا من السلاف السابق ذكرهم ولكنهم ينحدرون من الرومان القدماء ، وحتى يومنا هذا يطلق عليهم اسم

الهيلليين Hellenes ، لأنهم كانوا في العصور القديمة وثنيين يعبدون الأصنام جرياً على عادة الهيلليين القدماء ، ثم عُمدوا وصاروا مسيحيين في عهد الامبراطور المعظم بازيل . والمكان الذي يعيشون فيه شديد الوعورة عديم الماء ، ولكن أشجار الزيتون تنتشر في كل مكان ، وهذا الموضع يقع على رأس ماليا Malea أي وراء إزرون Ezeron باتجاه الساحل . ولما كان هؤلاء يخضعون خضوعاً تاماً ويرضون بالرئيس الذي يختاره لهم الحاكم العسكري ويطيعون أوامره ، فإن الجزية التي كانوا يدفعونها وقدرها أربعمائة نوميسماتا لم تتغير منذ زمن طويل .

وقديماً كان إقليم قبدوقيا Cappadocia تابعاً ولاية الأناضول ، وإقليم كفلنيا Kephllenia أو الجزر تابعاً لولاية لومبارديا ، والأخير استقل في عهد الإمبراطور الورع ليو (١) .

وقديماً أيضاً كانت مقاطعة كالابريا دوقية تابعة لإقليم صقلية، وإقليم خرشنة Charsianon تابعاً لولاية أرميناكوى . وفي عهد الإمبراطور ليو تم نقل بعض الفرق العسكرية من ولاية بوكيلاريوى (٢) Boukeilarioi إلى ولاية قبدوقيا ، وهذه الفرق هي : حامية بارتيا Bareta ، وحامية بالبادونا Balbadona ، وحامية أسبونا Aspona ، وحامية أكاركوز Akarkous . ومن ولاية الأناضول إلى

---

(١) ليو السادس ٨٨٦ ــ ٩١٢ . ويعني ذلك أن هذا التعديل قد تم في هذه المرحلة ، ويلاحظ هنا ان المؤلف انتقل من موضوع الجزية الى موضوع الولايات والتعديلات التي طرأت عليها .

(٢) اسم لاحد الفرق العسكرية وعندما استقرت هذه الفرقة في آسيا الصغرى عرفت الولاية باسمها . انظر :

Runciman, Byzantine Civilization, p. 88 .

ولاية قبدوقيا نقلت حامية يودوكيا Eudokias ، وحامية هاجيس أجابيتوس Haghis Agapitos ، وحامية أفرازيا Aphrazeia . وهذه الفرق السبع قدمت منها أربع من بوكيلاريون وثلاث من الأناضول وشكلت ولاية جديدة تعرف الآن باسم كوماتا Kommata .

وفي عهد الإمبراطور ليو أيضاً نقلت بعض الفرق من ولاية بوكيلاريوي إلى ولاية خرشنة ، وهذه الفرق هي حامية مريوكيفالون Myriokephalon وحامية تيميوس ستوروس Timios Stauros ، وحامية برينوبوليس Berinoupolis ، وأصبحوا ولاية باسم سانيانا Saniana . كما نقل من ولاية أرمنياكوى إلى ولاية خرشنة حامية كومودروموس Komodromos وحامية طابيا Tabia . ومن ولاية قبادوقيا إلى ولاية خرشنة انضم إقليم كازي Kasi بأكمله بالإضافة إلى حامية نيسا Nyssa وحامية قيصرية .

وكانت ولاية خوزانون Chozanon قديماً في قبضة المسلمين كما كانت أيضاً ولاية أسموساتون Asmosaton . وكان أهالي ملطية يعبرون الحدود من خانزيت Chanzit وورومانوبوليس، وكانت الأراضي الواقعة فيما وراء جبل فاتيلانون Phatilanon ملكاً للمسلمين . وأما تكيس Tikis فكانت تخص مانويل Manuel ، كما كانت كماشا Kamacha نهاية إمدادات مدينة كلوني . أما ولاية كلتزيني فقد كانت تابعة لخالديا ، كما أن إقليم الجزيرة Mesopotamia لم يكن ولاية في ذلك الحين .

وكان الإمبراطور ليو قد استدعى مانويل من تكيس – بعدما أعطاه وعداً بالأمان – إلى القسطنطينية وأنعم عليه بلقب صاحب الصدارة . وكان لمانويل هذا أربعة أبناء هم : بانكراتوكاس Bankratoukas

وموادافار Moudaphar وأياخنوكاس Iachnoukas ويوحنا . وقد عين الإمبراطور ليو بانكراتوكاس قائداً لفرقة الهيكاناتي Hicanati ثم حاكماً عسكرياً في ولاية بوكيلاريوى . كما عين اياخنوكاس حاكماً عسكرياً في نيقوبوليس [1] Nicopolis . ومنح أيضاً موادافار ويوحنا إقطاعاً من أراضي التاج الإمبراطوري في طرابيزون وأنعم عليهم جميعاً بالألقاب والرتب .

ثم أنشأ ليو ولاية الجزيرة وعين أورستس Orestos الخزري حاكماً عسكرياً عليها ، وضم كلتزيني إلى ولاية الجزيرة . وكل هذه الأراضي خاضعة الآن لسلطان الرومان ، كما أضيف في عهد الإمبراطور رومانوس [2] مدينة رومانوبوليس وخانزيت لإقليم الجزيرة .

وفي عهد الإمبراطور ليو [3] أيضاً كانت لاريسا [4] Larissa أرضاً تابعة لإقليم سباسنيا Sebasteia ، وكيمبالايوس Kymbalaios أرضاً تابعة لولاية خرشنة . أما سيمبوزيون Symposion فكانت عبارة عن صحراء تجاور منطقة ليكاندوس Lykandos . واستدعى الإمبراطور ليو يوستاثيوس ارجيروس Eustathius Argyrus من المنفى وعينه حاكماً عسكرياً في خرشنة ، هذا في الوقت الذي كان ميلياس

---

(١) هناك ثلاث مدن بهذا الاسم احدها على نهر الدانوب ، والثانية على نهر ابرو في شبه جزيرة البلقان ، والثالثة غرب مدينة كلوني في آسيا الصغرى . والاخيرة هي المقصودة هنا لان الحديث عن ولايات آسيا الصغرى .

(٢) رومانوس ليكابينوس ٩٢٠ ـ ٩٤٥ م وهذا التعديل الطفيف هو الذي طرأ في عهده .

(٣) عودة الى حكم ليو وما طرأ من تعديلات في حكمه .

(٤) يوجد في البلقان مدينة بنفس الاسم ، والواردة هنا تقع في آسيا الصغرى شرق مدينة قيصرية .

Melias ، وباساكيوس Basakios وأخـــواه كريكوريكيـــوس وبازونيس Pazounis وإسماعيل الأرميني لاجئين في ملطية . وقـــد كتب هؤلاء اللاجئون إلى الإمبراطور وإلى ارجيروس حاكم خرشنـــة يطلبون الأمان في شكل مرسوم حتى يخرجوا من المنفى ، ويقيم باساكيوس وأخوته في لاريسا ، ويعين باساكيوس حارس حدود لنفس المدينـــة ، ويعين إسماعيل الأرميني حارس حدود مدينة سيمبوزيون وأن يعـــين ميلياس قائداً عاماً لأراضي أعالي الفرات بما فيها طريبيا Trypia والمناطق الصحراوية وقد تم لهم ما أرادوا .

ولكن أهالي ملطية طردوا إسماعيل ، لذلك ظلت سيمبوزين دون حراسة ، وعندما أتهم باساكيوس بالخيانة والتآمر ونفي ، عادت لاريسا مرة أخرى إلى سباستا ، وعين ليو أرجيروس بن يوستاثيوس حاكمـــاً عسكرياً هناك ثم رقي فيما بعد إلى ماجستر وعين قائداً عاماً ، وظـــل ميلياس في أعالي الفرات . وعندما عين قسطنطين في خرشنة ، جـــاء ميلياس هذا إلى مدينة ليكاندوس القديمة واستولى عليها وأعاد بناءهـــا وحصنها وجعلها مقراً له ، ثم أمر الإمبراطور ليو بأن تصبح المدينة منطقة حدود . وترك ميلياس مدينة ليكاندوس وعبر إلى جبل تزامانـــدوس Tzamandos ، وهناك أنشأ المدينة القائمة إلى الآن ، وقد أصبحـــت هذه المدينة أيضاً مدينة حدود ، ثم استولى ميلياس على مدينة سيمبوزيون وحولها إلى ولاية . وفي الفترة الأولى من عهد قسطنطين عندما كانت أمه زوي تشترك معه في الحكم [1] ، أصبحت ليكاندوس ولاية ، وكان الشريف ميلياس أول حاكم عسكري عليها ، وبذلك أصبح مراقب حدود المدينة . ونظراً للإخلاص الشديد الذي أظهره ميلياس تجـــاه

---

(١) هي الفترة من ٩١٣ ــ ٩١٩ م .

إمبراطور الرومان ، والإنجازات الباهرة التي حققها في قتاله مع المسلمين فقد أنعم عليه بعد ذلك بلقب ماجستر .

وكانت أبارا Abara إقليماً تابعاً لولاية سباستيا ، ولكنها أصبحت في عهد الإمبراطور رومانوس [١] منطقة حدود .

وفقاً للتقاليد القديمة كان الإمبراطور يعين القائد العام للمردة في أضاليا ، وعلى ذلك عين الإمبراطور ليو هناك ستوراكيوس بلاثيس Stauracios Platys قائداً عاماً ، وقد خدم ستوراكيوس بإخلاص لعدة سنوات،ولكنه صرف الأمور بطريقة سيئة في الفترة الأخيرة ، وحدث ذلك عندما أصبح صاحب الصدارة يوستاثيوس وكيلاً للحاكم العسكري لولاية كبيرهايوت ، فدبت الغيرة والحسد والتنافر بينهما . وفي بعض الأحيان كان ستوراكيوس — الذي يسانده وزير الخزانة الشريف هيمريوس Himerius الوسيط بينه وبين الإمبراطور — يتعامل مع يوستاثيوس بألفاظ بذيئة ويعارضه صراحة في الأمور التي يتصرف فيها أو يصدر أوامره في شئون ليست من اختصاصه. ومن ناحية أخرى كان يوستاثيوس يكره ستوراكيوس وكان يدبر له المكائد ويلفق له التهم الباطلة . ومنها أن يوستاثيوس أرسل تقريراً ضد ستوراكيوس يذكر فيه أن ولاية كيبرهايوت لا تحتمل حاكمين عسكريين ، هو وستوراكيوس القائد العام للمردة في أضاليا ، ففي الوقت الذي يصدر فيه يوستاثيوس مجموعة من الأوامر ويعمل على تنفيذها ؛ فإن القائد العام للمردة يفعل شيئاً مخالفاً . وقد كتب أيضاً يوستاثيوس ضد ستوراكيوس شكاوى أخرى زائفة واتهمه تهماً باطلة

---

(١) تعديل آخر في عهد رومانوس ليكابينوس .

وقد أحبكت وكأنها معقولة ، هـذا بالإضافة إلى افتراءات أخـرى قاسية . وقد كتب يوستاثيوس هذا معتمداً على مساندة الشريف هيمريوس وزير الخزانة ، لأن هيمريوس كان صديقاً لـه أكثر من منافسه ستوراكيوس . وقد ساءت العلاقات بين المتنافسين وزاد العداء وشحنت النفس بالغضب . وعندما تسلـم الإمبراطور التقرير الذي أرسله يوستاثيوس وافق على طلب الشريف هيمريوس وأعطى السلطة للوكيل يوستاثيوس وأصبح قائداً عاماً .

ومات الإمبراطور ليو عندما كان يعيد النظر في هذا الموضوع ، فتولى أخوه الكسندر الحكم بصفته إمبراطوراً وصياً ، وقد قام الكسندر بعزل الذين عينوا بناء على أوامر أخيه ، وطردهم من مناصبهم وحرضه على ذلك رجال امتلأت نفوسهم بالحقد والحسد، وكان من بين الذين عزلوا يوستاثيوس . وكان للبعض حظوة لدى الكسندر ومنهم غازي Chase المسلم الأصل والذي ظل مسلماً بأفكاره وأسلوب معيشته وفي تمسكه بدينه ، وكان من بين الأسرى الذين أسرهم الشريف داميان [1] Damian . ومن المقربين أيضـاً نيقتاس Niketas — شقيق غازي — الذي عين حاكماً عسكرياً في ولاية كبيرهايوت . وقد كتب نيقتاس هذا إلى الإمبراطور التماساً جاء فيه « بصفتي صديقك القديم ، فمن المناسب أن تقدم لي معروفاً ، وإن لي طلباً عند جلالتكم ، ومن حقي أن تحقق لي هذا الطلب» وفوجيء الإمبراطور ودهش من هذا الطلب، وقد التمس

(١) يضع المؤلف الشريف دميان معاصرا لعهد الكسندر ٩١٢ ــ ٩١٣م ثم وضعه في نفس الموضوع مرة اخرى معاصرا لعهد ميخائيل بن ثيوفيلوس اي ميخائيل الثالث ٨٤٢ ــ ٨٦٧ م • ويميل الباحث للاخذ بانه كان معاصرا للامبراطور ثيوفيلوس استنادا على ما يلي في الموضوع نفسه • انظر الحاشية التالية •

نيقتاس من الإمبراطور تعيين إبنه أبركيوس Abercius قائداً للمردة في أضاليا . وقد وافق الإمبراطور على طلبه وعين إبركيوس في هـذا المنصب . وهذه هي القاعدة التي سنت منذ البداية ، وكما هو متعارف عليه أن القائد العام للمردة في أضاليا يعين من قبل الإمبراطور .

في عهـد الإمبراطـور ثيوفيلوس كـان سكولاستيكيـوس Scholasticius رئيسـاً للحجاب ، وفي عهـد ميخائيـل بن ثيوفيلوس خلفه الشريف داميان [1] في هذا المنصب . وفي هـذا العهد كان بازيل – الإمبراطور فيما بعد – رئيساً للحجاب . أمـا في عهد بازيل فقد ظل هذا المنصب شاغراً . وفي عهد الإمبراطور ليو كان الشريف ساموناس Samonas يشغل هذا المنصب ، وخلفه في العهدنفسه الشريف قسطنطين . وتولى الشريف بارباتوس Barbatus هذا المنصب في عهد الكسندر . وعاد الشريف قسطنطين ليشغل منصـب رئيس الحجاب مرة أخرى في عهد قسطنطين [2] . وفي عهد رومانوس شغل هذا المنصب الشريف ثيوفانيس ، أما في الفترة الثانيـة لحكـم قسطنطين كان الشريف بازيل رئيساً للحجاب .

وخلال عهد الإمبراطور ليو الخالد الذكر أصبح كتيناس Ktenas المغني المعمر الثرى منشداً في الكنيسة الجديدة ، وكان بارعاً في الغناء ،

---

(١) يرى البعض ان رئيس الحجاب داميان هو الذي اغار على دمياط ٨٥٣ م / ٢٣١ هـ .
انظر : C.M.H. IV Part I, p. 106 No. 1
وهو الذي ورد في بعض المصادر العربية باسم ابن قطونا . راجع : الطبري المصدر السابق جـ ٩ ص ١٩٣ – ١٩٥ . وفي البعض الآخر باسم دميانه : ابو المحاسن : المصدر السابق جـ ٣ ص ١٣٨ .
(٢) المقصود هنا فترة الوصاية على الامبراطور قسطنطين السابع ٩١٣ – ٩١٩ م .

ومتفوقاً على معاصريه . وقد توسل كتيناس هذا للشريف ساموناس رئيس الحجاب ، أن يتوسط له عند الإمبراطور حتى ينعم عليه بلقب صاحب الصدارة ويرتدي رداء أصحاب هذا اللقب ويسير مع الموكب إلى لوسياكوس [١] Lausiacus ، ويجلس في المكان المخصص لمنزلته ويتقاضى معاشاً قدره جنيه واحد فقط ، ومقابل هذا يدفع كتيناس للأمبراطور أربعين جنيهاً . ولم يستطع الإمبراطور أن يفعل ذلك باعتبار هذا الأمر فوق حدود سلطته ، وأن منح مغنٍ لقب صاحب الصدارة يلحق بجلالته الخزي والعار . ولما علم كتيناس برفض الإمبراطور لطلبه أضاف إلى الأربعين جنيهاً زوجاً من الأقراط تساوي عشرة جنيهات ومنضدة فضية تبلغ قيمتها عشرة جنيهات أخرى . واستجاب الإمبراطور لتوسلات ساموناس رئيس الحجاب ، وأخذ الأربعين جنيهاً والقرطين والمنضدة الفضية [٢] ، وصارت قيمة الهدية التي قدمها كتيناس للإمبراطور ستين جنيهاً ، ومنحه اللقب وأخذ كتيناس المعاش وقدره جنيه واحد. وعاش سنتين بعد منحه اللقب ثم مات، وقد أخذ خلال السنتين جنيهاً واحداً كل عام .

---

(١) احدى قاعات القصر الامبراطوري التي بناها جستنيان الثاني انظر :

Bury, op. cit, pp. 48, 129 .

(٢) صورة من صور الرشوة تصل الى مستوى الاباطرة وقد سجلها المؤلف على والده الامبراطور ليو السادس ٠ وربما كان ذلك مألوفا في عصر المؤلف ولكن سياق النص يوضح غير ذلك ، وان كان المؤلف اعتبرها هدية ٠

٥١ ـ أسباب صنع الشانية الامبراطورية وقبطان هذه الشانية ، وكل شيء عن الجليل الاعلى للمرس الامبراطوري

حتى عهد الإمبراطور الحكيم المبجل ليو ، لم يكن للامبراطور شانية خاصة به ، وكان يبحر في شختور قرمزى[١] ، يستثني من ذلك الإمبراطور بازيل الذي أبحر في شانيه حربية ورافقته شانيه أخرى عندما زار حمامات بروسه Prousa الساخنة ، وعندما ذهب أيضاً لتفقد قنطرة ريجيون Rhegin التي شيدت بناء على أوامره . كما أن المجدفين الذين عملوا بالشانيه نقلوا من الشخور الإمبراطوري ، ومن بحارة قاعدة ستنون Stenon ، حيث كان يوجد بها عشر سفن حربية تابعة للبحرية الإمبراطورية .

وعندما كان الإمبراطور الخالد الذكر [٢] يتردد كثيراً على بجاي Pegai حيث بنى لنفسه قصراً هناك ، كان يبحر في شختور وبنفس الطريقة كان يتردد على الهبدروم ، وهيريا Hieria وبرياس Bryas . ولكنه أقلع في شانيه خاصة به وتبعته شانية أخرى عندما خرج في رحلته الطويلة إلى حمامات بروسه الساخنة وتفقد قنطرة ريجيون ، حتى يتمكن من اصطحاب عدد كبير من النبلاء في شانيته ويستقل أتباعه الآخرون الشانية الأخرى . وسبب ذلك أن الإمبراطور الحكيم ليو كان يميل إلى إكرام كبار رجال الدولة من حملة ألقاب الماجستر والشريف وأعضاء مجلس السناتو Senate ، ويجب أن

---

(١) عن الشختور انظر ، درويش النخيلي : السفن الاسلامية على حروف المعجم ص ١٧٤ ـ ٧٥ ب .

(٢) هو الامبراطور ليو السادس .

يشاركوه هذه المتعة ، ورأى أن الشختور لا يناسب استقبال عـــدد كبير من النبلاء ، لذلك أمر بتشييد شانية خاصة به ليبحر بها إلى أي مكان يريد الذهاب إليه . وهكذا أصبح في الإمكان أن يصطحب معه من يريد من النبلاء .

وكانت القاعدة ألا يسافر مع الإمبراطور في الشختور سوى الضابط المكلف بالمراقبة وأمير البحر ووزير الخارجية وقائد الشختور وكاتم السر والسكرتير الخاص . وإذا تواجد الإمبراطور في الشختور داخل مياه القسطنطينية فإنه يصحب معه القائد العام ورئيس الحجاب والمشرف على ملابس الإمبراطور وأمناءغرف النوم الذين يحددهم الإمبراطور .

ولهذه الأسباب أمر الإمبراطور الحكيم ليو ببناء الشانية كما آمر بعد فترة أخرى ببناء شانية أخرى عرفت باسم الشانية الثانيـــة ، وتم تدشينها . يضاف إلى ذلك أن الإمبراطور كان يذهب في رحـــلات طويلة إلى نيقوميديـــا مثلاً أو إلى أوليمبوس Olympus وبيثيـــا Pythia [1] ، حتى تتسع الشانيتان الكبيرتان لخدمته وخدمة نبلائه وتسليتهم ونزهتهم . وكان من المتبع عند ذهـــاب الإمبراطور في رحلة قصيرة مثل زيارة قنطرة أريثموس Arithmos ، فإنه يترك الحراس لحراسة ساحة القصـــر ، لأنه وفقاً للتقاليد القديمة والـــتي أصبحت قاعدة ملزمة ، كان على القنطرة حراسة قوية بإشراف القائد العام شخصياً ، ولذلك لا يذهب الحراس في مثل هـــذه الأسفـــار ويظلون بساحة القصر .

---

(١) يتم الوصول الى هذه المناطق بطريق البحر عبر الانهار الصغيرة في آسيا الصغرى التي تصب في بحر مرمرة ٠

٥١
ومنذ عهد بعيد كان الإمبراطور يعين الجليل الأعلى للمرسى الإمبراطوري ، وهو الذي يرأس كل بحارة السفن الإمبراطورية الأرجوانية منها والسوداء ، عـدا سفن الإمبراطورة لأن سفنها الأرجوانية والسوداء كانت تحت إدارة رئيس مائدة الإمبراطورة .

وفي عهد الإمبراطور الحكيم ليو وبعدما تم بناء الشينيتين الإمبراطوريتين ، أصبح الجليل الأعلى للمرسي الإمبراطوري مسئولا أيضاً عن بحارتهم . ووفقاً للقاعدة القديمة كان الجليل الأعلى يذهب عصر كل يوم إلى المرسى ليباشر مسؤولياته هناك . ومن هنا سمي باسم الجليل الأعلى للمرسى الإمبراطوري . وكان عليه أن يحكم في القضايا التي تخص جميع البحارة سواء كانوا بحارة الشختور أو الشينيتين ، وكان يصدر أحكامه طبقاً للقانون . يضاف إلى ذلك أنه كان يعاقب كل من يسيء إلى أحد ، أو يقصر في عمله ، و كان العقاب هو الضرب بالهراوة ضرباً مبرحاً . وكما توضح من قبل أن سفن الإمبراطور كانت تحت إشراف الجليل الأعلى للمرسى الإمبراطوري وأن سفن الإمبراطورة كانت تحت إدارة رئيس مائدة الإمبراطورة ، كما أن الأخير كان مسؤولاً عن السفن أمام الإمبراطور مباشرة .

وفي عهد الإمبراطور الحكيم ليو أيضاً ، كان يوحنا تالاسون Thalasson هو الجليل الأعلى للمرسى الإمبراطوري ، وخلفه بودارون Podaron وجاء بعده ليو الأرميني والد صاحب الصدارة أرسينيوس Arsenus ، وكان يوحنا وبودارون رئيسين لبحارة امير البحر الشريف نزار Nasar في عهد الإمبراطور بازيل ، ولكنهما نقلا من البحرية وصارا رئيسين في شختور الإمبراطور.

٥١
ثم أصبحا في بادىء الأمر مديرين للدفة في عهد الإمبراطور ليو بعد بناء الشينيتين نظراً لشجاعتهما وخبرتهما بشؤون الملاحة .

وكان من المتبع عند استعدادالبحرية الأمبراطورية لمعركة بحرية ، أن يضم الإمبراطور بحارة الشينيتين ومديرى سكان الشانية الأولى إلى السفن الحربية الأمبراطورية ، وكان يمدهم بكل ما يلـزم من معدات كالتروس والأردية الجلدية والمعاطف وكل ما يحتاجه أفراد البحرية في القتال ، وقد صحبهم أمير البحر يوستاثيوس مع الأسطول عندما كـان يستعد لمحاربة الأعداء ، وتولى قيادة الشانية الإمبراطورية ميخائيل الكبير وميخائيل الماهر وكانا رئيسين بحريين في ذاك الوقت . وبعد عودة البحارة من المعركة ، فإن الذين كانوا يعملون في الشينيتين من بحارة ستينون يعودون إلى عملهم السابق .

ولكي يكافئ الإمبراطور بودارون على ما أبداه من شجاعة قتالية وإبلائه بلاء حسناً وتفوقه على الأعداء في المعركة ، هذا بالإضافة إلى التزكية الشخصية من أمير البحر يوستاثيوس ، بأنه لا يوجد في البحرية من يفوقه شجاعة ونشاطا وغير ذلك من المميزات التي يتمتع بها ، فضلا عن حبه وإخلاصه الشديد للامبراطور ، فقد أصدر ليو أمراً بتعيينه في منصب الجليل الأعلى . ولما كان بودارون أمياً لا يعرف القراءة والكتابة فقد خصص له الإمبراطور أحد القضاة ليجلس معه عند النظر في قضايا البحارة.

وبعد ذلك أصبح بودارون وليو الأرميني وكيلين لأمير البحرية الإمبراطورية ، وعين بدلاء منهما ميخائيل الكبير الذي كان يشغل منصب رئيس بحارة الشيني الأمبراطورى ، وميخائيل

٥١
باركلاس Barkalas . والأخير خـدم من قبل كرئيس لبحارة أمير البحر الشريف يوستاثيوس،وهو الذي عبر بالأتراك وهزم سيمون أمير بلغاريا .وتفاصيل ذلك أن سيمون عندما علم بدخول الأسطول النهر[1] ، وأن ميخائيل باركلاس على وشك التحالف مع الأتراك ، أقام سيمون حاجزاً قوياً منعاً حتى لا يتمكن الأتراك من عبور النهر ،ونجح فعلا في بداية الأمر في إيقاف تقدم الأتراك . ولكن ميخائيل هذا واثنين من البحارة حملوا سيوفهم وتروسهم وقفزوا من السفينة الحربية بإقدام وشجاعة وقطعوا السياج المصنوع من الأغصان المجدولة وفتحوا ممرا لعبور الأتراك . والذين شاهدوه من الأتراك أعجبوا به إعجاباً شديداً ، لأنه كان يتقدم زميله وبادر بنزع السياج [2] . وقالوا في غمرة إعجابهم به : إن هذا الرجل يجب أن يكافأ على بطولته بمنحه رتبه شريف ويعين قائد للبحرية .

وعندما علم الإمبراطور بذلك وبلغه ما قام به باركلاس من أعمال بطولية وما أظهره من شجاعة وجرأة،عينه رئيساً بحرياً ثانياً للشانية الإمبراطورية. وعندما رقيا بوداورن وليوالأرميني الىمنصب وكيل أمير البحر ، أصبح ميخائيل الكبير وباركلاس قائدين للشانية الإمبراطورية .

---

(١) المقصود هنا نهر الدانوب .

(٢) تمثل هذه الاحداث جانبا من الصراع بين ليو السادس وسيمون البلغاري وتقع حوادثها في عام ٨٩٥ م . عن ذلك ولمزيد من التفاصيل راجع:

Runciman, A History of the First Bulgarian Empire pp. 145 - 7 .

أما الجليل الأعلى بودارون فقد عين بعد سنوات حاكماً عسكرياً في ولاية كبيرهايوت . وبعد وفاة ليو الأرميني — والد الجليل الأعلى أرسينوس الذي كان يشغل منصب وكيل أمير البحر — حل محله بودارون وأصبح ثيوفلاكت بمبيليدس Bimbilidis الجليل الأعلى للمرسى الإمبراطورى ، وظل في هذا المنصب لمدة سنوات قليلة من الفترة الأولى لعهد قنسطين بورفيروجينيتوس الإمبراطور المشمول برعاية السيد المسيح . وبعد وفاة ثيوفلاكت عين ميخائيل الكبير وقد أصبح شيخاً كبيراً. وبعدما أمضى سنوات طويلة قبطاناً في البحرية ، عين في منصب الجليل الأعلى للمرسى الإمبراطورى . وعندما كان الأمبراطور يركب السفينة في المرسي أو يبحر في مهمة رسمية أو إلى أي مكان آخر ، فإن هذا الرجل العجوز الطيب كان يقف وسط السفينة الإمبراطورية ويحث البحارة على التجديف بقوة وبسالة . وفي الوقت نفسه كان يعلم قادة السفن كيف يتحكمون في الدفة ، وكيف يسيرون السفينة الأمبراطورية بأمان عند هبوب الرياح القوية .

وعند وفاة ميخائيل هذا كان الأمبراطور لايزال طفلاً صغيراً ، وبسبب قصر نظر ، ثيس الحجاب الشريف قسطنطنين فقد عين ثيودوتس Theodotus زوج إبنة ميخائيل — قبطانا بعدما كان رئيساً للبحارة . وفي فترات متتابعة أنعم عليه بلقب كانديدات Candidate ثم لقب ستراتور Strator ، فلقب سباثاريوس Spatharius وأخيراً لقب سباثاروكانديدات Spatharocandidate ثم أصبح الجليل الأعلى للحرس الإمبراطوري . ووفقاً للتقاليد القديمة كان قبطان الأمبراطور لا يحصل على مثل هذه الألقاب وكان أقصى ما يصل إليه هو رتبه سباثاريوس [١] . عدا ميخائيل ألذي أنعم عليه الإمبراطور بمثلها .

---

(١) يتضح لنا في هذا الموضع الالقاب التي تمنح لقبطان الامبراطور .

وعندما تولى الإمبراطور رومانوس حكم الإمبراطورية [١] ، أو استولى على العرش بطريقة أو بأخرى طرد ثيودتس بسبب حبه لقسطنطين الحاكم والإمبراطور المشمول برعاية السيد المسيح . ولم يكتف رومانوس بطرده ، وإنما عاقبه بالجلد وحلق شعر رأسه ونفاه ، وقد ظل في منفاه إلى أن مات هناك . ولكنه أبقى على زميله قسطنطين لوريكاتوس Loricatus ، الذي تظاهر بالميل إليه وتبرأ من حبه وولائه للامبراطور الشرعي قسطنطين ، وأيد ذلك بقسم كتبه بخط يده .وقد أنعم عليه الإمبراطور برتبه سباثاروكانديدات وأصبح القبطان الأول وعينه رئيساً للمرسى الإمبراطورى ثم أنعم عليه بلقب صاحب الصدارة .

وقد تقدم قسطنطين لوريكاتوس بإقتراح إلى الإمبراطور عن طريق القسيس يوحنا رئيس الجامعة ، وجاء في هذا الاقتراح بما أن صاحب الصدارة ثيوفلاكت رئيس مائدة والدة الإمبراطور [٢] ، قد عُين بأمر منها ، وأقر ذلك الإمبراطور نفسه [٣] ، فمن الضروري أن يتعاطف مع الإمبراطور ووالدته بإعتبارهما وليي نعمته وصاحبي الفضل عليه ،وليس هناك ما يدعو لتوزيع بحارة المرسى الإمبراطورى ليكونوا تحت سلطتين ، وأن رئيس مائدة الإمبراطورة قد يؤثر على البحارة الذين يعملون تحت رئاسته ، مدفوعاً بحبه وإخلاصه للامبراطور والامبراطورة . وقد يغري ثيوفلاكت أيضاً رئيسي الشانيتين ويدبرون

---

(١) المقصود هنا الامبراطور رومانوس ليكابينوس .
(٢) المقصود بها الامبراطورة زوى والدة قسطنطين السابع .
(٣) هو قسطنطين السابع عندما كان تحت الوصاية وقبل أن يتولى رومانوس العرش .

خطة للثورة ضد جلالتكم [١] . وبذلك تمكن رئيس الجامعة من إقناع الإمبراطور رومانوس بسهولة بما يراه ضد ثيوفلاكت، لأن رومانوس كان هوائياً سريع التأثر، لذلك ضل الطريق وتبدل حاله لمجرد إشارة حقودة خبيثة . ومنذ ذلك الحين أصبحت هناك قاعدة ، وهي أن يعهد إلى قائد الشانية الإمبراطورية برئاسة جميع البحارة في الشانيتين الإمبراطوريتين وسفن الإمبراطورة علاوة على المرسى الأمبراطوري .

وفي عهد الإمبراطور الخالد الذكر ليو [٢] ؛ طلبت الجزية من الولايات الغربية عن طريق الحاكم العسكري ليو تزيكانس Tzikanes وهي الجزية التي فرضت على من رغبوا في عدم أداء الخدمة العسكرية . وقـد جمعت الجزية نفسها مرة أخرى في عهد الإمبراطور ليو ، وقام بجمعها الشريف يوحنا الاداس Eladas الذي رقي فيما بعد إلى مرتبه الماجستر .

وفي عهد الإمبراطور رومانوس ، عندما كان يوحنا بروتيون Proteuon حاكما عسكرياً في البلوبونيز ، رأى رومانوس أن يؤدي أهالي الإقليم الخدمة العسكرية في لمبارديا [٣] ، ولكن الأهالي رفضوا واختاروا

---

(١) اغتصب رومانوس العرش في عام ٩١٩ م وتوج امبراطورا فـي عام ٩٢٠ م وان استخدام عبارة الامبراطور والامبراطورة للدلالة علـى قسطنطين وأمه زوى ، يعني أن رومانوس لم يكن توج بعد • كما ان الخوف من تدبير الثورة ضد رومانوس يعني ايضا أن في بداية عهده بالقصر وقعت هذه الاحداث •

(٢) في هذا الموضع ينتقل المؤلف الى موضوع آخر يتعلق بالجزية ، بعد ان كان يتحدث عن البحرية الامبراطورية •

(٣) وقعت الحرب بين بيزنطة ولمبرديا عام ٩٣٤ ـ ٩٣٥ م •
Runciman, The Emperor Romanus Lecapenus, p. 193 .
وعلى ذلك يمكن وضع هذه الاحداث في نفس العام لارتباطها باحداث الحرب ضد لمبارديا •

أن يقدموا بدلا منها ألف حصان مسرج ، ومائه جنيه نقداً . وكان لهم ما أرادوا وقدموا ما اختاروه عن طيب خاطر .

٥٢ ـ جمع الخيول من ولاية البلوبونيز في عهد الامبراطور رومانوس كما توضح في الموضوع السابق

قدم كل من مطران كورنثه ومطران باتراس أربعة أحصنة ، كما قدم كل أسقف في الولاية حصانين . أما البروتسباثارى Protothpatharii فقد قدم ثلاثة ، وقدم كل من يحمل لقب سباثاروكانديدات حصانا واحداً . أما الأديرة سواء كانت إمبراطورية أو تابعة للبطريقة فقد قدم كل منها حصانين . وقدمت كل مطرانية وأسقفية حصانين أيضاً أما الأديرة التابعة للأسقفيات والأديرة الآخرى فقدمت كل منها حصاناً واحداً ، أما البحارة والصيادون وصناع الرق التابعون للإمبراطور فلم يقدموا خيولا .

وتحمل كل فرد قادر على حمل السلاح من الأهالى خمسة نومسماتات مقابل الإعفاء من إداء الخدمة العسكرية . وقدم الفقراء خمسة نومسماتات عن كل إثنين منهما. ومن هذه النقود اجتمعت المائة جنيه نقداً كما توضح من قبل .

٥٣ ـ تاريخ مدينة خرسون

عندما كان دقلديانوس إمبراطورا في مدينة روما ، وثميستوس Themistus إبن تميستوس قائدا وزيرا في إقليم خرسون ، ثـــار

صوروماتوس Sauromatus البسبوري [1] إبن كريسكورونوس Kriscoronus . وجمع الصارماتين [2] الذين كانوا يعيشون على بحيرة مايوتيك وخرج لمحاربة الرومان. وأحتل إقليم لازيكا [3] Lazica وهزم من كان هناك وتقدم حتى وصل إلى نهر هاليس . وعندما علم الإمبراطور دقلديانوس بذلك وأن إقليم لازيكا وأراضي بنطس قد نُهبت وخرّبت. صمم على إرسال جيش إلى هناك لمواجهة الصارماتيين ، وتولى قيادة الجيش قنسطانز [4] Constans . وعندما وصل قنسطانز بجيشه إلى نهر هاليس عسكر هناك ومنع الصارماتيين من العبور ، ولكنه أدرك أنه لا يستطيع مواجهتهم بما معه من قوات . كما أنه لا يستطيع طردهم إلا إذا إستعان بجيرانهم لمحاربتهم ونهب بلادهم وسبى عائلاتهم ، ولعل في ذلك ما يدفع الصارماتيين إلى إيقاف حروبهم .

وكان على قنسطانز أن يبلغ الإمبراطور بذلك حتى يرسل الإمبراطور إلى الخرسونيين ويحثهم على محاربة جيرانهم الصارماتيين ومهاجمة عائلاتهم حتى يضطروا إلى التراجع بسرعة عن ميدان القتال . ولما علم دقلديانوس بذلك أرسل على الفور إلى أهالي مدينة خرسون يأمرهم بإعلان الحرب على الصارماتيين ونهب أراضيهم وسبى عائلاتهم . وقد استجاب القائد والمسؤول الأول عن المدينة وهو خريستوس بابياس Chrestus Papias كما استجاب أهل المدينة أيضاً لطلب الأمبراطور .

وتشاور الخرسونيون فيما يجب أن يفعلوه حتى يستولوا على مدينة

---

(١) نسبة الى مدينة بسبور .

(٢) نسبة الى صورو ماتيوس .

(٣) على الساحل الشرقي للبحر الاسود .

(٤) هو والد قسطنطين الاول او الكبير وكان قيصرا للشرق على نظام دقلد يانوس انظر : Ostrogorsky, op. cit., p. 31 .

بسبور وحصون بحيرة مايوتيك. وانتهى الأمر بجمع الرجال من الحصون المجاورة ، وقاموا بصنع العربات الحربية وشحنوها بالأقواس والنشاب واتجهوا إلى مدينة بسبور حيث قاموا بنصب الكمائن . واشتبكت فئة منهم في قتال من بالمدينة . ودام القتال عند سور المدينة من الفجر حتى الساعات الأولى من صباح اليوم التالى . ثم تظاهرت هذه الفئة بالانسحاب من ميدان المعركة ، وكانوا حتى هذه المرحلة لم يستخدموا بعد الأقواس والسهام المحملة في العربات . وقد ظن البسبوريون الذين كانوا بالمدينة أن الخرسونيين قد هزموا بسبب قلة عددهم ولاذوا بالفرار عبر بحيرة مايوتيك، فأبحروا في إثرهم وهم واثقون من النصر. ولكن الخرسونيون على ما يبدو، تراجعوا تدريجياً وهاجموا البسبوريين المطاردين لهم وأمطروهم وابلاً من السهام . يضـاف إلى ذلك أن الخرسونيين القائمين في الكمين أحـاطوا بالبسوريين وقاتلوهم بسيوفهم وتمكنوا من احتلال مدينة بسبور والقلاع التي تقع على بحيرة مايوتيك وأسروا عائلات الصارماتيين ، وسيطروا على أحياء المدينة ولم يقتلوا من أهلها غير من قاوموهم واحتفظوا بالمدينة وقاموا بحراستها.

وبعد أيام قال خريستوس بابياس قائد مدينة خرسون للنساء الصارماتيات : إنه لم يأت لمحاربتهن ، ولكن صوروماتوس هو الذي قام بتخريب بلاد الرومان ، لذلك أمره الإمبراطور باعتباره من أتباعه بمحاربة الصارماتيين . وأضاف إذا أردتن العيش في سلام داخل مدينتكن ، دعوني أرسل إلى رئيسكن صوروماتوس ليسعى لاقرار السلام مع الرومان أمام مبعوثينا وعلى مرأى ومسمعهم وإذا ترك صوروماتوس الأراضي التي يسيطر عليها نتركها ونعود إلى مدينتنا ، وسيتضح لنا ذلك عندما يعيد صوروماتوس مبعوثينا مع مرافقين لحمايتهم في الطريق ، ويوفد رجاله ومعهم أنباء السلام وبذلك نخلي سبيلكن ونرحل . وحذر خريستو من استخدام صوروماتوس الحيل

والخداع والاعتقاد بأنه يستطيع محاصرة الخرسونيين أو الهجوم عليهم ، وأضاف بأنه يتيسر له معرفة ذلك عن طريق الكشافيين ، وسوف يقتل جميع النساء صغيرات وكبيرات ثم ينسحب بعد ذلك . وأوضح خريستو أن لا فائدة تعود على صورروماتوس إذا قتل أهله وخربت مدينته .

وعندما سمع نساء صورروماتوس هذا أعدوا التدابير اللازمة لتنفيذ مـــا قاله خريستو بسرعة ونشاط . وأرسل الخرسونيون خمسة كمبعوثين مـــن قبلهم يرافقهم بعض البسبوريين إلى صورروماتوس ليخبروه بما حدث وما قيل . وعندما وصل المبعوثون إلى معسكر صورروماتوس في منطقة نهر هاليس وأخبروه بما حدث قلق قلقاً شديداً ، وتظاهر برغبته في حصول المبعوثين الخرسونيين على قسط من الراحة بعد رحلتهم الشاقة ، وأبلغ المبعوثين برغبته في راحتهم لعدة أيام من عناء السفر وأنه سوف يفعل ما طلبوه بعد ذلك .

وانتهى الأمر بعودة المبعوثين ومعهم رسول من قبل صورروماتوس للتأكد من الخبر ويبلغ الرومان أنه صادق ولا يكذب . وعاد المبعوثون والرسول إلى القائد الروماني قنسطانز وأبلغوه بما أحدثوه في مدينة بسبور وعند بحيرة مايوتيك وكيف قاموا بأسر عائـــلات صورروماتوس وأن الأخير اضطر لقبول السلام . وتضايق قنسطانـــز عندما سمع ذلك لأن الإتفاق لا يفيده في شيء ، وأن الخرسونيين بهذا الإتفاق لم يقدمـــوا شيئاً للرومان ، بعدما أنفقوا كمية كبيرة من الذهب . ولكن الخرسونيين هدأوا خاطر قنسطانز وأبلغوه أن بوسعهم نقض الإتفاقيات التي أبرمت . ولكن قنسطانز كان يرى أن ذلك غير ممكن ولا توجد وسيلة لنقض الإتفاق . وأشار عليه الخرسونيون بأن عليه أن يعلن من جانبه للصارماتيين أن الإتفاق المبرم بينهم وبين الخرسونيين يحمل نوايا طيبة . ولكنه تحمل أعباء كثيرة وخسائر فادحة لإعداد الجيش في روما من أجل هذه المعارك

ويجب على صورروماتوس أن يدفع تعويضاً عن كل تلك الخسائر ، وعلى قنسطانز بعد ذلك أن يطلق سراح الأسرى ويسلم صورروماتوس مدينة بسبور .

وارتاح قنسطانز لهذا الاقتراح وأرسل إلى صورروماتوس بهذا المعنى. ولما علم الأخير بما حوته رسالة قنسطانز غضب وأرسل إليه يبلغه بأنه سوف لا يدفع شيئاً ولا يريد شيئاً سوى أن يبعد أهل خرسون عنـــه ثم ينسحب هو بعد ذلك . ولكن الخرسونيين طالبوا قنسطانز بعدم ترحيلهم إلا بعد استعادة كل أسراهم المحتجزين لدى صورروماتوس . وكتـــب قنسطانز يطلب منه إرسال الأسرى الذين يحتفظ بهم وعندئذ يصـــرف أهل خرسون عنه . وتردد صورروماتوس في بداية الأمر ثم أطلق سراح جميع الأسرى . وبعد أن استعاد قنسطانز جميع الأسرى أبقى على إثنين من رسل الخرسونيين وأرسل باقي الرسل إلى صورروماتوس الذي استقبلهم استقبالاً حسناً، وأرسل صورروماتوس من إقليم لازيكا بعض رجاله ليتسلموا مدينة بسبور ورهائن المدينة وسار صورروماتوس مـــع قومه في إثرهم حتى يتأكد من تنفيذ وعدهم بأمانة ويطلقون سراح العائلات وينسحبون ولما عاد رسل الخرسونيين إلى رجالهم الذين يسيطرون على مدينة بسبور وعلموا بما حدث بين قنسطانز وصورروماتوس ، سلموا نائب الأخير المدينة وقلاع مايوتيك وكل العائلات الأسيرة وعادوا بسلام إلى بلادهم :

ومع انسحاب صورروماتوس من الأراضي الرومانية بدأ قنسطانز رحلة العودة إلى روما ، وهناك أرسل للامبراطور يخبره بما تم وما فعله الخرسونيون . وكان قنسطانز قد اصطحب إثنين منهما فمثلا بين يدي الإمبراطور الذي أكرمهما بكل وسائل الترفيه والتسلية وشكرهمـــا وأبدى رضاءه التام عما قدمه الخرسونيون من مساعدة للرومان وعرض

الإمبراطور على الرسولين أن يطلبا ما يريدنه لنفسيهما ولمدينتهما مقابل ما قدماه من مساعدة وولاءهم للامبراطور . وأبلغا الرسولان الإمبراطور بأن لهما مطلباً واحداً يتلخص في إعطاء المدينة حريتها وأن يرفع عنها الجزية . ورحب الإمبراطور بطالبهما ووعدهما بحرية المدينة ورفع الجزية عنها ، فعادا إلى بلدهما كتابعين مخلصين، بعد أن حملهما الإمبراطور هدايا كثيرة .

كما استقبل الإمبراطور دقلديانوس قائده قنسطانز أيضاً بحفاوة بالغة وأكرمه إكراماً عظيماً نظير شجاعته الفائقة في حروبه مع الصارماتيين وأصبح من النبلاء البارزين ، وبعد وقت قصير نودي بقنسطانز إمبراطوراً للرومان عندما اعتزل دقلديانوس الحكم ليقضي بقية حياته في نيقوميديا .[1]

وبعد وفاة قنسطانز أصبح ابنه قسطنطين[2] إمبراطوراً في روما . وعندما انتقل إلى بيزنطة[3] ، ثار ضده بعض السيكيثيين . واستعاد الإمبراطور في ذاكرته ما قاله له والده عن وفاء الخرسونيين ومساعدتهم للرومان وتحالفهم معهم ضد عدوهم ، لذلك أرسل المبعوثين إلى خرسون ومعهم تعليماته ليذهبوا إلى أرض السكيثيين ويحاربوا من ثار ضد

(١) عندما اعتزل دقلد يانوس عاش في الليريا مسقط رأسه وليس في نيقومديا التي حكم منها الامبراطورية · انظر :

Thompson, op. cit., p. 8 .

(٢) هو الامبراطور قسطنطين الكبير ·

(٣) المقصود هنا مدينة القسطنطينية ، وقد تم بناء المدينة في عام ٣٣٠ م · انظر :

Ostrogorsky, op. cit., p. 41 .

الإمبراطور . وكان قائد الخرسونيين في ذاك الوقت ديوجينس Diogenes ابن ديوجينس .

أطاع الخرسونيون أوامر الإمبراطور وأعدوا العربات الحربية والأقواس والنبال بحماسة منقطعة النظير واتجهوا نحو نهر إيستر (الدانوب) ، ونظموا أنفسهم لعبور النهر وحملوا على المتمردين وهزموهم هزيمة ساحقة . وعندما علم الإمبراطور بما حققوه من نصر أمرهم بالعودة إلى بلادهم ودعا رؤساءهم لزيارة مدينة بيزنطة حيث شكرهم وأبدى سروره وارتياحه لما قدموه . وأشاد بإخلاصهم الحالي والسابق والوقوف إلى جانب الرومان ، وصدق على العهود التي أخذها الخرسونيون الخاصة بحريتهم ورفع الجزية عنهم وهو ما قررته الإمبراطورية سابقاً في روما . وقدم لهم تمثالاً من الذهب وعباءة إمبراطورية ومشبكاً وتاجا من الذهب كي تتباهى بهم مدينتهم ، بالإضافة إلى المرسوم الذي ينص على منح الحرية للمدينة ورفع الجزية عنها وعن جنودها . ومزيداً في محبة الامبراطور قسطنطين للخرسونيين منحهم أختاماً ذهبية محفور عليها صورته ليختموا بها التقارير والالتماسات التي يرسلونها إليه من وقت إلي الآخر باعتبار هذه الأختام هي وسيلة التعرف على السفراء المعتمدين.

وتعهد الإمبراطور قسطنطين بأن يرسل للخرسونيين سنوياً كمية من الحبال والكتان والحديد والزيت لصناعة الأقواس ، كما أنعم عليهم بألف رتبة عسكرية من درجة رماة الأقواس . وأكد الإمبراطور أن الإمدادات والمنح سوف ترسل من القسطنطينية بانتظام إلى مدينة خرسون سنوياً . وقد وزع الخرسونيون الرتب فيما بينهم وكونوا لواء . وهذا هو السبب في أن أولادهم يسجلون أسماءهم في هذا اللواء حتى عهد قسطنطين السابع ليسدوا العجز فيه عوضاً عن آبائهم . كما أنعم قسطنطين

الكبير على حاكم المدينة ديوجينس بمؤن وهدايا كثيرة ، وعاد رؤساء مدينة خرسون بالهدايا التي منحها لهم الإمبراطور إلى بلادهم .

وبعد هذه الأحداث بسنوات قليلة ، أعلن صوروماتوس – حفيد صوروماتوس الذي سبق له الإغارة على لازيكا – الحرب ضد مدينة خرسون وتحالف مع بعض القوى في بحيرة مايوتيك ، رغبة منه في الثأر للإهانة التي ألحقوها بجده وأسر أهل بيته في عهد الإمبراطور دقلديانوس . وفي ذاك الوقت كان بسكوس بن سوبليخوس Byscus Suplichus قائداً ورئيساً للخرسونيين . وعندما علم بذلك نظم جنوده لصد الهجوم والتقى بصوروماتوس الحفيد خارج بلاده في منطقة كافا [1] Kapha ، وحاربه ، وبتأييد من الله انتصر عليه وأجبره على التراجع . وأقام أهل مدينة خرسون سوراً حجرياً في كافا حيث نشبت المعركة التي هزم فيها صوروماتوس الحفيد الذي أقسم ومن كان معه بأنهم لن يجتازوا ذلك الحد الذي أقامه الخرسونيون من أجل الحرب ، وأن يظل كل منهم محتفظاً بأرضه في جانب من جانبي هذا الحد ، وانسحبوا بعد ذلك إلى مدينة بسبور ، وعاد الخرسونيون إلى خرسون .

ومرة أخرى جمع صوروماتوس آخر [الثالث] [2] عدداً كبيراً من رجال بحيرة مايوتيك وخرج لمحاربة أهل مدينة خرسون وعبر الحدود التي سبق إقامتها في كافا رغم تعهدهم مع البسبوريين بعدم عبور الحدود لشن الحرب . ولكن صوروماتوس هذا نقض العهد وعبر الحدود للثأر واستعاد الأراضي التي أخذت منه بالقوة . وكان قائد

---

(١) مدينة تقع في شرق شبه جزيرة خرسون .

(٢) اضاف الباحث كلمة الثالث تمييزا عن صوروماتوس الاول وصورماتوس الحفيد .

الحرسون ورئيسهم في ذاك الوقت هـو فارناكوس بن فارناكـوس Pharnacus ، فاستعد على الفور ونظم جيشه استعداداً للقتـال . والتقى الجيشان في منطقة كافا أيضاً، وأخذ كل منهما مكانه على الجبال. ولما كان صوروماتوس [الثالث] ضخم الجسم قوي البنية ، فضلاً عن القوة الكبيرة التي تحت قيادته ، فقد كان واثقاً من النصر ، لذلك تفاخر وتعالى بوقاحة على الحرسونيين . وعندما وجد فارناكوس كثرة رجال العدو ، قرر مبارزة صوروماتوس مبارزة فردية — حتى يتجنب قتل عدد كبير من رجاله — رغم ضآلة جسم فارناكوس بالمقارنة بجسـم صوروماتوس .

وأعلن فارناكوس في رجال جيش صوروماتوس بأنه لا حاجة لقتل عدد كبير منهم ، لأنهم لا يفضلون الحرب وقد خرجوا إليهامكرهين ،وأن صوروماتوس هو الذي دفعهم إليها ، وطالب بأن يدفعوا إليه بحاكمهـم لمبارزته . وأضاف قائلاً : وإذا ساعدني الله وهزمته فإنني سأترككـم تعودون إلى بلادكم دون أن يصيبكم أذى وأكتفي بوضعه هو ومدينـة بسبور تحت رحمتي وسيطرتي . أما إذا هزمني صوروماتوس فستعودون بسلام إلى بلدكم ، وأعترف أنا له بالسيادة وأضع نفسي تحت رحمته .

وتقبلت حشود صوروماتوس هذا الاقتراح بالرضا والسرور وطلبوا منه الخروج لمبارزة فارناكوس . كما رحب صوروماتوس بهذا الاقتراح وسر به سروراً عظيماً لأنه كان يعتمد على ضخامة جسمه ويثق بقوته وعدته الحربية التي تحميه تماماً . وبعد أن تقررت المبارزة همس فارناكوس لرجاله بأنه بعد خروجه في رعاية الله للمبارزة ، عليهم أن يصيحـوا بشدة صيحة رجل واحد قائلين : آه ، آه Ah, Ah, عندما يكون ظهر صوروماتوس تجاههم ووجهه تجاه رجاله . وعليهم ألا يكرروا الصيحة مرة أخرى .

وعندما نزلا إلى السهل للمبارزة ، أخذ كل منهما يناور الآخر، ثم صاح جيش فارناكوس بالصيحة المتفق عليها ، فاستدار صوروماتوس ليري سبب صياح جيش فارناكوس ، وعندما أدار صوروماتوس وجهه إلى الخلف ظهرت فتحة في خوذته ، وفي الحال حمل عليه فارناكوس وضربه برمحه ضربة قوية قتلته وسقط على الأرض، وترجل فارناكوس وفصل رأسه عن جسده . وبانتصاره على غريمه في المبارزة سرح من كان معه من رجال بحيرة مايوتيك ، ولكنه أسر رجال مدينة بسبور واستولى على المدينة وأقام حدوداً من الحجارة في كيبرنيكون Kybernikon فيما يلي مدينة خرسون ولم يترك إلا مسافة أربعين ميلاً فقط للبسبوريين ، وهذه الحدود الحجرية ظلت قائمة بعد ذلك ، وهدمت الحدود السابقة التي أقيمت عند كافا ، وأطلق فارناكوس سراح البسبوريين ليعودوا إلى بلادهم ، ولكنه احتفظ بعدد قليل منهم للعمل في الزراعة . وأقام البسبوريون نصباً تذكارياً بهذه المناسبة تذكرة للعطف الذي أبداه تجاههم فارناكوس . وبهذه الأحداث انتهى حكم آل صوروماتوس في مدينة بسبور .

وإن كان ذلك ما يتعلق بحكم آل صوروماتوس ، فإنه عندما كان لاماخوس Lamachus قائداً ورئيساً لمدينة خرسون كان أساندر Asander ملكاً على مدينة بسبور ، وكان البسبوريون لا يزالون يكنون الحقد والكراهية لأهل مدينة خرسون ، ولم يكن بوسع البسبوريين التخلص من الشر الكامن في نفوسهم ، والتطلع إلى طريقة يعاقبون بها سكان مدينة خرسون لأسرهم إخوانهم من قبل . فلما علموا أن لاماخوس لديه ابنة وحيدة فقط هي جيكيا Gykia وأن ماكوم أساندر له عدة أبناء بدأوا يخططون لزواج سياسي يحصلون بموجبه على موطأ قدم لهم في مدينة خرسون .

اتجه مبعوثو البسبوريين إلى مدينة خرسون يطلبون باسم العلاقات الطيبة بين البلدين وهي العلاقة التي تبعد عن الغدر والخيانة ، يطلبون التحالف عن طريق الزواج وذلك بأن تكون ابنة لاماخوس زوجة لابن أساندر ، وعرضوا أيضاً إمكان بقاء الابن في مدينة خرسون ، وأن في ذلك دعماً لعهد وميثاق يجب إحترامها. واعترض الخرسونيون على ذهاب جيكيا إلى البسبوريين ووافقوا على قدوم أحد أبناء أساندر إليهم ليكون زوجاً لابنة حاكمهم لاماخوس ، واشترطوا بأن الزوج المرشح لا يكون له الحق في العودة إلى مدينته وهي بسبور لأي سبب كان في أي وقت أو مناسبة حتى لو كان هذا السبب هو زيارة والده للتهنئة ، وإذا فعل الزوج المرشح مثل ذلك فإنه سيلقى حتفه على الفور . وعاد المبعوثون إلى مدينة بسبور وأخبروا أهلها بشروط الخرسونيين لإتمام مثل هذا الزواج .

أعاد أساندر الرسل مرة أخري إلى مدينة خرسون ليخبر أهاها بأنهم إذا كانوا مخلصين وصادقين ويؤكدون أن لاماخوس يوافق على زواج ابنته من ابنه الأكبر ، فإن أبيه سيرسله ليتزوج جيكيا ، وقد وافق لاماخوس على طلبهم . والواقع أن لاماخوس كان في هذه الفترة واسع الثراء ولديه ثروة كبيرة من الذهب والفضة،ومن العبيد العديدمنالرجال والنساء، ومن الماشية أنواع مختلفة فضلاً عن الممتلكات الكثيرة ، وكان له منزل فسيح على مساحة كبيرة من الأرض تصل إلى الموضع المعروف باسم سوسا Sosae . وهذا المنزل محاط بسور به باب خاص بالإضافة إلى أربع بوابات أخرى كبيرة رئيسية . وكان في سور المنزل مداخل جانبية مخصصة لكل نوع من الدواب ، فكان هناك مدخل لكل من الخيول والأفراس والأبقار والعجول والغنم والحمير وغير ذلك من الدواب ، ومن هذه المداخل تتجه الدواب إلى حظائرها .

وجاء ابن أساندر إلى خرسون وتزوج جيكيا ثم مات والدها لاماخوس بعد الزواج بعامين ، كما أن الأم كانت قد ماتت من قبله . وفي الذكرى السنوية لوفاة لاماخوس أرادت ابنته إحياء ذكرى والدها فطلبت من قادة المدينة وحاكمها زيثون Zethon السماح لها بأن تقدم لأهالي المدينة — إذا وافقوا — خمراً وخبزاً وزيتاً ولحماً وسمكاً وكل ما يطالبونه لإسعادهم، احتفالاً بذكرى لاماخوس. وعلى الشعب أن يحتفل جميعه رجالاً ونساء وأطفالاً بهذه الذكري وأن يتركوا عملهم ليرقصوا في الشوارع . ووعدت جيكيا المواطنين بأن تفعل الشيء نفسه سنوياً بمناسبة ذكرى والدها ، وأقسمت على هذا .

أما زوجها ابن أساندر الذي كان يدبر للخيانة في الخفاء فقد انتهز هذه الفرصة لتنفيذ خطته، بعدما تظاهر بالموافقة على كل ما تفعله زوجته، كما أنه هنأها على حسن تصرفها وشارك في الاحتفال وشرب أول كأس تأكيداً لمشاركة زوجته في تعهدها وقسمها .

وبعد الذكرى الأولى أرسل ابن أساندر تابعه الأمين برسالة إلى البسبوريين يخبرهم بأنه قد وجد وسيلة للسيطرة على مدينة خرسون دون تعب أو مشقة ، وطلب منهم أن يرسلوا له في أوقات متفرقة عشر أو إثني عشر شاباً يصلحون للخدمة العسكرية بالاضافة إلى بعض المجدفين بحجة أنهم يحملون الهدايا. وطلب منهم أيضاً أن ترسو السفن القادمة عند سيمبولون[1] Symbolon ، وسوف يقوم ابن أسندر من هذا المكان بمصاحبة الرجال القادمين على ظهور الخيل حتى مدينة خرسون بما معهم من هدايا .

---

(١) يتضح من النص ان المكان هو مرفأ بمدينة خرسون أو بالقرب منها .

ولمدة عامين قدم البسبوريون إلى مدينة خرسون تباعاً في أعداد قليلة محملة بالهدايا ولم تنكشف المؤامرة ، فقد كان ابن أساندر ينقلهم سيراً على الأقدام من سيمبولون، وبعد أيام وعلى مرأى من الجميع يرسلهم خارج المدينة وقت المساء ، ثم يسيرون خارجها لمسافة ثلاثة أميال ، ومع حلول الظلام يعودون مرة أخرى إلى ليمون Limon ثم إلى سوسا عن طريق البحر بالقوارب ويدخلون المنزل عن طريق البوابة الجانبية، ولم يعرف أحد بهذا السر سوى ثلاثة من الخدم البسبوريين الموثوق بهم . وكان لكل من هؤلاء الثلاثة مهمة محددة ، فالأول يتجه إلى السفن الراسية في سيمبولون ويعطي أوامره للرجال بالرحيل إلى ليمون ، والثاني يأخذهم ويوصلهم إلى ليمون، والثالث يحملهم في قارب من ليمون إلى سوسا ويتجه بهم إلى منزل ابن اسندر وهو منزل لاماخوس .وبمساعدة هؤلاء الثلاثة يوضع الرجال البسبوريون في سراديب المنزل دون أن تعلم جيكيا عن المؤامرة شيئاً . .

حدد ابن أساندر يوم الذكرى السنوية للاماخوس ، وعندما تحتفل المدينة كلها بهذه المناسبة ، وأثناء الحفل نفسه أو بعدما ينام الأهالي ، يقوم هو ورجاله الذين يحتفظ بهم بحرق المدينة وقتل جميع من فيها بعدما تجمع لديه خلال عامين ما يقرب من مائة رجل من البسبوريين .

وحدث أن فتاة من إماء جيكيا ، وهي وصيفة غرفة نومها ، وكانت من المقربين إليها وتحبها وتعطف عليها ، قد أخطأت فأبعدتها جيكيا عنها وحبستها ، وقد تم ذلك مع اقتراب يوم الذكرى السنوية . وقد حبست الفتاة في غرفة تقع فوق السرداب الذي يحتفظ فيه ابن أساندر بالبسبوريين . وعندما كانت الفتاة جالسة في غرفتها تغزل الكتان سقط الثقل من المغزل وتدحرج إلى فتحة في الحائط ، ولما حاولت الفتاة إعادة

الثقل تعذر عليها ذلك لعمق الفتحة التي سقط فيها ، فاضطرت لنــزع حجر من أرضية الغرفة المجاورة للحائط لتصل إلى الثقل . ومن خــلال هذه الفتحة رأت السرداب وقد تجمع به عدد كبير من الرجال ، فأعادت الحجر إلى ما كان عليه بحذر حتى لا يراها أحد . وأرسلت الفتاة سراً أحد الخدم ليدعو سيدتها إليها لأمر في غاية الأهمية تريدمن سيدتهاأن تراه وتسمعه ، وألهم الله جيكيا أن تتجه إلى الفتاة ، وما أن رأتها تدخل الغرفة وحدها حتى أغلقت الباب وركعت عند قدميها وقالت لهــا : إنــني كخادمتك لا أستحق منك التفضل بالحضور ولكن هناك أمراً غريبــاً أريد أن أطلعك عليه . وهدأت جيكيا من روع الفتاة وطلبت منهــا الإفصاح ، فقادتها إلى الحائط ورفعت قطعة الحجر بخفة لترى جيكيا من خلال الفتحة جموع البسبوريين الذين يختبئون في السرداب ، ودهشت جيكيا لما رأت وأيقنت أن وراء ذلك مؤامرة خطيرة . وسألت الفتاة عن كيفية اكتشاف ذلك ، فروت لها الفتاة ما حدث فأمرتها جيكيا بإعادة الحجر إلى ما كان عليه بحذر حتى لا يشعر بها أحد ، ثم ضمتها بــين ذراعيها وقبلتها بامتنان وإخلاص وعفت عنها وقالت لها يا طفلتي الصغيرة إن الله أراد لك أن تخطئي حتى تنكشف لنا هذه المؤامرة ، وطلبت منها أن يظل ما حدث سراً لا تبوح به لأحد . وعادت الفتاة كوصيفة لسيدتها وأصبحت ملازمة لها وكاتمة أسرارها ومصدر ثقتها أكثر من ذي قبل .

دعت جيكيا إثنين من أقاربها تثق بهما ثقة كبيرة وطلبت منهمــا ، أن يطلبا سراً من الرؤساء والنبلاء الاجتماع واختيار ثلاثة يثقون بهــم ويتصفون بكتمان الأسرار ، وعلى هؤلاء الثلاثة أن يقسموا بأن يفعلوا ما تأمرهم به جيكيا ، ثم يرسلون إليهــا سراً لتسر إليهم بأمر هــام للغاية ، وهو أمر حيوي ويتعلق بالمصلحة العامة للمدينة ، وطلبت أيضاً منهما أن يتم ذلك في أسرع وقت ممكن .

واتجه القريبان على الفور إلى الرؤساء والنبلاء وأخبروهم سراً بما هو مطلوب ، وفي الحال تم اختيار ثلاثة من الثقاة ، وأقسم الثلاثة بتنفيذ ما تطلبه جيكيا ، ولا يحنثون بعهدهم وينفذون ما تأمر به جيكيا سواء كان نقل معلومات أو أي عمل آخر بكل دقة ، وعليهم أن يظلوا أوفيـاء بعهدهم حتّى النهاية .

ذهب الرجال الثلاثة إلى جيكيا سراً فاستقبلتهم ، وطلبت منهم أن يقسموا على تنفيذ ما تأمر به وما سوف يطلب منهم ، فأقسموا وتعهدوا بأن ينفذوا بأمانة ما تأمر به وأنهم مخلصون في تنفيذ ذلك حتّى النهاية . وطلبت جيكيا أولاً أن يقسموا ويتعهدوا بدفنها وسط المدينة عنـد وفاتها ، وأنها بعد ذلك سوف تخبرهم بسرها وأكدت لهم أنها سوف لا تطلب منهم شيئاً فوق طاقتهم . فأقسم الرجال الثلاثة وأبدوا رغبتهم الكاملة واستعدادهم لتنفيذ ذلك وتعهد الرجال بدفنها وسط المدينة وأن جثتها لن تحمل خارج أسوارها . واطمأنت جيكيا بعد تعهدهم واقتنعت به وبقسمهم ، وبدأت من جانبها تكشف لهم سرها ، وأخبرتهم بـأن زوجها لا زال يحمل في نفسه الرذيلة التي جبل عليها أهل مدينة بسبور ، وبما يكنه من الحقد والتآمر ضد مدينة خرسون ، وأنه أدخل سراً إلى البيت جماعة كبيرة من البسبوريين أتى بهم على فترات متقطعة حـتّى تجمع في سرداب المنزل أكثر من مائتي [1] شخص مزودين بالسلاح ، وأضافت: إنني كنت غافلة عن هذا الأمر حتّى أوجد الله له الأسبـاب التي كشفته ، وأن خطته على ما يبدو ستنفذ يوم ذكرى والدها وهـو اليوم الذي قدمت فيه لأهل المدينة كل ما يسعدهم ، وبعد ذلك وعندما

---

(١) سبق أن أورد المؤلف في نفس الموضوع أن العدد الذي تجمع يقرب من مائة .

يخلدون إلى النوم، تبدأ الخطة ليلاً بأن يقوم هو ورجاله بحرق المنازل وقتلهم جميعاً .

وأضافت جيكيا بأن موعد الحفل قد اقترب ، وأنها سوف تقوم من جانبها بتقديم ما أقسمت عليه وتعهدت به لإسعاد أهل المدينة في هـذه المناسبة ، وقالت ان أطلبه منكم هو أن يمرح الجميع كعادتهم حتى لا يشعر أحد باكتشاف المؤامرة ، فتندلع حرباً أهلية ، فليلهو أهل المدينة ويرقصون في الميادين كما هو متبع. وعلى كل فرد أن يستعد ويضع في بيته الخشب والحطب حتى يظاهر للجميع بأن المحتفلين سيذهبون إلى النوم والراحة بعد أن يفرغوا من الرقص والمرح .

وأوضحت لهم جيكيا بأنها ستعمل من جانبها على إنهاء الحفل بأسرع وقت ممكن وأنها ستأمر العبيد بغلق بوابات المنزل ، وعلى جميع الرجال أن يحملوا في الحال الخشب والحطب والمشاعل ويجعلوا منها كومة تسد الممرات التي توجد أمام البوابات الجانبية وحول جميع جوانب المنزل، وعلى الجميع أن يسكبوا النفط على الخشب حتى يشتعل بسرعة ، وعلى الجميع أيضاً إشعال النار عندما تخرج جيكيا وتعطيهم إشارة بـذلك . وعلى الرجال أن يحاصروا المنزل تماماً ويقتلوا من يحاول الخروج مـن البوابات أو القفز من النوافذ ، وبعدما تفهم الرجال خطة جيكيـا أذنت لهم بالإنصراف ليخبروا أهل المدينة بالأمـر ليستعدوا حسـب تعليماتها .

وعندما علم الأهالي من الرجال الثلاثة بالمؤامرة نفذوا ما أمرت به جيكيا . وحل يوم الذكرى السنوية وتظاهرت جيكيا بالفرح في هـذه المناسبة وساهمت مع زوجها ليكون الاحتفال أكثر مرحاً من الأعوام

السابقة وأحضرت متطلبات الحفل حسب ما وعدت به في كل عام . والتمست جيكيا من زوجها توزيع كميات من الخمر أكثر مما اعتادوا عليه من قبل . ورقص أهالي المدينة طوال النهار وعندما حل المساء تفرقوا وعادوا إلى منازلهم التماساً للراحة واستمر مرحهم مع ذويهم داخل المنازل .

أما جيكيا فقد حثت جميع من بمنزلها على الشراب بكل حرية حتى يسكروا ويناموا بسرعة ، وهمست في آذان وصيفاتها بعدم الشراب ، وكان على جيكيا ألا تسكر هي الأخرى ، ولذلك أخذت كأساً أرجوانياً وهمست سراً في أذن وصيفتها بألا تسكب فيه خمراً بل ماء وتقدمه لها . وعندما رأى زوجها الكأس الأرجواني اعتقد أنها تشرب الخمر ولم يدر بخلده أن الكأس يملأ بالماء بدلاً من الخمر . وبعدما انتهى حفل النهار بسلام وحفل المساء داخل المنازل ، طلبت جيكيا من زوجها الذهاب إلى النوم طلباً للراحة ، فسر زوجها من ذلك سروراً عظيماً وأسرع إلى فراشه ، لأنه لا يستطيع أن يطلب منها ذلك حتى لا يكون في طلبه إشارة لما تخفيه نفسه من المؤامرة التي ينوي تنفيذها .

وعند هذه المرحلة أمرت جيكيا بإغلاق جميع البوابات والنوافذ وأن تعاد إليها المفاتيح لتحتفظ بها كما هو متبع . وبعدما تم ذلك انتحت جيكيا بوصيفتها التي اكتشفت المؤامرة جانباً وهمست إليها بأن تقوم وزميلاتها من الوصيفات بجمع المجوهرات الخاصة ومصوغاتها الذهبية وكل ما يتعلق بها من أشياء ثمينة،وإخفائها في صدورهن ، ويكن على استعداد ليتبعوها عندما تعطيهم إشارة بذلك ، وفعلت الوصيفات ما أمرتهن به .

أما زوجها فقد كان راقداً في إغفاءة سريعة ليستيقظ بعدها كي ينفذ مؤامرته الغادرة ضد مدينة خرسون . ولكن جيكيا كانت ساهرة

تراقب من بالمنزل حتى ناموا جميعاً بما فيهم زوجها الذي استغرق في النوم بتأثير ما شربه من خمر كثير . واطمأنت جيكيا لنوم الجميع بما فيهم زوجها وتسللت إلى خارج المنزل مع وصيفاتها بهدوء من البوابات الجانبية ثم أحكمت إغلاقها ، وأعطت الإشارة على الفور لأهل المدينة لإشعال النار حول المنزل ، وتم ذلك وأمسكت النار بالمنزل ، وقتل الأهالي من حاول الخروج من البوابات أو القفز من النوافذ ،وانهار المنزل على من فيه ، وحفظ الله مدينة خرسون من غدر البسبوريين . وعندما حاول الأهالي إزالة أنقاض المنزل واستخدام الأرض في البناء منعتهم جيكيا من تنفيذ ذلك ، بل أمرت بإلقاء قاذورات المدينة فوق الأنقاض ليدفن المنزل تحت القاذورات باعتباره كان وكراً للغدر والخيانة ضد مدينة بأسرها . وحتى ذلك الوقت كان يعرف هذا المكان باسم برج الجاسوس .

وبعدما رأى الخرسونيون كل ما فعلته جيكيا من أجلهم ، وأنها لم تبخل عليهم بكل ما تملكه ، وأنها وضعت نصب عينيها إنقاذ المدينة ، ومن أجل الخدمة الجليلة التي قدمتها لبلدها وأهلها ،أقاموا لها تمثالين في ساحة المدينة يمثلان شابة في مقتبل العمر كما كانت وقتذاك تعبيراً عن حبها العميق وتضحيتها التي لا حد لها من أجل مواطنيها وتذكرة لها وهي في هذه السن الصغيرة ، وعلى ما أظهرته من الحكمة وحسن التدبير وهو ما ساعدها بفضل الله على إنقاذ أرض أبنائها . وعلى أحد الأعمدة مثلوها بكامل زينتها وكتبوا قصة خيانة زوجها ، وعلى عامود آخر مثلوها وهي تحارب الخونة ، كما دونوا على قاعدة التمثال كل ما فعلته وكل ما قدمته لبلدها ومواطنيها . وكان يأتي كل محب للفضيلة ليزيل

الغبار عن قاعدة التمثال ليقرأ ما دون عليها، ولتظل ذكرى جيكيا باقية ويعرف الناس بحقيقة خيانة البسبوريين [1] .

وبعد مرور بضع سنوات ، عندما كان ستراتوفيلوس ابن ستراتوفيلوس قائداً ورئيساً على مدينة خرسون Stratophilus أرادت جيكيا التي تميزت بالذكاء والفطنة ، أن تختبر الخرسونيين وترى مدى إخلاصهم في تنفيذ العهد الذي قطعوه على أنفسهم بدفنها في وسط المدينة. وبالاتفاق مع وصيفاتها تظاهرت بأنها ملت الحياة وماتت. ووضعتها الوصيفات في تابوت وأرسلن إلى أهل المدينة يطلبن تحديد المكان الذي تدفن فيه . وفكر الخرسونيون في موت جيكيا ولم يكونوا راغبين في الوفاء بعهدهم ودفنها وسط المدينة ، فحملوها إلى خارج المدينة لدفنها . وعندما أنزل التابوت في اللحد نهضت جيكيا ونظرت حولها إلى مواطنيها وقالت ، هل هذا هو وعدكم الذي أقسمتم عليه ، وهل هذا هو سلوككم في تعاملكم ؟ واأسفاه على من علمكم الإيمان .

وعندما رأى الخرسونيون كيف سخرت جيكيا منهم خجلوا من تصرفاتهم خجلاً شديداً لحنثهم بالعهد ، وهدأوا من روعها والتمسوا عفوها عن خطيئتهم وألا تعيرهم بها ، وجددوا لها العهد والقسم بأنهم لن يدفنوها خارج المدينة بل في وسطها . وتأكيداً لذلك أقاموا لها وهي على قيد الحياة قبراً في الموضع الذي اختارته ، وأقاموا لها تمثالاً آخر مطلياً بالذهب ووضعوه فوق قبرها .

---

(١) لعل في هذه الرواية ما يشير الى خطورة الزواج من اجانب ، وهي الفكرة التي طالما دافع قسطنطين السابع عنها ، وساق فيها امثلة سابقة ٠ انظر على سبيل المثال الموضوع رقم (١٣) ٠

وتطرق المؤلف إلى موضوعات أخرى وذكر أنه خارج مدينـــة تماتارخا [1] Tamatarcha توجد آبار كثيرة تنتج النفــط . وفي زيخيا [2] بالقرب من موضع يسمى باجي Pagi في منطقة باباجـــي Papagi حيث يقطن الزيخيون توجد تسعة آبار تنتج النفط ، ولكن النفط الناتج من هذه الآبار التسعة ليس بلون واحد ، فبعضه أحمـــر وبعضه أصفر ، والبعض الآخر يميل إلى السواد .

وفي زيخيا أيضاً وبالقرب من باباجي كذلك عند قرية ساباكــس Sapaxi ومعناها التراث ، يوجد ينبوع للنفط .

وهناك ينبوع آخر ينتج النفط في قرية تسمى خاموخ Chamouch ، وخاموخ هو اسم الرجل الذي أسس القرية في الزمن القديم ولذلك سميت باسمه . وهذه الأماكن تبعد عن البحر بمسافة رحلة يوم بدون تغيــير الخيل .

وفي درزين Derzene بالقـــرب مـــن قريـــة سابيكيـــون Sapikion ، وقرية إبسكوبيون Episkopion يوجد بئر ينتج النفط .

ويوجد بئر للنفط كذلك في إقليم تزيليابرت Tziliapert بالقرب من قرية سرخياباراكس Srechiabarax

ويعود المؤلف إلى خرسون مرة أخرى ويروي أنه إذا حدث وثار مواطنو مدينة خرسون أو شقوا عصا الطاعة على الإمبراطورية ، فإن كل

---

(١) تقع على المدخل الايمن لبحيرة مايوتيك .

(٢) تقع في الشمال الشرقي للبحر الاسود جنوب مدينة تماتارخا .

سفن الخرسونيين الراسية في القسطنطينية ، تصادر بحمولتها ، ويتم إعتقال البحارة والمسافرين ووضعهم في السجن ، ويرسل الإمبراطور ثلاثة مندوبين أولهم إلى ساحل ولاية أرميناكوى ، والثاني إلى ساحل ولاية بفلاجونيا Paphlagonia ، والثالث إلى ساحل ولاية بوكيلاريوى[1] للاستيلاء على سفن الخرسونيين الراسية هناك ومصادرتها بحمولتها واعتقال من عليها وسجنهم في سجون الإمبراطورية العامة ، وعليهم إرسال تقرير بذلك . وعلاوة على ما تقدم فعلى هؤلاء المندوبين الإمبراطوريين منع السفن التابعة لبافلاجونيا وبوكيلاريوى وبنطس من التوجه إلى مدينة خرسون وهي محملة بالقمح أو النبيذ أو أي سلع أو بضائع أخرى . كما ترسل أيضاً التعليمات إلى الحاكم العسكري لمصادرة العشرة جنيهات الذهبية التي تمنحها الخزانة لمدينة خرسون ، وجنيهين من الضرائب ، وعلى الحاكم العسكري أن ينسحب من المدينة ويتجه إلى مدينة أخرى ليقيم فيها .

وإذا توقف الخرسونيون عن رحلاتهم إلى الأراضي الرومانية ليبيعوا جلود الحيوانات والشمع الذي يستوردونه من البجناكية[2] ، فإنهم لا يستطيعون الحياة ، كما أن منع قمح أرمينياكوى وبافلاجونيا وبوكيلاريوى يضرهم ضرراً بالغاً [3] .

---

(١) تطل هذه الولايات الثلاث على الساحل الجنوبي للبحر الاسود ·

(٢) انواع مـن السلع التي يستوردها أهـل خرسون من البجناكية ويبيعونها داخل الامبراطورية ·

الخلفاء والحكام

الخلفاء الراشدون

(١١ – ٤٠ هـ / ٦٣٢ – ٦٦١ م)

	هجري	ميلادي
١ – أبو بكر الصديق	١١ – ١٣	٦٣٢ – ٦٣٤
٢ – عمر بن الخطاب	١٣ – ٢٣	٦٣٤ – ٦٤٤
٣ – عثمان بن عفان	٢٣ – ٣٥	٦٤٤ – ٦٥٦
٤ – علي بن ابي طالب	٣٥ – ٤٠	٦٥٦ – ٦٦٠

الأمويون في دمشق

(٤١ – ١٣٢ هـ / ٦٦١ – ٧٥٠ م)

	هجري	ميلادي
١ – معاوية الأول ابن أبي سفيان	٤١ – ٦٠	٦٦١ – ٦٨٠
٢ – يزيد الأول ابن معاوية	٦٠ – ٦٤	٦٨٠ – ٦٨٣
٣ – معاوية الثاني ابن يزيد	– ٦٤	٦٨٣ – ٦٨٤
٤ – مروان الأول ابن الحكم	٦٤ – ٦٥	٦٨٤ – ٦٨٥
٥ – عبد الملك بن مروان	٦٥ – ٨٦	٦٨٥ – ٧٠٥
٦ – الوليد الأول ابن عبد الملك	٨٦ – ٩٦	٧٠٥ – ٧١٥
٧ – سليمان بن عبد الملك	٩٦ – ٩٩	٧١٥ – ٧١٧
٨ – عمر بن عبد العزيز	٩٩ – ١٠١	٧١٧ – ٧٢٠
٩ – يزيد الثاني ابن عبد الملك	١٠١ – ١٠٥	٧٢٠ – ٧٢٤
١٠ – هشام بن عبد الملك	١٠٥ – ١٢٥	٧٢٤ – ٧٤٣
١١ – الوليد الثاني ابن يزيد	١٢٥ – ١٢٦	٧٤٣ – ٧٤٤
١٢ – يزيد الثالث ابن الوليد	– ١٢٦	– ٧٤٤
١٣ – ابراهيم بن الوليد	١٢٦ – ١٢٧	– ٧٤٤
١٤ – مروان الثاني ابن محمد	١٢٧ – ١٣٢	٧٤٤ – ٧٥٠

الخلفاء العباسيون في بغداد

(١٣٢ — ٦٥٦ هـ / ٧٥٠ — ١٢٥٨ م)

الخليفة	هجري	ميلادي
١ - أبو العباس عبد الله السفاح بن محمد	١٣٢ — ١٣٦	٧٥٠ — ٧٥٤
٢ — أبو جعفر عبد الله المنصور بن محمد	١٣٦ — ١٥٨	٧٥٤ - ٧٧٥
٣ — أبو عبدالله محمد المهدي بن المنصور	١٥٨ — ١٦٩	٧٧٥ — ٧٨٥
٤ — أبو محمد موسى الهادي بن المهدي	١٦٩ — ١٧٠	٧٨٥ — ٧٨٦
٥ — أبو جعفر هارون الرشيد بن المهدي	١٧٠ — ١٩٣	٧٨٦ — ٨٠٩
٦ — أبو موسى محمد الأمين بن الرشيد	١٩٣ — ١٩٨	٨٠٩ — ٨١٣
٧ — أبو جعفر عبد الله المأمون بن الرشيد	١٩٨ — ٢١٨	٨١٣ — ٨٣٣
٨ — أبو اسحق محمد المعتصم باللهبن الرشيد	٢١٨ — ٢٢٧	٨٣٣ — ٨٤٢
٩ — أبو جعفر هارون الواثق باللهبن المعتصم	٢٢٧ — ٢٣٢	٨٤٢ — ٨٤٧
١٠ — أبو الفضل جعفر المتوكل على اللهبن المعتصم	٢٣٢ — ٢٤٧	٨٤٧ — ٨٦١
١١ — أبو جعفر محمد المنتصر باللهبن المتوكل	٢٤٧ — ٢٤٨	٨٦١ — ٨٦٢
١٢ — أبو العباس احمد المستعين بالله بن محمد بن المعتصم	٢٤٨ — ٢٥٢	٨٦٢ — ٨٦٦
١٣ — أبو عبد الله محمد المعتز باللهبن المتوكل	٢٥٢ — ٢٥٥	٨٦٦ — ٨٦٩
١٤ — أبو اسحق محمد المهتدي باللهبن الواثق	٢٥٥ — ٢٥٦	٨٦٩ — ٨٧٠
١٥ — أبو العباس أحمد المعتمد على اللهبن المتوكل	٢٥٦ — ٢٧٩	٨٧٠ — ٨٩٢
١٦ — أبو العباس أحمد المعتضد باللهبن الموفق بن المتوكل	٢٧٩ — ٢٨٩	٨٩٢ — ٩٠٢

(تابع) الخلفاء العباسيون

	هجري	ميلادي
١٧ ـ أبو محمد علي المكتفي بالله بن المعتضد	٢٨٩ ـ ٢٩٥	٩٠٢ ـ ٩٠٨
١٨ ـ أبو الفضل جعفر المقتدر بالله بن المعتضد	٢٩٥ ـ ٣٢٠	٩٠٨ ـ ٩٣٢
١٩ ـ أبو منصور محمد القاهر بالله بن المعتضد	٣٢٠ ـ ٣٢٢	٩٣٢ ـ ٩٣٤
٢٠ ـ أبو العباس أحمد الراضي بالله بن المقتدر	٣٢٢ ـ ٣٢٩	٩٣٤ ـ ٩٤٠
٢١ ـ أبو اسحق ابراهيم المتقي لله بن المقتدر	٣٢٩ ـ ٣٣٣	٩٤٠ ـ ٩٤٤
٢٢ ـ أبو القاسم عبد الله المستكفي بالله ابن المكتفي	٣٣٣ ـ ٣٣٤	٩٤٤ ـ ٩٤٦
٢٣ ـ أبو القاسم الفضل المطيع لله بن المقتدر	٣٣٤ ـ ٣٦٣	٩٤٦ ـ ٩٧٤
٢٤ ـ أبو الفضل عبد الكريم الطائع لله بن المطيع	٣٦٣ ـ ٣٨١	٩٧٤ ـ ٩٩١
٢٥ ـ أبو العباس أحمد القادر بالله بن اسحق بن المقتدر	٣٨١ ـ ٤٢٢	٩٩١ ـ ١٠٣١
٢٦ ـ أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله ابن القادر	٤٢٢ ـ ٤٦٧	١٠٣١ ـ ١٠٧٥
٢٧ ـ أبو القاسم عبد الله عدة الدين المقتدي بأمر الله	٤٦٧ ـ ٤٨٧	١٠٧٥ ـ ١٠٩٤
٢٨ ـ أبو العباس أحمد المستظهر بالله ابن المقتدي	٤٨٧ ـ ٥١٢	١٠٩٤ ـ ١١١٨
٢٩ ـ أبو منصور الفضل المسترشد بالله ابن المستظهر	٥١٢ ـ ٥٢٩	١١١٨ ـ ١١٣٥
٣٠ ـ أبو جعفر المنصور الراشد بن المسترشد	٥٢٩ ـ ٥٣٠	١١٣٥ ـ ١١٣٦

(تابع) الخلفاء العباسيون

	هجري	ميلادي
٣١ ـ أبو عبد الله محمد المقتضي لأمر الله بن المستظهر	٥٣٠ ـ ٥٥٥	١١٣٦ ـ ١١٦٠
٣٢ ـ أبو المظفر يوسف المستنجد بالله ابن المقتضى	٥٥٥ ـ ٥٦٦	١١٦٠ ـ ١١٧٠
٣٣ ـ أبو محمد الحسن المستضيء بأمر الله بن المستنجد	٥٦٦ ـ ٥٧٥	١١٧٠ ـ ١١٨٠
٣٤ ـ أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضيء	٥٧٥ ـ ٦٢٢	١١٨٠ ـ ١٢٢٥
٣٥ ـ أبو نصر محمد الظاهر بأمر الله ابن الناصر	٦٢٢ ـ ٦٢٣	١٢٢٥ ـ ١٢٢٦
٣٦ ـ أبو جعفر المنصور المستنصر بالله ابن الظاهر	٦٢٣ ـ ٦٤٠	١٢٢٦ ـ ١٢٤٢
٣٧ ـ أبو أحمد عبد الله المستعصم بالله ابن المستنصر	٦٤٠ ـ ٦٥٦	١٢٤٢ ـ ١٢٥٨

قتله هولاكو ١٤ صفر ٦٥٦ هـ

الحمدانيون في حلب

٣٣٣ – ٣٩٤ هـ – ٩٤٤ – ١٠٠٣

	هجري	ميلادي
١ – أبو الحسن علي ، سيف الدولة الحمداني	٣٣٣ – ٣٥٦	٩٤٤ – ٩٦٧
٢ – سعد الدولة ، أبو المعالي شريف الحمداني	٣٥٦ – ٣٨١	٩٦٧ – ٩٩١
٣ – سعيد الدولة أبو الفضائل سعيد الحمداني	٣٨١ – ٣٩٢	٩٩١ – ١٠٠١
٤ – أبو الحسن علي أبو المعالي شريف الثاني	٣٩٢ – ٣٩٤	١٠٠١–١٠٠٣

ثبـــت
للأباطرة البيزنطيين

اسرة قسطنطين

	ميلاديــة
قسطنطين الأول (الكبير)	٣٠٦ — ٣٣٧
قسطنطين الثاني	٣٣٧ — ٣٦١
جوليان (يوليان)	٣٦١ — ٣٦٣
جوفيــان	٣٦٣ — ٣٦٤
فالـــنز	٣٦٤ — ٣٧٨

اسرة ثيودوسيوس

ثيودوسيوس الأول (الكبير)	٣٧٩ — ٣٩٥
أركاديوس	٣٩٥ — ٤٠٨
ثيودوسيوس الثاني	٤٠٨ — ٤٥٠
مارسيــان	٤٥٠ — ٤٥٧
ليو الأول	٤٥٧ — ٤٧٤
زينـــو	٤٧٤ — ٣٩١
أناستاس	٤٩١ — ٥١٨

اسرة جستنيان

	ميلاديـة
جستن الأول	٥١٨ — ٥٢٧
جستنيان الأول	٥٢٧ — ٥٦٥
جستن الثاني	٥٦٥ — ٥٧٨
طيبريوس الأول	٥٧٨ — ٥٨٢
موريس	٥٨٢ — ٦٠٢
فوقاس (مغتصب)	٦٠٢ — ٦١٠

اسرة هرقل

هرقـــل	٦١٠ — ٦٤١
قسطنطين الثالث	٦٤١ — ٦٤٢
قنسطانز الثاني	٦٤٢ — ٦٦٨
قسطنطين الرابع (بوجوناتوس)	٦٦٨ — ٦٨٥
جستنيان الثاني	٦٨٥ — ٦٩٥
ليونتيوس (مغتصب)	٦٩٥ — ٦٩٨
طيبريوس الثاني	٦٩٨ — ٧٠٥
جستنيان الثاني (عودته)	٧٠٥ — ٧١١
فيليبكوس	٧١١ — ٧١٣
أناستاس الثاني	٧١٣ — ٧١٦
ثيودوسيوس الثالث	٧١٦ — ٧١٧

الأسرة الايسورية

ليو الثالث	٧١٧ — ٧٤١
قسطنطين الخامس	٧٤١ — ٧٧٥

(تابع) الاباطرة البيزنطيون

	ميلاديـة
ليو الرابع	٧٧٥ — ٧٨٠
قسطنطين السادس	٧٨٠ — ٧٩٧
أيرين	٧٩٧ — ٨٠٢

خلفاء الايسوريين

نقفور الأول (مختصب)	٨٠٢ — ٨١١
ستوراكيوس	٨١١
ميخائيل الأول	٨١١ — ٨١٣
ليو الخامس الأرميني	٨١٣ — ٨٢٠

الأسرة العمورية

ميخائيل الثاني	٨٢٠ — ٨٢٩
ثيوفيلوس	٨٢٩ — ٨٤٢
ميخائيل الثالث (السكير)	٨٤٢ — ٨٦٧

الأسرة المقدونية

باسيل الأول	٨٦٧ — ٨٨٦
ليو السادس (الحكيم)	٨٨٦ — ٩١٢
الكسندر	٩١٢ — ٩١٣
قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس (اشترك معه روماثوس الأول ليكابينوس المغتصب) من ٩١٩ — ٩٤٤)	٩١٣ — ٩٥٩
رومانوس الثاني	٩٥٩ — ٩٦٢
تقفور فوقاس	٩٦٣ — ٩٦٩

(تابع) الإباطرة البيزنطيون

	ميلاديــة
يوحنا الأول تزيمسكس	٩٦٩ — ٩٧٦
باسيل الثاني (سفاح البلغار)	٩٧٦ — ١٠٢٥
قسطنطين الثامن	١٠٢٥ — ١٠٢٨
زوى	١٠٢٨ — ١٠٥٠
اشترك معها في الحكم أرزواجها وهم :	
رومانوس الثالث (أرجيروس)	١٠٢٨ — ١٠٣٤
ميخائيل الرابع (البلافلاجوني)	١٠٣٤ — ١٠٤١
ميخائيل الخامس (قلفات)	١٠٤١ — ١٠٤٢
قسطنطين التاسع مونوماخوس	١٠٤٢ — ١٠٥٤
ثيودورا	١٠٥٤ — ١٠٥٦
ميخائيل السادس (ستراتيوتيكوس)	١٠٥٦ — ١٠٥٧

اسرة دوكاس وآل كومنين

إسحق الأول كومنين	١٠٥٧ — ١٠٥٩
قسطنطين العاشر (دوكاس)	١٠٥٩ — ١٠٦٧
رومانوس الرابع (ديوجينس)	١٠٦٧ — ١٠٧١
ميخائيل السابع (دوكاس)	١٠٧١ — ١٠٧٨
تقفور الثالث (بوتانياتس) (مغتصب)	١٠٧٨ — ١٠٨١
الكسيوس الأول (كومنين)	١٠٨١ — ١١١٨
يوحنا الثاني (كومنين)	١١١٨ — ١١٤٣
مانويل الأول (كومنين)	١١٤٣ — ١١٨٠
الكسيوس الثاني (كومنين)	١١٨٠ — ١١٨٣
اندرونيقوس الأول (كومنين)	١١٨٣ — ١١٨٥

(تابع) الاباطرة البيزنطيون

أسرة انجيلى

	ميلاديـة
اسحق الثاني	١١٨٥ – ١١٩٥
الكسيوس الثالث	١١٩٥ – ١٢٠٣
اسحق الثاني (عودته واشتراكه مع ابنه الكسيوس الرابع)	١٢٠٣ – ١٢٠٤
الكسيوس الرابع (مورتزفلوس)	١٢٠٤

الأباطرة اللاتين في القسطنطينية

بولدوين أمير الفلاندر	١٠٢٤ – ١٢٠٥
هنري أمير الفلاندر	١٠٢٦ – ١٢١٦
بطرس كورتناي	١٢١٧
يولند	١٢١٧ – ١٢١٩
روبرت الثاني (كورتناي)	١٢٢١ – ١٢٢٨
بولدوين الثاني	١٢٢٨ – ١٢٦١

(تحت وصاية يوحنا دى بيرين ١٢٢٩ – ١٢٣٧ ، ممارسة بولدوين للسلطة بمفرده ١٢٤٠ – ١٢٦١).

اباطرة نيقية البيزنطيون

ثيودور الأول لاسكاريس	١٠٢٤ – ١٢٢٢
يوحنا الثالث فاتاتزيس	١٢٢٢ – ١٢٥٣
ثيودور الثاني لاسكاريس	١٢٥٤ – ١٢٥٨
يوحنا الرابع لاسكاريس	١٢٥٨ – ١٢٥٩
ميخائيل الثامن باليولوج (مغتصب)	١٢٥٩ – ١٢٦١

(تابع) الاباطرة البيزنطيون

اسرة آل باليولوج

	ميلاديـة
ميخائيل الثامن	١٢٦١ — ١٢٨٢
أندرونيقوس الثاني	١٢٨٢ — ١٢٢٨
(بالاشتراك مع ابنه ميخائيل التاسع ١٢٩٥ — ١١٢٢)	
أندرونيقوس الثالث	١٢٢٨ — ١٣٤١
يوحنا الخامس	١٣٤١ — ١٢٧٦
يوحنا السادس كانتاكوزين (مغتصب)	١٣٤١ — ١٢٥٥
أندرونيقوس الرابع (ابن يوحنا الخامس)	١٣٧٦ — ١٢٧٩
يوحنا الخامس (عودته)	١٣٧٩ — ١٣٩١
يوحنا السابع (ابن اندرونيقوس الرابع ؛ مغتصب)	١٣٩١
مانويل الثاني	١٣٩١ — ١٤٢٥
يوحنا الثامن	١٤٢٥ — ١٤٤٨
قسطنطين الحادي عشر	١٤٤٨ — ١٤٥٣

حكـام مسترا البيزنطـين

مانويل كانتاكوزين	١٢٤٨ — ١٣٨٠
ماثيو كانتاكوزين	١٣٨٠ - ١٣٨٣
ثيودور الأول باليولوج	١٣٨٣ — ١٤٠٧
ثيودور الثاني	١٤٠٧ — ١٤٤٣
قسطنطين دراجاسيس	١٤٢٨ — ١٤٤٨
توماس	١٤٣٢ — ١٤٦٠
ديمتريوس	١٤٤٩ — ١٤٦٠

ملوك أرمينيا من أسرة باجراتيد

آشوط الأول	٨٨٥ — ٨٩٠ م
سمبات الأول (الشهيد)	٨٩٠ — ٩١٤ م
آشوط الثاني	٩١٤ — ٩٢٨ م
عباس	٩٢٨ — ٩٥٢ م
آشوط الثالث	٩٥٢ — ٩٧٧ م
سمبات الثاني	٩٧٧ — ٩٨٩ م
كاجيك الأول	٩٨٩ — ١٠٢٠ م
يوحنا سمبات الثالث	١٠٢٠ — ١٠٤٠ م
آشوط الرابع	١٠٢١ — ١٠٣٩ م
كاجيك الثاني	١٠٤٢ — ١٠٤٥ م

ملوك واحكام إيبريا

أدراناس الرابع	ملك	٨٨٨ — ٩٢٣ م
	قوبلاط	٨٩١ — ٩٢٣ م
داود الثاني	ملك	٩٢٣ — ٩٣٧ م
آشوط الثاني	قوبلاط	٩٢٣ — ٩٥٤ م
سمبات الأول	قوبلاط	٩٥٤ — ٩٥٨ م
	ملك	٩٣٧ — ٩٥٧ م
باجرات الثاني	ملك	٩٥٨ — ٩٩٤ م
ادراناس بن باجرات	قوبلاط	٩٥٨ — ٩٦١ م
داود الكبير	قوبلاط	٩٠٠ — ١٠٠٠ م
جورجين الأول	ملك مشارك	٩٧٥ — ٩٩٤ م
	ملك	٩٩٤ — ١٠٠٨ م
باجرات الثالث	قوبلاط	١٠٠٠ — ١٠٠٨ م
	ملك	١٠٠٨ — ١١١٤ م

توحدت أبا سيجيا وإيبريا في عام ١٠٠٨ م تحت إسم جورجيا .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر الأجنبية

Augustine,

City of God . London, 1976 .

Cedrenus, G.,

Historiarum Compendium .

C.S.H.B. 1838 - 9 .

Constantine Porphyrogenitus,

1 - De Adminstrando Imperio. English trans. by R.J.H. Jenkins. Washington, 1967 .

2 - De Cermoniis Aulae Byzantinae . C.S.H.B. 1929 - 30 .

George Monachus,

Vita Recentiorum Imperatorum .

C.S.H.B. 1838 .

Gregory of Tour,

The History of Franks. London, 1974 .

Michal Le Syrian,

Chronique. Ed. with French trans. by J.B. Chabot. 4 vols. Paris, 1899 - 1910 .

Nicholas I, Patriarch of Constantinople,

Letters, Greek Text and English Translation by R.J.H. Jenkins and L.G. Westerink. Washington, 1973 .

Photius,

The Homilies. English Tronslation, Introduction and Commentary by Cyril Mango. Harvard, 1958 .

The Conquest of Constantinople, CF. Lyon, The High

Pliny,

Naturalis Historiae. tr. H. Rachham, Harvard, 1958 .

Robert of Clari,

Middle Age. New York, 1964 .

Theophanes Continuatus,

Chronographia . C.S.H.B. 1838 .

Vardan,

Extrait dé L' Histoire Universelle. Etude de Critique Texuelle et Litteraire par J. Muyldermaus. Paris, 1927.

ثانيا : المصادر العربية

ابن الأثير : (ت ٦٣٠ — ١٢٢٤ م) أبو الحسن بن أبي الكرم الملقب عز الدين : الكامل في التاريخ — ١٣ ح — بيروت ١٩٦٥ — ١٩٦٧ .

ابن حوقل (عاش في القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي)
أبو القاسم محمد :
صورة الأرض – دار الحياة – بيروت ١٩٧٩

ابن خلدون (٨٠٨ – ١٤٠٦ م) عبد الرحمن محمد : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر – ٧ ج – لبنان ١٩٦٨

ابن سعد (ت ٢٣٠ – ٨٤٥ م) أبو عبد الله محمد بن سعد : الطبقات الكبرى – ٨ ج – بيروت ١٩٥٧ – ١٩٥٨ .

ابن عبد الحكم (٢٧٦ – ٨٩٩ م) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله : فتوح مصر وأخبارها – بريل ١٩٢٠ .

ابن عذارى المراكشي (ت بعد ٧١٢ هـ – ١٣١٢ م)
البيان المغرب في أخبار المغرب ٢ ج – بيروت ١٩٥٠ .

إبن العديم (ت ٦٦٠ هـ – ١٢٦٢ م) كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله : زبدة الحلب في تاريخ حلب – ٣ ج – دمشق ١٩٥٤ .

ابن مماتي (٦٠٦ هـ – ١٢٠٩ م) أبو المكارم أسعد بن الخطير أبي سعد : قوانين الدواوين – جمعه ونشره وعلق عليه الدكتور عزيز سوريال عطية – القاهرة (طبعة الجمعية الزراعية) ١٩٤٣ .

إبن هشام (ت بعد ٢١٣ هـ – ٨٢٨ م) محمد عبد الملك بن هشام : السيرة النبوية – ٤ ج – طبعة ثانية ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٥ م .

أبو المحاسن (٨٧٤ هـ – ١٤٦٩ م) جمال الدين أبو المحاسن

يوسف بن تغري بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة — ١٦ ج — دار الكتب المصرية ١٩٢٩ — ١٩٥٦ م .

الأزدي (٢٣١ هـ — ٨٤٥ م) محمد بن عبد الله
تاريخ فتوح الشام — تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر — القاهرة ١٩٧٠ .

الاصطخري (عاش في القرن الرابع هـ — العاشر الميلادي) أبو أسحق ابراهيم بن محمد : المسالك و الممالك — دار الثقافة والارشاد القومي — ١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م .

البلاذري (ت ٧٧ هـ — ٨٩٢ م) أبو احمد بن يحيى ابن جابر :

١ — فتوح البلدان — بيروت — ١٩٥٧ .

٢ — أنساب الأشراف — ٢ ج — تحقيق الدكتور محمد حميد الله . دار المعارف بمصر — ١٩٦٧ — ١٩٦٩ .

الطبري (ت ٣١٠ هـ — ٩٢٢ م) محمد بن جديد :
تاريخ الرسل والملوك — ١٠ ج — دار المعارف بمصر ١٩٦٧ — ١٩٦٩.

القزويني (ت ٦٨٢ هـ — ١٢٨٣ م) أبو عبد الله زكريا بن محمد ابن محمود : اثار البلاد وأخبار العباد — بيروت ١٩٦٠ .

القلقشندي (ت ٨٢١ هـ — ١٤١٨ م) أحمد بن علي بن أحمد أحمد عبد الله :

صبح الأعشى في صناعة الانشاء — ١٤ ج — وزارة الثقافة والارشاد القومي بمصر — ١٩٦٣ .

المراكشي (ت بعد ٦٢١ هـ – ١٢٢٤٣) عبد الواحد بن علي :
المعجب في تلخيص أخبـــار المغرب – تحقيق محمد سعيد العريان
القاهرة ١٩٦٣ .

المقري (ت ١٠٤١ هـ – ١٦٣١ م) أحمد بن محمد المقرى
التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب – تحقيق أحسان
عباس – ٨ جـ – بيروت ١٩٦٨ .

اليعقوبي (٢٨٢ هـ – ٩٨٥ م) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر
تاريخ اليعقوبي – ٢ جـ – بيروت ١٩٦٠ .

ثالثا : المراجع الاوروبيـــة

Brook, E.W.,

Arabic List of Byzantine Themes. Cf. Journal of Hellenic Studies, tom. 21. 1907. pp. 67 - 77 .

Bury, J.B.,

History of the Eastern Rooman Empire. London, 1912 .

Cambridge Medieval History, vol. IV. The Byzantine Empire. Part I Byzantine and its Neighbours. Cambridge, 1960 .

Eneyclopaedia Britannica. 22 vols. & Index. Chieago 1968 .

Hussey, J.,

Chruch and Learning in the Byzantine Empire: 867 - 1185. London, 1937 .

Jenkins, R.J.,

The Supposed Rnssian Attack on Constantinople in 907. Cf. Speculum 1949. pp. 403 - 6 .

Macarteny,

The Magyar in The nienth Centcury. Cambridge. 1968.

Ostrogorsky, G.,

History of Byzantine State. Butgers University press. 1957 .

Previte - Orton, C.W.,

The Shorter Cambridge Medieval History. 2 vols. Cambridge 1953 .

Runciman, S.,

1 - Byzantine Civilization. London, 1936.

2 - A History of the First Bulgarian Empire. London, 1930.

3 - The Emperor Romanus Lecapenus and His Reign. Cambridge. 1963 .

Thompson, J.w.,

An Introduction to Medieval Europe. New York, 1937 .

Toynbee, A.,

Constantine Prophrogenitus and His World. London,1973.

Vasiliev. A.A.,

History of Byzantine Empire. 2 vols. Medison, 1929 .

رابعا : المراجع العربية

إبراهيم علي طرخان (دكتور) : المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى — القاهرة ١٩٦٦ م

أحمد مختار العبادي (دكتور) :

١ — في التاريخ العباسي والفاطمي . بيروت ١٩٧١ .

٢ — في التاريخ العباسي والأندلسي . بيروت ١٩٧٢ .

أرشيبالد (لويس): القوى البحرية والتجارية في البحر المتوسط . ترجمة أحمد عيسى ومراجعة الدكتور محمد شفيق غربال — القاهرة ١٩٦٠ .

أسد رستم : الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب . ٢ جـ — بيروت ١٩٥٥ .

أماري : (ميخائيل) المكتبة الصقلية . ليبسك ١٨٧٥ .

درويش محفوظ النخيلي (دكتور) : السفن الاسلامية على حروف المعجم . جامعة الاسكندرية ١٩٧٤ .

السيد عبد العزيز سالم (دكتور) : تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية . بيروت ١٧١

السيد الباز العريني (دكتور) : الدولة البيزنطية . القاهرة ١٩٦٥

سعاد ماهر (دكتورة) : البحرية في مصر الاسلامية. القاهرة ١٩٦٧

عبد المنعم ماجد (دكتور) : العلاقات بين الشرق والغرب العصور الوسطى . بيروت ١٩٦٦ .

علي حسني الخربوطي (دكتور) : الدولة العربية الاسلامية. القاهرة ١٩٦٠ .

فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين . ترجمة كمال اليازجي . ٢ ج — بيروت ١٩٥٩ .

فازيليف : العرب والروم . ترجمة محمد عبد الهادي شعيره . القاهرة ١٩٣٤ .

يوسف الدبس : الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل: طبعة ثانية دار لحد خاطر . لبنان — ١٩٧٨ .

كشاف

— ج —

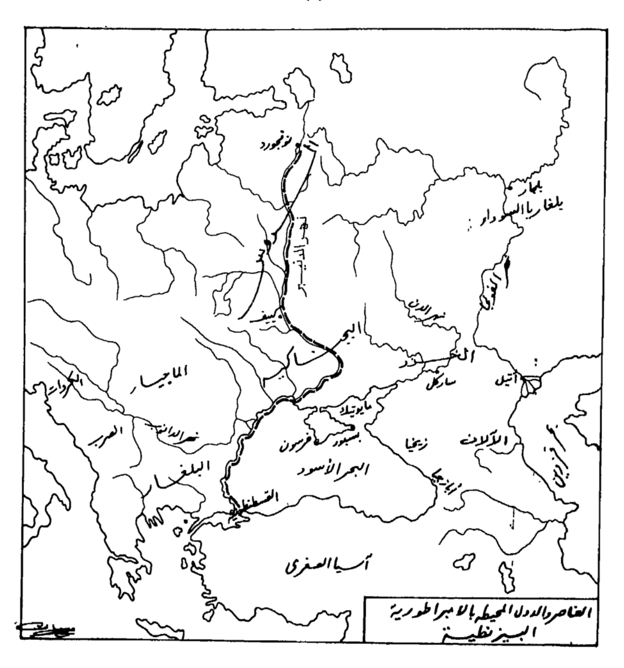
— ز —

— س —

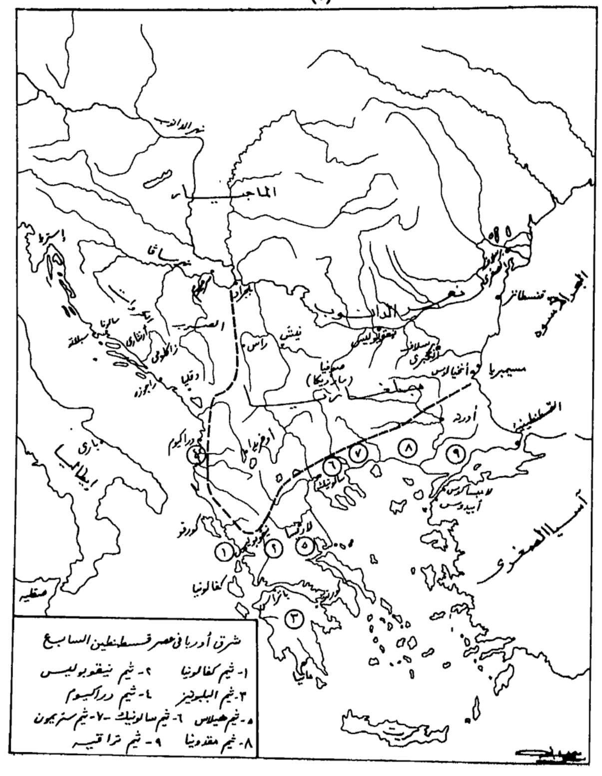
— و —

— ي —

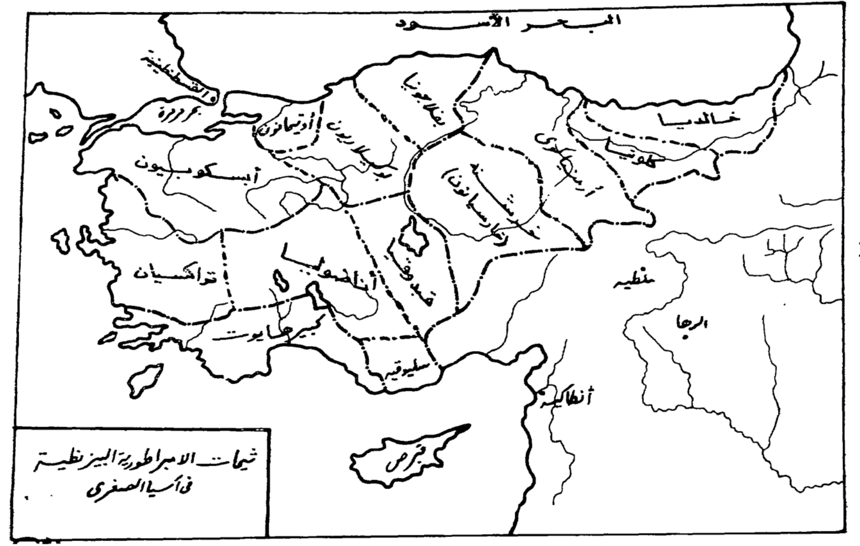
(١)



نوفجورود
بلغار
بلغاريا السوداء
كييف
نهر الدون
الخزر
ساركل
آتيل
الماجيار
الكرواث
الصرب
نهر الدانوب
البلغار
مايوتيك
بسبور
خرسون
البحر الأسود
زيخيا
الآلان
القسطنطينية
آسيا الصغرى
العناصر والدول المحيطة بالامبراطورية
البيزنطية


شرق أوربا فى عصر قسطنطين السابع
١- ثيم كفالونيا
٢- ثيم نيقوبوليس
٣- ثيم البلبونيز
٤- ثيم دراكيوم
٥- ثيم هيلاس
٦- ثيم سالونيك
٧- ثيم ستريمون
٨- ثيم مقدونيا
٩- ثيم تراقيه
الماجيار
نهر الدانوب
آسيا الصغرى
كفالونيا
صقلية
كورفو
دراكيوم
القسطنطينية
أدرنة
سالونيك

(٣)


البحر الأسود
القسطنطينية
مرمرة
خالديا
كلونيا
أرمنياكوى
خارشنة
(خارسيانون)
بفلاجونيا
بوكيلاريون
أوبتيماتون
أبسكوبيون
تراكسيان
أناضوليا
قبدوقيا
كيبرهايوت
سليوقية
ملطية
الرها
أنطاكية
قبرص
ثيمات الامبراطورية البيزنطية
في آسيا الصغرى

الحدود الشرقية للإمبراطورية البيزنطية

وإقليم أرمينيا

البحر الأسود

بحر قزوين

البحر المتوسط

ألانيا

القوقاز

أبازجيا

إيبيريا

أرداونوتزي

طرابيزون

خالديا

كارس

قاليقلا

ثيودوسيوبوليس

أرزن الروم

طيبي (دوفين)

كولونيا

نيقوبوليس

ملطية

ساموساطا

أرزن

أرزن

ميافارقين

نصيبين

رأس العين

الرها

خلاط

بيركري

ثان

قيصرية

نهر الفرات

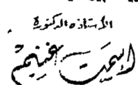
طرسوس

منطقة بحر مرمرة
ومتنزهات الإمبراطور

الأستاذة الدكتورة
إسمت غنيم

فهرس المحتويات

صفحة


الأستاذة الدكتورة
إسمت غنيم

صفحة

صفحة

صفحة

تصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠	١٧	مستيكوس	مستيقوس
٢٥	٢	مستيكوس	مستيقوس
٣٧	الاخير	مستيكوس	مستيقوس
٢٦	٥	كراكوس	كوركواس
٢٨	٩	كركواس	كوركواس
٣٢	١١	كركواس	كوركواس
٧٩	العنوان	ثيو فانوس	ثيو فائيس
٩١	العنوان	المقدسي	المقدس

